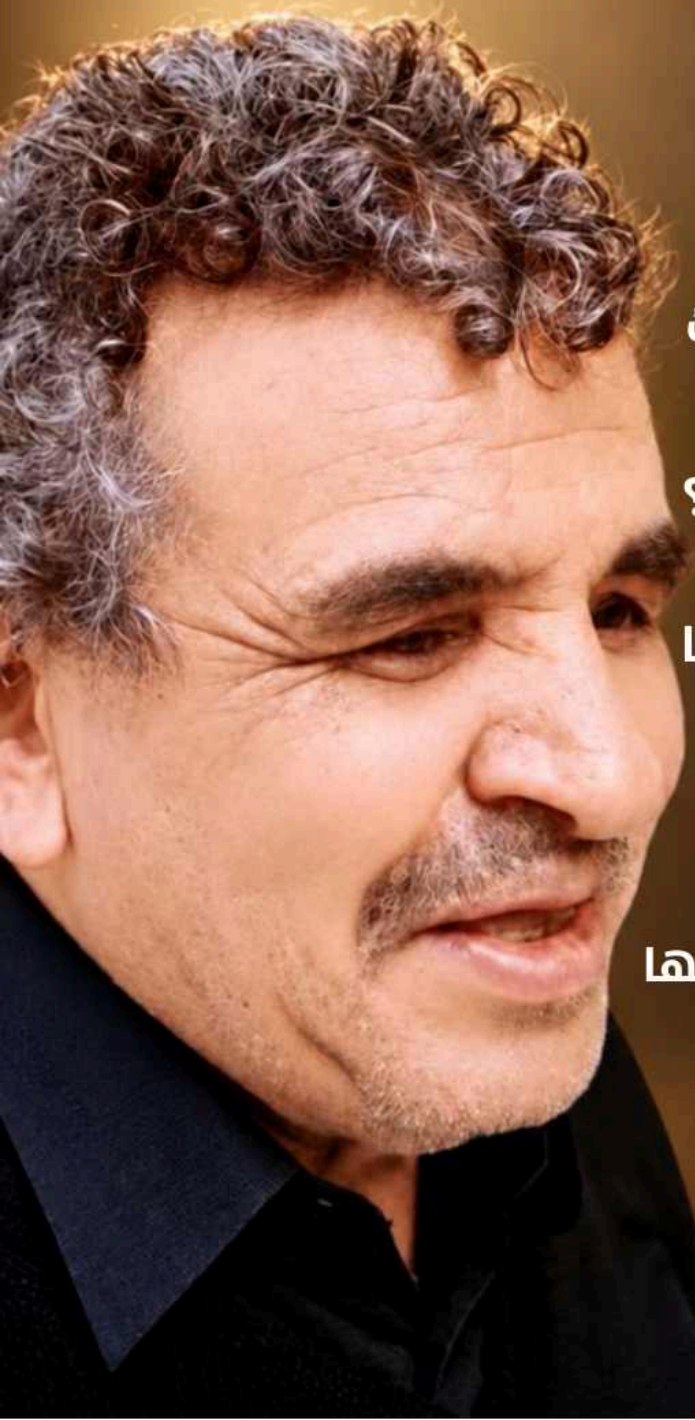
القَشَم الثقافية



البردوني وهج لا ينطفئ

محور العدد:من أنا ...؟

مملكة يُهنطل وحاضرتها
شكع
سيَر وأمكنة

مجلة القشم ما لها وعليها
في حوار

دورية شهرية تصدر كل ثلاثة أشهر مؤقتاً..العدد الرابع

وفاءٌ لعطاءٍ ثقافيٍّ نبيل

شخصية العام الثقافية العربية 2026م

فئة «شريك ثقافي»







الأستاذ الجليل

محسن ناصر الخيلي شعيبي القَشم

تكريم من الاتحاد العالمي للمثقفين العرب – السويد

تقديرًا لعطائه في رعاية الثقافة ودعم الإبداع

مجلة القَشَم الثقافية

مجلة شهرية دورية تصدر عن منتدى القَشَم الثقافي التنموي

مـــن نحـــن؟

المشرف العـام

أ.د. محمد بن محمد الشعيبي

هيئة التحرير

- **الشاعر صالح حمود**
  رئيس التحرير
- **د. فداء فيصل زباد**
  مديرة التحرير
- **اعتدال السقاف**
  نائبة مدير التحرير
- **أ. فضل صالح**
  سكرتير التحرير
- **الساحر الجحافي**
  نائب سكرتير التحرير

أعضاء هيئة التحرير

- د. عبدالله المدني
- أ. عيشة صالح
- أ. تغريد بو مرعي
- أ. طه منصر
- أ. رؤى جوني
- أ. محمود علي ناصر
- أ. فيصل الهاشمي

معلومات المجلة

مسجلة في المملكة السويدية
ISSN 3035-9260
Digitalisera den arabiska boken

للتواصل والمراسلة

alqashamcultral@gmail.com
واتساب: +967775535585

سعر النسخة

2000 ر.ي

- الإعلانات تتفق بشأنها مع الإدارة.
- الموضوعات المنشورة بالمجلة تعبّر عن أراء أصحابها.

المستشارون

- أ.د. علي منير حرب
- الناقد ناجي عبد المنعم
- أ.د. مبارك سالمين
- د. هشام محسن السقاف
- د. نعمة صالح عوض
- د. صوفيا الهدار
- أ. علي المجاحي
- أ. علي سنان

تصميم وتنسيق وإخراج

- محمد المرعبي
- م. فتحي الشعيبي

فهرس العدد الرابع

الموضوع	الصفحة
كلمة العدد	
التراث كرافعة ثقافية - أ.د. محمد بن محمد الشعيبي	5
لغتي هويتي	
لغتي هويتي - إعداد وإشراف أ.د. أسامة كامل أبو شقرا	6
المجتمع	
عندما يتوجع الوطن - د. نعمة صالح عوض	8
عندما يتشرّى القلم - محمد الظليمي	8
رباط آل باعباد في الضالع - طه منصور	9
سير وأمكنة	
جبل عقرم في شُكع: ذاكرة المكان في ضوء المسوحات الأثرية والشواهد التاريخية - أ.د. محمد أحمد منقوش	12
مملكة يُهَنْطِل وحاضرتها مدينة شُكع - أ. شايف محمد الحدي	17
شُكع وجبل عقرم: ذاكرة حجرية تروي فصولًا من تاريخ الضالع القديم - أ. عبدالفتاح فضل محمد الجعبي	30
شُكع... حين تنبش المعاول ذاكرة الحضارة - القاضي حيدرة نصر شايف	33
روايات وإصدارات	
رواية «خيوط العنكبوت»	36
إصدارات: «حين يكتبني الحنين» و«وهج القوافي»	37
ترجمة - إشراف تغريد بو مرعي	
أوقفني... قال - شوقي شفيق	38
ملح الغياب - د. صوفيا الهدار	41
نفس الكلمات - د. ديباراتا ماجي، الهند	42
صوت الصمت - ألفارو مايو، البرتغال	43
رمز - إليسيا ماريا كوبيرسكا، بولندا	44
أدب وفنون	
البردوني في ذكراه السابعة والعشرين: الرحيل المبكر - د. صالح القطوي	45
قراءة نقدية في قصيدة «أنا وصديقي» للشاعرة عائشة صالح - أ. فضل صالح	47
«وجاءت صرختي أشعارًا» للشاعر علية البوعناني - د. بوسيلهام عميمر	49
الوعي الشقي: حين يصبح الإدراك عبئًا - مجيدة محمدي	51
جهاد عقل... ساحر الكمان - نداء الدروبي	53
أثر الغياب - ريم محمد درويش	54
من أعلام الشعر الشعبي في الضالع: محمد أحمد الحبيشي - أ. صالح المشرقي	55
موت مؤجل - ضحى بوترعة، تونس	59

مجلة القَشَم الثقافية

فهرس العدد الرابع - تتمة

الموضوع	الصفحة
أدب وفنون - تتمة	
سأخبرك شيئًا - ميادة مهنا سليمان، سورية	59
الورد إن عشق - نديم فرحات	60
تغريدة للوطن - طيغة تركية، الجزائر	60
تراتيل الوجد في محراب الأماني - حافظ الشحيقي	60
تعال رخّ سنيني وجدي ترقّب - أ. علي الحجيلي	61
لا تنتظرني - فضل الحجيلي	61
حبيب الروح - محمد عبدالملك العريقي	61
من أوراق الولد الجنوبي - عبدالسادة البصري	62
لوحتان للفنان عبدالحكيم يحيى الشعيبي	62
أدب الطفل	
ناظير... حكاية أم حوّلت حب القراءة إلى مشروع حلم - أرياف حسين التميمي	63
هيا نرسم - كمال محمود اليماني	63
طفلي يكذب... ماذا أفعل؟ - هدى زياد	64
راكان وسؤاله الأول - جمال صلاح	65
لماذا يحتاج أطفالنا إلى قصص عن الاختلاف؟ - مروة علوي	65
حوار العدد	
مجلة القَشَم... ما لها وما عليها - أ.د. محمد الشعيبي، حاورته د. فداء فيصل زياد	66
أدباء على طريق الاحتراف	
الإبداع في كل الجوانب - أ. اعتدال السقاف	70
فضلتني بعد أن تركتني - ملاك الشعيبي	70
جريح حرب - ابنة الأستاذ حسن حيدرة سعد	71
محور العدد	
أنا العربية... أنا هنا الآن - د. وفا نسيب	73
من أنا أم من صرت؟ حين تلتقي جذورنا بما نكتسبه من العالم - تغريد بو مرعي	74
ما الذي أصبح أجمل لأننا مررنا من هنا؟ - بدور عبدالباقي العطار	77
نحت البصمة لا نفي الجذور - أ. وليد المزارع الشعيبي	79
من أنا؟ - محمد وليد السبيعي	81
أعمدة ثابتة	
صمت المعرفة - د. ريم كامل ياسين	82
الكلمات تأوهات - د. نعمة صالح عوض	82
بين منطلقات الهوية ومآلاتها... من أنا؟ - د. صوفيا الهدار	83
متجرد في التيه... عزيز قلبي - د. فاطمة الحوسنية	83
الأخيرة	
صناعة البصمة - أ.د. علي منير حرب	84

التراث كرافعة ثقافية



أ.د.محمد بن محمد الشعيبي *

يمثل التراث الثقافي أكثر من مجرد ماضٍ نستذكره؛ إنه الرافعة التي تحمل هوية الأمة وتصنع حاضرها وترسم ملامح مستقبلها. وفي عصر الذكاء الاصطناعي، يبرز تحدٍّ جديد: كيف يمكن توظيف هذه التقنيات المتطورة لحماية تراثنا اللغوي وتعزيز حضور لغتنا العربية في الفضاء الرقمي، دون المساس بأصالتها وخصوصيتها؟ التراث: رافعة ثقافية وهوية حية . التراث ليس تحفاً جامدة في متاحف الذاكرة، بل هو وعاء نابض بالحياة يحمل تجارب الأمة وقيمها ووعيها الذاتي. اللغة العربية، بوصفها وعاء هذا التراث، تواجه اليوم تحدياً وجودياً يتمثل في هيمنة لغات أخرى على الفضاء الرقمي؛ فبياناتٌ دولية تشير إلى أن اللغة العربية تمثل نحو 3% فقط من المحتوى الرقمي العالمي، رغم أنها لغة أكثر من 450 مليون نسمة. هذه الفجوة الرقمية ليست مجرد إحصاء، بل تعكس تهميشاً للهوية الثقافية في عصر المعرفة. الذكاء الاصطناعي: سيف ذو حدين يمثل الذكاء الاصطناعي فرصة استثنائية لإحياء التراث العربي، لكنه يحمل في طياته مخاطر جمّة. فالاعتماد على نماذج لغوية مدربة على بيانات مترجمة من الإنجليزية قد يفرض رؤى مشوهة للغة العربية وتراثها. وهنا تكمن المفارقة: التقنية التي قد تنقذ التراث يمكن أن تكون أداة لتحريفه إن لم تُستخدم بحكمة. توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة اللغة العربية تتعدد السبل التي يمكن من خلالها توظيف الذكاء الاصطناعي لحضور لغتنا وتراثنا، ومنها

أولا: رقمنة المخطوطات وحفظها

يمكن للذكاء الاصطناعي، عبر تقنيات التعرف الضوئي على الحروف والترميم الرقمي، إنقاذ المخطوطات العربية من التلف والاندثار. وقد أكد خبراء في ملتقى الدوحة الدولي للكتاب أن الذكاء الاصطناعي أصبح أداة معرفية وتقنية مهمة في تحقيق المخطوطات العربية والتراث الإسلامي وحفظها، مع التأكيد على أن خبرة الباحثين المتخصصين تبقى ضرورية لفهم النصوص وتفسيرها بدقة.

ثانياً: بناء نماذج لغوية متخصصة

ظهرت نماذج عربية متخصصة مثل نموذج "مبين" (Mubeen) الذي درب على مجموعة واسعة من المصادر العربية الأصيلة، بما فيها المخطوطات التاريخية والمؤلفات الكلاسيكية في الفقه والحديث والتفسير، لضمان الأصالة الثقافية والدقة في الفهم. وتؤكد الأبحاث أن تطوير نماذج متخصصة قائمة على التراث العلمي الرصين يمثل ضرورة استراتيجية لحماية الهوية الثقافية والدينية في العصر الرقمي.

ثالثاً: المشاريع المعجمية الذكية

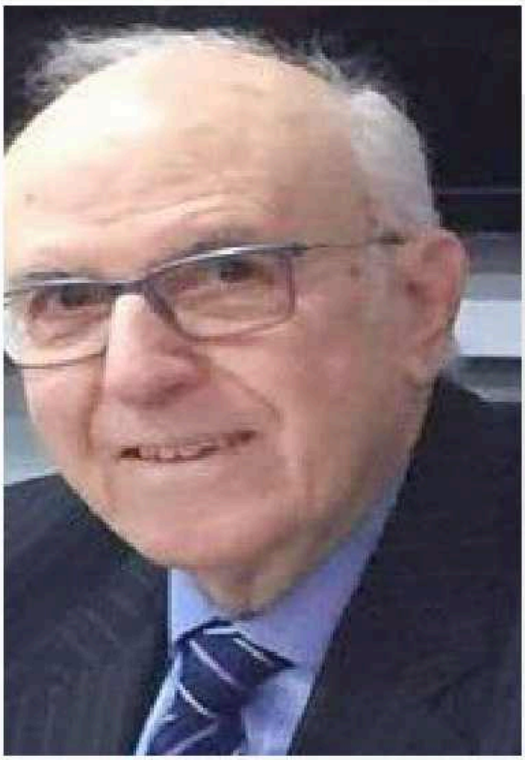
تُعد مشاريع المعاجم التاريخية للغة العربية، مثل مشروع "المعجم التاريخي للغة العربية" في الشارقة، نموذجاً رائداً في توظيف الذكاء الاصطناعي. وقد تم ربط هذا المشروع بتقنيات الذكاء الاصطناعي ليقدم للباحثين أكثر من 20 مليون كلمة عربية، مع إمكانية تحويل النصوص إلى محتوى مرئي.

رابعاً: تعزيز المحتوى الرقمي العربي

يمكن للذكاء الاصطناعي أن يسهم في تضييق الفجوة الرقمية للغة العربية من خلال تطوير أدوات إنتاج المحتوى الرقمي، وتوفير منصات معرفية، ودعم اللهجات العربية المهددة بالانقراض. التحديات والضوابط يواجه توظيف الذكاء الاصطناعي في خدمة التراث العربي تحديات عدة، أبرزها: · التوازن بين التقنية والأصالة: لا يمكن للذكاء الاصطناعي أن يحل محل الخبراء الباحثين، فالسياق الثقافي والدقيق للنصوص التراثية يحتاج إلى فهم إنساني عميق. · فجوة البيانات: تظل الحاجة ماسة لبناء نماذج عربية تعتمد على مصادر أصلية بدلاً من الاعتماد على بيانات مترجمة.

* أ.د.محمد بن محمد الشعيبي
رئيس مجلس إدارة منتدى القشم الثقافي التنموي
المشرف العام لمجلة القشم الثقافية

إعداد. أسامة كامل أبو شقرا
مجلة. القشم الثقافية - العدد 4 - 2026



مقدمة

باب «لغتي هويتي»، مخصص لنشر ما يجنّب الأجيال الناشئة من الإعلاميين والكتّاب والأدباء والشعراء وغيرهم، الوقوعَ في الخطأ في معاني الكلمات، ويوضح بعض الدقائق اللغوية، وبعضًا من كنوز لغة الضاد

أخطاء في اللغة

كثيرًا ما نقرأ: (بكى فلان وأجهش بالبكاء) بقصدهم أنه بكى بكاءً شديدًا. يقول المعلم بطرس البستاني في "محيط المحيط للبستاني" باب "جهش": "أجهش بالبكاء: هم به وتهيأ له". ولست أدري كيف يتهيأ الإنسان للبكاء بعد أن يبكي؟ وفي الصفحة (133) من كتاب "فقه اللغة" "للثعالبي" جاء: " إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل: أجهش، فإن امتلأت عينه دموعًا قيل: اغرورقت عينه وترقرقت، فإذا سالت قيل: دمعت أو هَمَعَت، فإذا حاكت (أي شابهت) دموعها المطر قيل: همَت، فإذا كان لبكائه صوتٌ قيل: نحب ونشج، فإذا صاح مع بكائه قيل: أعول."

أجهش كثيرًا ما نقرأ: (بكى فلان وأجهش بالبكاء) بقصدهم أنه بكى بكاءً شديدًا. يقول المعلم بطرس البستاني في "محيط المحيط للبستانيي" باب "جهش": "أجهش بالبكاء: هم به وتهيأ له". ولست أدري كيف يتهيأ الإنسان للبكاء بعد أن يبكي؟ وفي الصفحة (133) من كتاب "فقه اللغة" "للثعالبي" جاء: " إذا تهيأ الرجل للبكاء قيل: أجهش، فإن امتلأت عينه دموعًا قيل: اغرورقت عينه وترقرقت، فإذا سالت قيل: دمعت أو هَمَعَت، فإذا حاكت (أي شابهت) دموعها المطر قيل: همَت، فإذا كان لبكائه صوتٌ قيل: نحب ونشج، فإذا صاح مع بكائه قيل: أعول."

انصاع:

يقول بعضهم: (انصاع فلان لفلان...)، باعتقادهم أن الانصياع، يعني، الطاعة أو الخضوع. وبالعودة إلى "محيط المحيط للبستاني" نقرأ: " انصاع الرجل انصياعًا: انفتل راجعًا مسرعًا ومر". فأي معنى لمثل هذه الجملة؟: " انفتل فلان راجعًا مسرعًا ومر لفلان..." أليس هذا مضحكًا؟ و"شر البلية ما يضحك". ولماذا لا نقول: أطاعه، أو خضع أو أذعن لأمره؟؟؟

لصالح:

يقول كثيرون، مثلا: (من صالح أو لصالح الوطن ألا يحكمه منافق)، أو ما يماثله، والصواب أن يقال: «من مصلحة الوطن...» إذ في "محيط المحيط" باب "صلح"، "الصالِح ضد الفاسد والقائم بما عليه من حقوق العباد وحقوق الله تعالى. وهو صالح لكذا: أي له أهلية القيام به." وبالتالي من الخطأ استعمال كلمة "صالح" بمعنى «مصلحة». وفي قاموس المحيط للفيروز بادي: «المَصْلَحَةُ، واحِدَةُ المَصالِحِ. واسْتَصْلَحَ: نَقيضُ اسْتَفْسَدَ. وهذا يَصْلُحُ لك»

دقائق لغوية: كافة وقاطبة

هي بمعنى "جميع"، (نحو نجح الطلاب كافةً أو قاطبةً أو طرًّا) أي كلّهم. ولا يدخلها (ال) إلا إذا كانت "كافة" مؤنث "الكافّ" ولا تضاف، بل تكون دومًا منصوبةً على الحال. وبالتالي لا يجوز

أن نقول: نجح الكافة، أو نجح كافة أو قاطبة أو طر الطلاب ... حتى أن هناك من يقول إنها لا تستعمل إلا للعاقل، وهذا ما أكده كتاب، دقائق العربية للأمير أمين آل ناصر الدين (ص. 124). وفي «محيط المحيط للبستاني»، في باب «كفّ»: «جاء الناس كافةً، أي كلهم. ولا يدخلها ال ولا تضاف بل تكون منصوبة على الحال من العقلاء نصبًا لازمًا..." وفي القرآن الكريم: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة} (التوبة 122). فلماذا يقول كثيرون: (كافة القوانين أو كافة البلدان...)؟ ألا يمكنهم أن يستبدلوا الخطأ بالصواب بقولهم: (كلّ القوانين أو كلّ البلدان...)؟

تأسست

كثيرًا ما نقرأ: (شركة كذا: تأسست في سنة كذا...) والصواب أن نقول «أُسست في...»، على المجهول، لأن «الشركة» أو «المؤسسة» أو ما شابه ذلك هي شخصية معنوية وبالتالي لا تستطيع أن تؤسس نفسها، بل تحتاج في تأسيسها إلى شخص أو أشخاص طبيعيين.

البضع والنيف:

النيف: من واحد إلى ثلاث.

والبضع: من أربع إلى تسع.

قصة مثل:رجع بخفي حنين:

لا يقال (نيِّف) إلا بعد عقدٍ، نحو عشرة ونيفٍ، ومائة ونيِّفٍ، بخلاف البضع فإنه يستعمل مستقلًا، ومنه قوله تعالى: {فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}. (يوسف 42). وفي لسان العرب لابن منظور: «يقال: عشرون ونيّف لأنه زائد على العقد. مِن ناف... يقال هذه مائة ونَيْف، بتشديد الياء، أي زيادة، وعوامُّ الناس يخففون فيقولون: ونيْف، وهو لحن عند الفصحاء. ومن أقاويل حُذّاق البصريين والكوفيين أنّ النيّف من واحدة إلى ثلاث، والبِضْع من أربع إلى تسع.»

وقولُهم للرجل إذا رُدَّ عن حاجتِه ورجَعَ بالخَيْبةِ: «رجع بخُفَّيْ حُنَيْنٍ»؛ أصله أن حُنَيْنًا كان رجلًا شريفًا ادَّعَى إلى أَسدِ بنِ هاشمِ ابن عبدِ منافٍ، فأَتى إلى عبدِ المُطَّلب وعليه خُفَّانِ أَحْمرانِ فقال: يا عَمِّ أنا ابنُ أَسدِ بن هاشمٍ، فقال له عبدُ المطلب: لا وثيابِ هاشمٍ ما أَعْرِفُ شمائلَ هاشم فيك فارْجِعْ راشدًا، فانْصَرَف خائبًا فقالوا: رجعَ حُنَيْنٌ بِخُفَّيه، فصار مثلًا؛ وقال الجوهري: هو اسم إِسْكافٍ من أهل الحيرةِ، ساوَمه أَعْرابيٌّ بخُفَّيْن فلم يَشتَرِهما، فغاظَه ذلك وعلَّقَ أَحَدَ الخُفَّيْنِ في طريقه، وتقدَّم وطرَحَ الآخَرَ وكَمَن له، وجاءَ الأَعرابيُّ فرأَى أَحَدَ الخُفَّيْن فقال: ما أَشْبَه هذا بِخُفِّ حُنَيْنٍ لو كان معه آخرُ اشْتَرَيْتُه فتقدَّم ورأى الخُفَّ الآخرَ مطروحًا في الطريق، فنزلَ وعَقَلَ بعيرَه ورجع إلى الأوّل، فذهب الإسكافُ براحِلتِه، وجاءَ إلى الحَيِّ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ. (عن لسان العرب لابن منظور)

وقع في بنات طَبَق:

والعرب تقول: وقع فلان في بنات طَبَق إذا وقع في الأَمر الشديد.

وبنَاتُ الطَّبَقِ: الدواهي، يقال للداهية احدى بنات طَبَقٍ، ويقال للدواهي بنات طَبَقٍ، ويروى أَن أَصلها الحيّة أَي أَنها استدارت حتى صارت مثل الطَّبَقِ، ويقال إحدى بناتِ طَبَق شَرُّك على رأْسك، تقول ذلك للرجل إذا رأَى ما يكرهه؛ وقيل: بنتُ طَبَقٍ سُلحَفَاةٌ، وتَزْعُمُ العرب أَنها تبيض تسعًا وتسعين بيضة كلها سَلاحِفُ، وتبيض بيضة تَنْقُفُ عن أَسود، يقال: لقيت منه بناتِ طَبَقٍ وهي الداهية. الأَصمعي: يقال جاء بإحدى بناتِ طَبَقٍ وأَصلها من الحيَّات، وذكر الثعالبي أَن طَبَقًا حيَّة صفراء؛ ولمَّا نُعي المنصورُ إِلى خَلَف الأَحمر أَنشأَ يقول:

قد طَرَّقَتْ بِبِكْرِها أُمُّ طَبَقْ، (طَرقَت الإبل الماء إذا بالت فيه وبعرت).

فَذَمَّرُوهَا وَهْمَةً ضَخْم العُنُقْ، (الذَّمْرُ: اللَّوْمُ والحَضُّ معاً)

موتُ الإمامِ فِلْقَةٌ مِن الفِلَقْ. (القَلْق: الشق، والفِلَقُ: ما تَفَلَّقَ منه، واحدتها فِلْقَةٌ.)

وقال غيره: قيل للحية أُمُّ طَبَقٍ وبنتُ طَبَقٍ لتَرَحُّبها وتَحْوِّيها، وقيل: قيل للحيات بناتُ طَبَقٍ لإِطْبَاقها على من تلسعه، وقيل: إنما قيل لها بناتُ طَبَقٍ لأَن الحَوَّاء يمسكها تحت أَطْباق الأَسْفاط المُجَلَّدة. (عن لسان العرب لابن منظور).



عندما يتوجع الوطن



د.نعمة صالح عوض

عندما يتوجّع وطني، أبحث بكل الطرق عن شيءٍ يمكن أن يخفف ألمه.

أحميه بالكلمة إن لم أملك غيرها، وأحميه حتى من أبنائه الذين، بوعيٍ أو بغير وعي، يذرون الملح على جراحه.

فالوطن ليس اسمًا على الخريطة، أو أرضًا نعيش فوقها فحسب؛ الوطن هو أنا وأنت وأنتم وأنتن وهؤلاء جميعًا.

فإذا كان الوطن نحن، فلنحب الخير لبعضنا ولنخلص في أعمالنا ولنحسن تربية أبنائنا، ولنعلّمهم أن الوطن لا يُبنى بالكراهية ولا يحميه التعصب، وإنما تبنيه المحبة، ويصونه السلام، وترفعه الأخلاق والعمل الصادق.

علّموهم أن الحب كلمة، والسلام كلمة، والحرب كلمة، والفرح كلمة، والحزن كلمة؛ وأن البناء قد يبدأ بكلمة، وأن الدمار قد يبدأ أيضًا بكلمة.

لذلك فلنحسن ما نقول، ولنتذوّق كلماتنا قبل أن تخرج من أفواهنا، فالكلمة كالرصاصة إذا خرجت لا تعود، لكنها قد تصلح شأنًا، وقد تهدم إنسانًا، وقد تجمع وطنًا، وقد تزيد جراحه اتساعًا.

فلنجعل كلماتنا بلسمًا لا ملحًا، وجسرًا لا جدارًا، وبذرةً للبناء لا شرارةً للهدم.

فالوطن أمانة في أعناقنا جميعًا، وأقل ما نستطيع أن نقدمه له إنما هو كلمة طيبة، وعمل مخلص، وقلب لا يتمنى لأبنائه إلا الخير

بناء الإنسان يعني بناء الوطن.

كلامي بعيد عن السياسة.. لكنه السياسة الناجعة ذاتها !

عندما يُشتَرى القلم



محمد الظليمى

ظلّ القلم على مرّ العصور يُشكّل في الوعي الجمعي للشعوب رمزيّة الحصن الأخير للحق، والضمير الذي لا ينام، وحارس الحقيقة الذي يُفترض أن تتكسر على صخرته كل محاولات التزييف والتضليل. فالكلمة في أصلها الوجودي ليست مجرد رصفٍ للحروف أو استعراضٍ للبيان والبلاغة، بل هي موقف أخلاقي صارم، وبوصلة فكرية تُهتدى بها الأمم، وأمانة تاريخية يُسأل عنها صاحب القلم أمام ضميره والتاريخ. غير أن هذه البوصلة، حين تهتز تحت وطأة المغريات وتتهاوى أمام سطوة المصالح أو المناصب، نكون أمام واحدة من أشد الفجائع الفكرية إيلاماً وأكثرها خطورة على بناء الوعي، حيث يسقط القلم من علياء الرسالة إلى حضيض التجارة، ويتحول المفكر من صانعٍ للوعي إلى مهندسٍ للزيف، ومن صوتٍ للحق إلى بوقٍ يطبّل لمن يدفع.

إن عملية شراء القلم في عصرنا الحديث لم تعد تتم بالتصرف الفج المباشر كإلقاء صرة من المال لقاء قصيدة مدح أو مقال إطراء، بل أصبحت صناعة ناعمة معقدة تُدار بدهاء شديد، وتتسلل إلى عقل المفكر ونصه بالتدرج دون أن يستشعر خطورة المنزلق للوهلة الأولى. تبدأ هذه الرحلة عادة باستدراج صاحب القلم عبر شباك الوجاهة والبريق، حيث يُغرق بالجوائز المصنوعة، والمناصب الرفيعة، ودعوات المنصات البراقة، فيتسلل إليه الشعور الكاذب بالأهمية، ويصبح مرعوباً من فكرة فقدان هذا الضوء، فيبدأ بالتدريج في تقديم التنازلات الفكرية صغيرًا فكبيرًا ليضمن بقاءه في الصفوف الأولى. وهنا تبدأ مرحلة هندسة الضمير، فيمارس الكاتب عملية خداع ذاتي يُقنع فيها نفسه بأن تخليه عن صراحته ليس نفاقًا بل هو حكمة وتكيف مع الواقع والمرحلة، فيُعاد تعريف الانتهازية في ذهنه لتصبح دبلوماسية، وتتحول المداهنة والتملق إلى رؤية ثاقبة.

ومتى ما ذاق صاحب القلم طعم امتيازات المصالح ورغد المال السياسي، تتحول الكلمة لديه من موقف فكري إلى مصدر رزق، ليستبدل أمانة الحبر بضمان الاستمرار والتكسب.

وحين يستقر القلم في موقعه الجديد كيدٍ مأجورة تُحرّكها المصالح لرفع قدر هذا ومدح ذاك بالباطل، ينزلق بالكامل ليصبح سلعة تُعرض في مزاد من يدفع أكثر، ولا يعود معبرًا عن ذات صاحبه أو قناعاته، بل يغدو أداة للآخر تُستدعى كلما دعت الحاجة لتأدية أدوار وظيفية محددة. تتجلى أولى هذه الأدوار في قلب الحقائق وتزييف الواقع، حيث تُسخّر البلاغة لتجميل القبيح، وتصوير الهزائم والإخفاقات كأنها فتح مبين وإنجازات استراتيجية، وتبرير التراجعات والخطايا على أنها مرونة تكتيكية وحكمة بالغة. ولا يقف الأمر عند حدود التجميل، بل يتعداه إلى استخدام القلم كخنجر مسموم لشيطنة كل من تمسك بضميره وتشويهه، ورفض الخضوع أو البيع، فيُرمى الصادقون بالجهل والجمود والخيانية. غير أن المفارقة الكبرى تكمن في أن القلم المأجور، مهما بلغ صاحبه من العصر والتمكن اللغوي، يفقد نصه أصل الجمال: "الحرارة والروح"؛ فنصوصه تغدو كالأزهار البلاستيكية المصنوعة، جميلة المنظر لكنها دون رائحة ولا حياة، لأن القارئ يمتلك حسًا سادسًا كفيلًا بتمييز الحبر الصادق الذي يُسفَك من روح صاحبه، عن الحبر المدفوع الذي يُستجرّ لخدمة ولي النعمة.

في هذا المشهد الضبابي المزدحم بضجيج الأقلام المستأجرة والمتزاحمين على موائد السلطة والمال، لم يعد يوجد في المشهد إلا قلة قليلة من القابضين على جمر المبدأ، ممن حفظوا أمانة الكلمة وصدق الطرح. هؤلاء هم الذين أدركوا أن الفكر ليس ثوبًا يُستبدل مع كل عاصفة، وأن شرف الحبر أثقل من أن يُباع في المزاد العلني، وأن قيمة الكاتب لا تُقاس برصيد بنكه ولا بنفوذ وليّ نعمته، بل بما يتركه من أثر صادق يخدم الحقيقة والإنسان. إن التاريخ، بشرطه الصارم وذاكرته التي لا تصدأ، لم يخلّد يوماً أولئك الذين صدحوا بالمدائح المأجورة أو اقتادوا الفكر إلى مسارخ التملق، بل ينبذهم في صفحات النسيان والازدراء، بينما يكتب بماء الذهب أسماء الصادقين الثابتين على مبدأ الحقيقة، أولئك الذين جعلوا من أقلامهم منارات تُضيء عتمة المزيّفين، وأبوا أن تكون كلماتهم مجرد صدى لصوت غيرهم.



رباط آل باعباد في الضالع:منارة علمية شيدت قبل سبعة قرون تواجه خطر الإهمال والاندثار* :



طه منصر

يُعد رباط بآعباد"في وادي خصيب بمنطقة أرحب بمديرية الحصين" محافظة الضالع واحدًا من أقدم الأربطة العلمية والدينية في اليمن، وله مكانة كبيرة في تاريخ الضالع"حيث تأسس من قبل الشيخ عمر بن محمد بن عبدالله باعباد المكنى (شجاع الدين) في عام ٧٢٦هـ"والذي قدم من منطقة الغرفة بحضرموت مع مجموعة من العلماء مشيًا على الأقدام "عبر مُدن شبوة وأبين ويافع، حتى حطوا رحالهم في "أرحب" هذه القرية الصغيرة التي تحيط بها الجبال من كل الاتجاهات"لقد كان للشيخ عمر بن محمد باعباد دوره العلمي، حيث أسس أحد أشهر الأربطة العلمية على مدى قرون، والذي تخرج منه المئات من طلاب العلم الذين كانوا يدرسون ويسكنون في الرباط من دون أي مقابل. وقد تخرج من ذلك الرباط العديد من المشايخ والعلماء والذين أسسوا مدارس دينية في قرى الضالع وحالمين وحرير"وكان هناك عدد من الأئمة لهذا الرباط من طلاب العلم من الضالع والشعيب ومريس وجبن وحرير وحالمين"وغيرها. كما كان يُنفق على هذا الرباط من الأوقاف "في بلاد الشاعري وحرير وخلة والشعيب وجبن". وفي عهد الاستعمار البريطاني عندما تم السيطرة على الضالع تم إغلاق ذلك الرباط الديني.وعند نزولنا إلى منطقة أرحب بمعية الزميل الإعلامي فؤاد هرهره" التقينا بعدد من وجهاء منطقة أرحب ومنهم على سبيل الذكر لا الحصر الشيخ عبدالفتاح أحمد عبدالجبار باعباد - رئيس اللجنة المجتمعية بالمنطقة، والشيخ فضل عبدالوهاب باعباد- أحد وجهاءالمنطقة ومشايخها وأئمتها، والشيخ جمال باعباد - أحد المشايخ والشخصيات المعروفة بالمنطقة والمديرية، والأستاذ عبدالناصر عبدالله أحمد باعباد- مدير مكتب النقل بالمديرية وآخرون"حيث رحب جميعهم بالفريق الزائر، معربين عن شكرهم وتقديرهم لهذه الزيارة التي تهتم بعراقة أرحب التاريخية وتراثها.

كما استجمعنا معلومات مهمة وتاريخية حول هذه المنطقة العريقة ورباطها العلمي في مداخلات لبعض الإخوة هناك، فالبداية كانت مع الشيخ فضل عبدالوهاب باعباد، والذي أوضح قائلًا: لقد عُرف رباط آل باعباد"بدار بحور العلم "وقد أتت هذه التسمية نظرًا للفتاوى التي ترسل من مناطق أخرى إلى هذا الرباط، حيث يتم الإجابة عنها من قبل العلماء الذين كانوا مدرسين ومشرفين بهذه المدرسة. وبالنسبة للدعم الذي تلقاه الشيخ عمر باعباد لبناء الصرح العلمي أكد الشيخ فضل "أن هذا الدعم كان يرسل من من قبل الحاجة شجينه بنت فدينه بنت قدار بن العطري، والتي ورثت واديًا عن أبيها في منطقة حالمين نظرًا لأنها البنت الوحيدة لديه"حيث باعت هذا الوادي في حالمين وأنفقته في سبيل بناء هذا الصرح العلمي، إضافة إلى مجهود الشيخ عمر باعباد، ومباعه في حضرموت لبناء هذا الصرح، وقال الشيخ فضل: إن المسجد الأثري تم توسعته في العام 1997 من قبل الشيخ عبدالغني. وقال: لدينا مسجد آخر في الحصن أسسه موسى بن عبدالرحمن، وهو من أحفاد الشيخ عمر باعباد"وهذا المسجد عمره مايقارب 500 سنة" . وتميز هذا المسجد أنه بني من دون خشب، وتم سقفه بطريقة عقود من الحجارة وتبلغ مساحته 3×4 (متر)ويتسع لثلاثة صفوف من المصلين، وفيه مصلى وبركة ماء.

أما الشيخ عبدالفتاح أحمد باعباد، فقد أكد على عراقة وتاريخ هذه المعالم الأثرية، وقال: لقد أتى في عام 2021 فريق من مركز عدن للبحوث والدراسات لزيارة هذا الرباط الديني والتاريخي، وأكدوا على أهمية ترميمه والحفاظ عليه كمعلم تاريخي. ولكن إلى اليوم لم نتلق أي تجاوب بهذا الخصوص، ونأمل من الجهات المهتمة بالآثار والتاريخ أن تعمل ماعليها للحفاظ على تلك المعالم التي لازالت شواهدها حاضرة إلى يومنا هذا.

وقد تميزت تلك البنايات بأنها مثبته على أعمدة وأسقف خشبية وكأنها شيدت حديثًا على الرغم من طول فترة تشييدها، والتي بلغت سبعة قرون ونصف القرن.

ونحن بدورنا كفريق إعلامي قمنا بتوثيق المعالم الأثرية بتسجيلات مصورة وصور فوتوغرافية، إلى جانب هذا التقرير الذي سردنا لكم فيه ملخصًا عن أصالة معالم أرحب التاريخية ومكانتها وعراقتها، التي لم تتغير كثيرًا، على الرغم من مرور سبعة قـرون على تـشـيـيـدهـا. كما نناشد وزارة السياحة والثقافة وهيئة التراث والأثار ضرورة الحفاظ عن هذه المعالم الأثرية، التي هي جزء لايتجزأ من أصالة هذا البلد وتاريخه الممتد عبر مئات السنين .









إشراف شايف الحدي





جبل عقرم في شُكع: ذاكرة المكان في ضوء
المسوحات الأثرية والشواهد
التاريخية.أ.محمد أحمد عبدالله منقوش



مملكة يُهَنْطِل وحاضرتها مدينة شُكع
قراءة تاريخية في ضوء النقوش والشواهد الأثرية .
أ.شايف الحدي

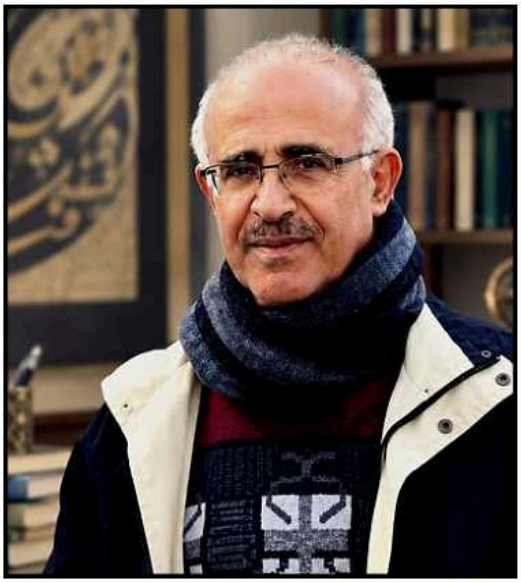


شكع وجبل عقرم..ذاكرة حجرية تروي
فصولاً من تاريخ الضالع القديم
أ.عبدالفتاح فضل محمد الجعبي



شُكـــع..
حين تنبش المعاول ذاكرة الحضارة
القاضي حيدرة نصر شايف

جبل عقرم في شُكع: ذاكرة المكان في ضوء المسوحات الأثرية والشواهد التاريخية



أ.محمد أحمد عبد الله منقوش*
مدير عام الهيئة العامة للآثار والمتاحف فرع الضالع سابقًا

تختزن جبال جنوب الجزيرة العربية إرثًا حضاريًا عريقًا، فما تزال تضاريسها تحتفظ بسجلٍّ أثري زاخر يعكس عمق الاستيطان البشري وتطور المراكز الدينية والعمرانية عبر آلاف السنين. ومن بين هذه المواقع يبرز جبل عقرم في بلدة شُكع بمحافظة الضالع بوصفه أحد أبرز المعالم الأثرية الواعدة، لما يضمه من شواهد معمارية، ومعابد قديمة، وقبور منحوتة في الصخر، ونقوش ولقى أثرية تؤكد مكانته في المشهد الحضاري لجنوب الجزيرة العربية، وتعكس ما بلغته المجتمعات القديمة في هذه المنطقة من رقي عمراني وروحي.

وتسعى هذه المادة إلى تسليط الضوء على القيمة التاريخية والأثرية لهذا الموقع، من خلال استعراض نتائج المسوحات الأثرية، وقراءة الشواهد الميدانية، وربطها بما أوردته المصادر التاريخية والدراسات المتخصصة. كما تصحب القارئ في رحلة علمية تستنطق معالم المكان، وتكشف ما تختزنه صخوره وسفوحه من دلائل حضارية تمتد جذورها إلى أعماق التاريخ، لتؤكد أن مدينة شُكع التاريخية لم تكن مجرد موضع جغرافي، بل كانت إحدى المحطات الحضارية المهمة التي أسهمت في تشكيل التراث الثقافي لجنوب الجزيرة العربية.

موقع شُكع وأهميته الأثرية:

يُعد موقع جبل عقرم في مدينة شُكع التاريخية أحد أبرز المواقع الأثرية في مديرية الحُصين بمحافظة الضالع، لما يكتنزه من شواهد مادية تعكس تعاقب الحضارات وتنوّع المراحل التاريخية التي شهدته لمنطقة. وقد اكتسب الموقع أهمية علمية خاصة بفضل ما يضمه من معالم وآثار تُسهم في توثيق التاريخ الحضاري لشُكع، وتبرز مكانتها ضمن شبكة المراكز التاريخية في جنوب الجزيرة العربية.

إداريًا، تقع شُكع ضمن مديرية الحُصين، على بُعد نحو 18 كيلومترًا إلى الشمال الشرقي من مدينة الضالع، وتندرج ضمن نطاق جغرافي يتميز بكثافة وتنوع المواقع الأثرية، إذ يضم عددًا من الشواهد التي تعود إلى عصور تاريخية متعاقبة، الأمر الذي يمنحها قيمة علمية وأثرية كبيرة، ويجعلها من أهم المناطق الواعدة للدراسات الأثرية والتاريخية.

وتشير المعطيات الأثرية إلى أن منطقة الحُصين، بما تمتد إليه من أجزاء من مديريتي الضالع وقعطبة، احتضنت في العصور القديمة مراكز حضرية مهمة، كان من أبرزها موقع مدينة شُكع، الذي لا تزال آثاره منتشرة على امتداد المنطقة، بما يعكس ازدهارًا عمرانيًا وحضاريًا شهدته هذه البقعة من جنوب غرب الجزيرة العربية. كما تمتاز البلدة بطبيعتها الجبلية، إذ تحيط بها سلسلة من المرتفعات الشاهقة، من أبرزها جبال حرير والشعيب، وهو ما أكسبها أهمية استراتيجية عبر مختلف المراحل التاريخية.

ويقوم الموقع الأثري على جبل عقرم، الذي ينتصب مشرفًا على عدد من الهضاب والأودية المحيطة به. وتنتشر في الهضاب الشرقية والجنوبية مقابر منحوتة في الصخور إلى جانب بقايا مباني منهدمة وأسس معمارية تشير إلى وجود تجمع عمراني قديم ارتبط بالموقع، الأمر الذي يعزز مكانته بوصفه أحد أهم المراكز الأثرية في محافظة الضالع.

المسوحات الأثرية والاهتمام العلمي بالموقع

يُعد موقع شُكع من أوائل المواقع الأثرية التي حظيت بالتوثيق العلمي في محافظة الضالع، إذ ورد ذكره ضمن أعمال المسح الأثري التي نُفذت خلال فترة الإدارة البريطانية لعدن في خمسينيات القرن العشرين، قبل أن تتوسع الدراسات الأثرية مع إنشاء دائرة الآثار في مستعمرة عدن عام 1لعدن والجنوب بشكل عام ونشر نتائج الدراسات المتعلقة بها.962م، التي اضطلعت بدور بارز في توثيق مواقع المناطق

الداخلية لعدن والجنوب بشكل عام ونشر نتائج الدراسات المتعلقة بها.

وقد أسهم عالم الآثار البريطاني براين دو (BRIAN DOE)، الذي تولى إدارة دائرة الآثار في عدن خلال بداية ستينيات القرن العشرين، في إصدار عدد من الدراسات والنشرات العلمية التي أصبحت من أهم المراجع في آثار جنوب الجزيرة العربية، وكان موقع شُكع (جبل عقرم) من بين المواقع التي حظيت بالتوثيق في تلك الإصدارات، نظرًا لأهميته التاريخية والأثرية.

كما حظي الموقع باهتمام بالغ وعناية خاصة من قبل نخبة من الباحثين والأثريين المتخصصين في حقول علم الآثار والنقوش، لاسيما في ظل ما يتعرض له باستمرار من أعمال النبش والعبث غير المشروع. فقد زاره عالم الآثار والنقوش البريطاني جيرالد لانكستر هاردنج (GERALD LANKESTER HARDING) في أواخر خمسينيات القرن العشرين ضمن مشروع للمسح الأثري، استهدف تسجيل المدن القديمة والمدافن والنقوش المسندية واللقى الفخارية، وأسهمت ملاحظاته في تقديم تصور أولي عن خصائص الموقع وأهميته.

وتشير المواد التي تناولت أعمال هاردنج إلى أنه وصف شُكع بوصفها موقعًا يضم مقبرة واستيطانًا قديمًا، كما سجل وجود كتابات مسندية وبعض البقايا المعمارية في الموقع. وتكتسب ملاحظات هاردنج أهمية خاصة؛ إذ إن الدراسات اللاحقة التي تناولت المواد الأثرية في شُكع تشير إلى أن تحديد التسلسل الزمني لبعض المواد، ولا سيما الفخار، لم يكن محسومًا بصورة نهائية. وهذه الملاحظة لا تقلل من أهمية الموقع، بل تؤكد الحاجة إلى التعامل معه وفق منهج أثري حديث، يربط القطع المكتشفة بسياقاتها وطبقاتها الأثرية، بدل الاكتفاء بالمكتشفات السطحية أو المقارنات العامة.

وتواصل الاهتمام العلمي بالموقع في العقود اللاحقة، حيث زاره عالم الآثار المصري زاهي حواس عام 1976م، ثم أُجريت فيه أعمال تنقيب مشتركة نفذتها البعثة الأثرية اليمنية - السوفيتية ابتداءً من عام 1981م، واستمرت خلال مواسم لاحقة، وقد أسفرت عن اكتشافات أثرية مهمة أغنت مقتنيات المتحفين الوطنيين في الضالع وعدن، وأسهمت في توسيع المعرفة بتاريخ الموقع وطبيعته الحضارية. وفي عام 1989م زار الموقع عالم الآثار الألماني يورغن شميدت (JÜRGEN SCHMIDT)، رئيس المعهد الأثري الألماني بصنعاء آنذاك، كما شهد جبل عقرم في شُكع زيارةً ميدانية عام 2001م من قبل الباحثة الإيطالية الدكتورة سابينا أنتونيني دي مايغرت (ALESSANDRO DE MAIGRET). وقد تشرفتُ بمرافقتها وأعضاء فريقها خلال زيارتهم للموقع، والاطلاع على معالمه وآثاره، في إطار أعمالهم الميدانية ودراساتهم المتعلقة بالتراث الأثري لجنوب الجزيرة العربية.

يرتبط الموقع باسمين متداولين هما شُكع وجبل عقرم؛ إذ يُنسب الموقع أثريًا إلى جبل عقرم الذي يحتضن معظم معالمه، في حين غلبت عليه تسمية شُكع لوقوعه ضمن النطاق الجغرافي للمدينة التاريخية التي تحمل هذا الاسم، وشُكع بضم الشين المعجمة والكاف وآخره عين مهملة.

وتُشير المصادر الإخبارية اليمنية القديمة إلى أن اسم شُكع يعود إلى أصل قبلي، فقد أورد الحسن بن أحمد الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب، وكذا في الجزء الثاني من كتاب الإكليل نسب شُكع إلى شُكُع بن الحارث بن زيد بن يريم ذي رُعَيْن، وهو ما يعكس قدم التسمية وارتباطها بالبنية القبلية لمناطق جنوب الجزيرة العربية.

أما تسمية جبل عقرم، فقد دارت حولها تفسيرات متعددة في الرواية المحلية؛ إذ يذهب بعض الأهالي إلى أنها تعود إلى ملك يُدعى «أكرم». غير أن هذا التفسير لا يستند، في حدود الأدلة المتاحة، إلى شواهد أثرية أو نصوص تاريخية معروفة، الأمر الذي يجعل التعامل معه في إطار الرواية الشفوية التي تحتاج إلى ما يؤيدها من أدلة مادية أو كتابية.

وفي المقابل، يلفت النصوص المنقوشة على بعض القطع الأثرية المستخرجة من الموقع، والمحفوظة في متحف الضالع الوطني، إلى ورود لفظ «عقرم» (عقرم) في سياق كتابي قد يحمل دلالات تتجاوز مجرد أنه اسم علم. ويُعد هذا المعطى من المؤشرات التي تستحق مزيدًا من الدراسة اللغوية والمقارنة مع نصوص المسند المكتشفة في مواقع أخرى من جنوب الجزيرة العربية، قبل الجزم بأصل التسمية أو مدلولها.

كما يذهب بعض الباحثين إلى احتمال أن يكون اللفظ المتداول «أكرم» قد نشأ نتيجة تحريف صوتي أو تداول شفهي لاسم «عقرم» عبر الزمن، غير أن هذا الرأي يظل فرضية بحثية تحتاج إلى دراسة لغوية متخصصة تستند إلى النقوش المسندية والشواهد التاريخية، ولا يمكن اعتماده بوصفه تفسيرًا نهائيًا.

ومن زاوية أخرى، يفتح ورود اسم عقرم (عقرم) في النقوش الباب أمام احتمال ارتباطه بمعبود محلي أو بموضع ذي قداسة دينية في العصور القديمة، ولا سيما أن اللقى الأثرية المكتشفة في الموقع تتضمن شواهد ذات طابع تعبدي ونذري. إلا أن هذا الاحتمال، على الرغم من وجاهته العلمية، يبقى مرهونًا بما قد تكشف عنه الدراسات المستقبلية من نقوش أو مكتشفات أثرية جديدة تسمح بتحديد الدلالة الحقيقية للاسم.

أثناء فحصي للنقوش المسندية المنقوشة على عددٍ من القطع الأثرية المعروضة في متحف الضالع، والمستخرجة من مواقع شُكع الأثرية، استوقفتني كلمة «عقرم» (عقرم) الواردة في نقشين مختلفين، وقد سبقتها كلمة أخرى تستدعي مزيدًا من التأمل والبحث. وتدفع هذه الملاحظة إلى إعادة النظر في الرأي الشائع الذي يربط

اسم الجبل بلفظ «أكرم»، إذ يبدو هذا التفسير بعيدًا عن الاعتبارات اللغوية والتاريخية.

ويُرجَّح أن يكون هذا الالتباس قد نشأ عن تعريب أو تحوير صوتي، ولا سيما في الكتابات الأجنبية التي تخلو من حرف القاف، فيُستعاض عنه غالبًا بحرف (A)، الأمر الذي يؤدي إلى تحوّل لفظ «عقرم» إلى «أكرم» في بعض القراءات. غير أن هذا التفسير لا ينسجم مع الأبجدية العربية الجنوبية القديمة (خط المسند)، التي تضم حرف القاف (ق) ضمن حروفها الأصلية، وهو ما يعزز سلامة الاسم التاريخي «عقرم» (عقرم) ويؤكد بقاءه بصيغته الأصيلة دون تحريف.

أما من حيث الدلالة، فإن قراءة الكلمة السابقة لاسم «عقرم»، ومقارنتها بالمصطلحات الدينية الواردة في النقوش اليمنية القديمة، ولا سيما القتبانية والمعينية، تفتح المجال أمام فرضية جديرة بالدراسة، مؤداها أن «عقرم» قد يكون اسمًا لمعبود محلي ارتبط بمدينة شُكع، أكثر من أنه اسم ملك. وتستند هذه الفرضية إلى المقارنة اللغوية بين مفردات النقوش المسندية وأسماء المعبودات المعروفة في جنوب الجزيرة العربية، مع الأخذ في الاعتبار أن منطقة شُكع كانت، على الأرجح، ضمن المجال الحضاري والسياسي لمملكة قتبان. ومع ذلك، تظل هذه القراءة اجتهادًا علميًا أوليًا، ينتظر ما قد تسفر عنه الدراسات الأثرية واللغوية المستقبلية من شواهد تؤيده أو تدفع إلى إعادة النظر فيه.

وتُفضي هذه المعطيات، في مجملها، إلى أن تسمية جبل عقرم (عقرم) لا تزال تمثل موضوعًا مفتوحًا للبحث العلمي، بما يستدعي إجراء دراسات مقارنة بين النقوش المسندية، واللقى الأثرية، والمصادر التاريخية، وصولًا إلى تفسير أكثر دقة لأصل التسمية ودلالتها ووظيفتها في السياق الحضاري لموقع شُكع. ولا شك أن أي نتائج مستقبلية ينبغي أن تستند إلى شواهد أثرية ونقوش جديدة، بما يتيح مراجعة الفرضيات القائمة أو تطويرها في ضوء ما قد تكشفه أعمال البحث والتنقيب.

ومن أبرز الشواهد التي تؤكد الأهمية الحضارية لمدينة شُكع التاريخية، ما يضمه متحف الضالع الوطني من مجموعة متميزة من القطع الأثرية المستخرجة من موقع عقرم الأثري، تضم تماثيل صغيرة، ومسكوكات نقدية، ولقى حجرية وفخارية، ونذورًا مصنوعة على هيئة أعضاء آدمية، وهي من القطع النادرة التي تعكس جانبًا من الممارسات الدينية والرمزية في المجتمع اليمني القديم.

نتائج التنقيبات الأثرية ودلالاتها الحضارية

تكشف المعالم الأثرية في مواقع شُكع عن مشهدٍ عمرانيٍّ وجنائزيٍّ متكامل، يتمثل في مجموعة من الهضاب الصخرية الواقعة على امتداد السفوح الغربية والجنوبية لجبل عقرم، حيث تنتشر المقابر المنحوتة في الصخور، إلى جانب بقايا منشآتٍ معمارية ولقى أثرية متنوعة، بما يعكس المكانة الحضارية والدينية التي تمتعت بها تلك المواقع خلال العصور القديمة.

ومن أبرز المواضع الأثرية في موقع عَقْرَم منطقةٌ تقع بالقرب من قمة جبل عقرم، تُعرف محليًا باسم (حبول عيسى). وقد أسفرت أعمال التنقيب فيها عن العثور على عددٍ من القطع الأثرية المهمة، وهو ما يؤكد أن هذه المنطقة كانت إحدى البؤر الرئيسة للنشاط البشري في الموقع.

وتشير نتائج التقرير الأولي الذي أعده فريق مركز الدراسات والبحوث الثقافية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية المشارك في أعمال البعثة الأثرية اليمنية - السوفيتية المشتركة إلى أن المكتشفات الأثرية تقدم معطيات مهمة لفهم التسلسل الحضاري للموقع، مع أن تحديد تأريخه بصورة نهائية يظل رهينًا بمواصلة أعمال التنقيب والدراسة العلمية.

وقد كشفت الحفريات عن بقايا معبد صغير تحيط به دائرة حجرية يبلغ قطرها نحو (3.30) أمتار، يتوسطه مذبح عُثر عليه مع تمثال صغير يُعتقد أنه يمثل معبودًا، إضافة إلى رأس ثور وعدد من اللقى المرتبطة بالطقوس الدينية والتقدمات النذرية، وهي مكتشفات تعكس جانبًا من الممارسات الشعائرية التي كانت سائدة في الموقع.

كما أظهرت التنقيبات تنوعًا في الأنماط الجنائزية؛ إذ عُثر على قبور مُشيَّدة بألواحٍ حجرية، وتوابيتٍ منحوتة من الحجر، فضلًا عن مدفنٍ مشترك لرجل وزوجته، وقبر كبير مكوَّن من مستويين، وهو نمط معماري يقترب في خصائصه من بعض المدافن المعروفة في موقع حيد بن عقيل، بمديرية عسيلان في محافظة شبوة، بالقرب من مدينة تمنع التاريخية، عاصمة مملكة قتبان القديمة، الأمر الذي يفتح المجال أمام مقارنات أثرية قد تسهم في فهم العلاقات الحضارية بين هذه المراكز القديمة.

وأشارت نتائج التنقيب كذلك إلى وجود حجرات جنائزية مُشيَّدة تحت مستوى سطح الأرض، إضافة إلى تماثيل مصنوعة من المرمر، وحُلي ذهبية، وعملات نقدية، وأوانٍ ولقى فخارية، وغيرها من المكتشفات التي تقدم شواهد مهمة على المستوى الفني والاقتصادي والمعتقدات الجنائزية لسكان مدينة شُكع التاريخية في العصور القديمة.

وتؤكد هذه المكتشفات أن مواقع شُكع الأثرية لم تكن مجرد تجمع سكني، بل كانت مراكز دينية وحضارية ذات أهمية، جمعت بين الوظائف العمرانية والطقسية والجنائزية، وهو ما منحها مكانةً متميزة بين المواقع الأثرية في جنوب الجزيرة العربية.

شُكع في المصادر التاريخية

لا تقتصر أهمية شُكع على شواهدها الأثرية فحسب، بل تمتد إلى حضورها في المصادر التاريخية التي تشير إلى استمرار دورها خلال العصور الإسلامية، وهو ما يدل على أن الموقع احتفظ بمكانته

الاستراتيجية لقرون طويلة بعد انتهاء ازدهاره في العصور القديمة فقد ورد ذكر شُكع في عدد من المصادر التاريخية المتأخرة، ومن أبرزها كتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي، الذي أشار إلى أحداث جرت في حصن شُكع سنة (801هـ)، بما يعكس الأهمية العسكرية والإدارية التي احتفظ بها الحصن خلال العصر الرسولي.

ويُعرف هذا الحصن اليوم باسم حصن المفلحي، وهي تسمية ارتبطت بمشيخة المفلحي السفلى التي اتخذت من منطقة (خلّة) مركزًا لها حتى نهاية الاحتلال البريطاني في جنوب اليمن عام 1967م. ويبدو أن الحصن كان جزءًا من منظومة دفاعية متكاملة ضمت عددًا من الحصون والنقاط العسكرية التي كانت تؤمن الطرق والمراكز السكانية في المنطقة.

كما تشير طبيعة التضاريس المحيطة بجبل عقرم إلى وجود شبكة من التحصينات الدفاعية التي اندثر معظمها بفعل عوامل الزمن والتدخل البشري، ومن بينها حصن قديم يقع بالقرب من بلدة الحُصين القديمة، كان يُعرف بحصن (المقوتل)، ولم يبقَ منه اليوم سوى إشارات تاريخية تؤكد وجوده في الماضي.

وتعكس هذه الشواهد مجتمعة الأهمية التاريخية والاستراتيجية التي تمتعت بها مدينة شُكع التاريخية عبر مختلف العصور، وتبرز استمرارية دورها بوصفها مركزًا عمرانيًا ودفاعيًا ارتبط بتاريخ المنطقة منذ العصور القديمة وحتى الفترات الإسلامية المتأخرة. وعلمًا بأن مدينة شُكع التاريخية كانت عاصمة الكيان السياسي أو المملكة المسماة (يُهَنْطِل)، والتي ذكرت في عدة نقوش سبئية وقتبانية وحِمْيَرية، منذ القرن الثامن قبل الميلاد وحتى القرن الثالث الميلادي.

الخاتمة

تؤكد المعطيات الأثرية والشواهد التاريخية أن موقع شُكع، ممثلًا بجبل عقرم، يُعد من أبرز المواقع الأثرية في محافظة الضالع، ومن المواقع الواعدة لدراسة تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. فقد كشفت المسوحات والتنقيبات الأثرية عن وجود شواهد معمارية ودينية وجنائزية متنوعة، تعكس مستوى متقدمًا من التنظيم الحضاري، وتبرز أهمية الموقع بوصفه مركزًا استيطانيًا ودينيًا ارتبط بشبكة المراكز الحضرية التي ازدهرت في المنطقة خلال العصور القديمة.

كما تُبرز الدراسات الأثرية التي نفذتها البعثات المحلية والدولية القيمة العلمية للموقع، إذ أسهمت في الكشف عن معابد، ومدافن، ولقى أثرية، ومسكوكات نقدية، ونقوش، ومقتنيات ذات أهمية كبيرة في إعادة بناء ملامح الحياة الدينية والاجتماعية والفنية لسكان المنطقة. وتؤكد هذه المكتشفات أن الموقع لا يزال يحتفظ بإمكانات علمية كبيرة، وأن كثيرًا من أسراره التاريخية لم تُكشف بعد.المقابل، فإن ما أثير حول أصل تسمية جبل عقرم (عقرم) أو دلالتها اللغوية والدينية يظل في إطار الفرضيات العلمية التي تحتاج إلى المزيد من الدراسات المقارنة، ولا سيما في ضوء ما قد تسفر عنه الاكتشافات الأثرية المستقبلية من نقوش أو نصوص جديدة تسهم في حسم كثير من القضايا المتعلقة بتاريخ الموقع وهويته الحضارية.

ومن جهة أخرى، تكشف الإشارات الواردة في المصادر التاريخية الإسلامية عن استمرار الأهمية الاستراتيجية لشُكع خلال العصور الوسطى، وهو ما يعكس استمرارية الدور الذي اضطلعت به المنطقة عبر مراحل تاريخية متعاقبة، ويؤكد أن مكانتها لم تقتصر على العصر القديم، بل امتدت إلى الفترات الإسلامية اللاحقة.

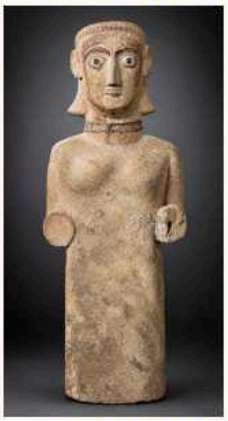
وتأسيسًا على ما سبق، فإن جبل عقرم في شكع يمثل سجلًا حضاريًا مفتوحًا، لا تزال صفحاته تحتفظ بالكثير من الشواهد التي تنتظر البحث العلمي للكشف عنها؛ الأمر الذي يجعل من هذا الموقع أحد أهم مفاتيح دراسة التاريخ القديم للضالع وجنوب الجزيرة العربية عمومًا.



رفقة عالمة الآثار الإيطالية الدكتورة
سابينا أنتونيني في جبل عقرم عام 20



مثال ذات مكانة لامرأة معتبرة ترتدي رداءً وفيزا أو (كثير الثنايا) - مقبرة شُكع



تمثال لشخصية أنثوية واقفة
مقابر جبل عقرم



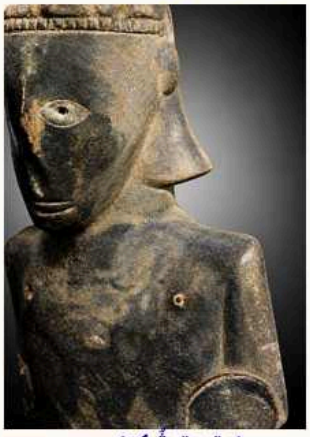
شاهد قبر (مسلة جنائزية)
منقوش عليها هلال وقرص الشمس



بشري يحمل كتابات مسندية
مقابر جبل عقرم -



رأس تمثال من حجر الكلس من مقابر جبل عقرم



(مقبرة شُكع)
جسم تمثال لأنثى



أساور
فضية قديمة (مقبرة شُكع)

مملكة يُهَنْطِل وحاضرتها مدينة شُكع

قراءة تاريخية في ضوء النقوش والشواهد الأثرية

قراءة تاريخية تحليلية



الباحث/شايف محمد الحدي

تكشف المُعطيات النقشية التي حفظتها المدونات المكتوبة بالخط المسند عن مشهد سياسي وحضاري بالغ الثراء والتعقيد، تشكل وتطور في مناطق جنوب الجزيرة العربية خلال الألفية الأولى قبل الميلاد؛ إذ تجاوز المشهد التاريخي أطر الهيمنة التقليدية للكيانات الكبرى نحو ظهور حواضر وممالك محلية تمتلك مقومات السيادة والاستقلال، وأسهمت بفاعلية في صياغة البُنى السياسية والاقتصادية والثقافية لليمن القديم. وفي هذا السياق الجيوسياسي، تبرز مملكة يُهَنْطِل. «𐩱𐩣𐩧» ككيان سياسي موثق بشواهد نقشية ترجع بجذورها إلى القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل، استنادًا إلى ما أورده نقش المكرِّب السبئي «يَنَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب مَلِك» مُشيرًا إلى أحد ملوكها المسمى كريهمو (𐩣𐩫𐩱𐩧𐩲) ،ليتواتر لاحقًا اقتران اسم حاضرتها «شُكع» بأرض يُهَنْطِل في المدونات القتبانية، قبل أن تستقر صيغة «شعب يُهَنْطِل» في نُقوش «المعسال» الحِمْيَرية المؤرخة بالقرن الثالث الميلادي. وتستمد هذه المادة البحثية أهميتها من محورية الارتباط بمدينة شُكع «𐩣𐩫𐩱𐩧» بوصفها ثغرًا استراتيجيًا ومركزًا حيويًا في المرتفعات الجنوبية الغربية بين واديي بَنَا وتُبن، وهو ما تؤكده الشواهد الكتابية في مدونات سبأ وقتبان وحِمْيَر، تعضدها المكتشفات الأثرية الواعدة في شُكع وجبل عقرم «𐩱𐩣𐩧» والامتدادات الجغرافية المجاورة في محافظة الضالع حاليًا المحتدم مع القوى الإقليمية المهيمنة وفي طليعتها سبأ، ممتدةً بحضورها عبر الحقبتين القِتبانية والحِمْيَرية؛ بموازاة ما تُسفر عنه الشواهد الأثرية في مدينة شُكع عن مجتمع ارتقى مدارج العمارة المتقدمة والفنون الرفيعة والتقاليد الجنائزية والدينية المعقدة، فضلًا عن موقعها التجاري المتميز الذي جعل منها حلقة وصل ومحطة التقاء محورية بين الممالك وحواضر الأقاليم الجنوبية، وهي شواهد مجتمعة تُقدم قرائن نوعية لدراسة الامتداد الجغرافي والسياسي لمملكة يُهَنْطِل، وإن كانت لا تنهض وحدها دليلاً قاطعًا على اتخاذ مدينة شُكع عاصمة مركزية مطلقة لتلك المملكة.

وتسعى المادة البحثية إلى تقديم قراءة تاريخية جديدة لمملكة «يُهَنْطِل» وحاضرتها «شُكع»؛ وذلك من خلال مقاربة منهجية تقاطعيه بين الشواهد النقشية والمعطيات الأثرية المتاحة. وتستجلي المادة البحثية القرائن المتعلقة بالموقع الجغرافي للمملكة، ومكانتها السياسية، ودور حاضرتها أو عاصمتها المحوري في شبكة الطرق القديمة، فضلاً عن استنطاق المخلفات المادية والأثرية التي تسهم في إضاءة حقبة مهمة من تاريخ المنطقة وتطورها الحضاري.

قراءة في دلالة البنية الصرفية لاسم «يُهَنْطِل

يستوقفنا في السياق اللغوي والنطقي لاسم «يُهَنْطِل» - المضبوط بضم الياء، وفتح الهاء، وسكون النون، وكسر الطاء – جانب تحليلي لافت بوصفه صيغة فعل مضارع مزيد على مادة (ن ط ل) في المسند، بحسب ما أورده (حاج – العادي21). غير أن فهم هذه الصيغة في إطار النقوش العربية الجنوبية المكتوبة بالمسند يقتضي مراعاة خصوصية النظام الصرفي والنحوي لهذه اللغات؛ إذ إن الصيغ الفعلية، ولا سيما صيغ المضارع المزيدة، قد لا ترد دائمًا بوظيفتها الفعلية المباشرة، بل يمكن أن تدخل في تركيب الأسماء والأعلام، لتغدو دالة على أسماء أشخاص، أو مواضع، أو قبائل، أو ممالك، تبعًا للسياق اللغوي والنقشي الذي ترد فيه. ومن ثم، فإن قراءة «يُهَنْطِل» وتحديد دلالتها لا ينبغي أن تستند إلى بنيتها الصرفية وحدها، وإنما إلى موقعها في السياق النقشي والتاريخي،

وما يحيط بها من قرائن لغوية وسياسية وجغرافية.



مذبح جنائزي من الرخام على أربع قواعد

يُهَنْطِل في المشهد السياسي لجنوب الجزيرة العربية: من يثع أمر وتر إلى كرب إيل وتر

تكتسب الإشارات الواردة في النقوش السبئية أهمية خاصة في إعادة بناء التاريخ السياسي والعسكري لجنوب الجزيرة العربية خلال أواخر القرن الثامن وبدايات القرن السابع قبل الميلاد؛ إذ لا تقتصر هذه النصوص على تسجيل أسماء الملوك والقبائل والكيانات السياسية، وإنما تقدم معطيات مباشرة عن طبيعة العلاقات والصراعات التي شهدتها المنطقة، وعن اتساع النفوذ السبئي ومحاولاته إخضاع عدد من الكيانات والمراكز المحيطة به. وتكشف هذه النقوش عن وجود وحدات سياسية متعددة ومتميزة، لكل منها مجال جغرافي وسلطة سياسية خاصة بها.



رأس تمثال مهشم معثورات مقبرة شُكع

وفي هذا السياق يبرز كيان يُهَنْطِل بوصفه أحد الكيانات السياسية التي تظهر في مرحلة مبكرة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية. وتكتسب هذه الإشارة أهمية خاصة من خلال نقش المكرب السبئي يَثَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب مَلِك، المعروف بـ نقش صرواح (DASI ṢIRWĀḤ 2005-50/2)، وهو من النصوص المهمة التي تلقي الضوء على الحملات العسكرية السبئية وعلى الكيانات التي كانت قائمة في المنطقة في تلك المرحلة.



تمثال صغير من الحجر الكلسي

وتزداد أهمية النقش بالنسبة إلى دراسة (يُهَنْطِل) لورود اسم ملكها بصورة صريحة؛ إذ يأتي ذلك ضمن قائمة بالملوك الذين قُتلوا خلال حملة المكرِّب السبئي يَثَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب مَلِك (𐩣𐩵𐩲 𐩺𐩧𐩲)

𐩣𐩵𐩲 𐩺𐩧𐩲 𐩱𐩣𐩲 𐩣𐩵𐩲 𐩣𐩲𐩺𐩲 𐩣𐩵𐩲 𐩣𐩵𐩲 𐩣𐩲𐩺𐩲 𐩣𐩵𐩲

ويَرِد في النص المسندي:

𐩣𐩵𐩲 𐩺𐩧𐩲 𐩱𐩣𐩲 𐩣𐩵𐩲 𐩣𐩲𐩺𐩲 𐩣𐩵

بأنه ملك يُهَنْطِل. وتظل دلالة الاسم وأصل التسمية بحاجة إلى مزيد من المقارنة مع مجموعة الأسماء السبئية والجنوبية، ولا سيما في ضوء محدودية الشواهد التي تتيح التحقق من شخصية هذا الملك والكيان الذي حكمه.



تمثال وثدي على قاعدة

ومن المهم، في هذا السياق، التمييز بين شهادة نقش المكرِّب السبئي يَثَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب مَلِك وبين النقوش اللاحقة للملك السبئي كرب إيل وتر بن ذمار علي، ولا سيما RES 3945 وRES3946 . فهذه النصوص تمثل مرحلة تاريخية لاحقة، وتتضمن أخبارًا عن حملات كرب إيل وتر العسكرية واتساع النفوذ السبئي. ولذلك فإن ذكر كبرهمو ملك يُهَنْطِل ينبغي أن يُنسب إلى نقش يَثَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب، لا إلى نقش النصر RES 3945، تجنبًا للخلط بين الشخصيات والنصوص والمراحل التاريخية. وتؤكد المادة الأصلية أن كرب إيل وتر جاء في مرحلة لاحقة من التسلسل الزمني.



نقش النصر للمكرب كرب إيل وتر

ومن الناحية التاريخية، فإن التسلسل الذي يمكن اعتماده في دراسة يُهَنْطِل يبدأ بشهادة نقش المكرِّب السبئي يَثَع أمَر وَتَر بن يَكْرُب مَلِك، الذي يذكر كبرهمو ملك يُهَنْطِل، ثم ينتقل إلى المرحلة اللاحقة في عهد كرب إيل وتر بن ذمار علي (𐩱𐩣𐩵 𐩺𐩣𐩵 𐩱𐩺𐩣 𐩺𐩣𐩵 𐩱𐩣𐩵) ويساعد هذا التسلسل على وضع يُهَنْطِل ضمن سياق تاريخي أقدم من المرحلة المرتبطة بنقوش كرب إيل وتر، كما يتيح قراءة تطورات المشهد السياسي والعسكري في جنوب الجزيرة العربية بصورة أكثر دقة. وتبرز أهمية هذه المعطيات كذلك عند دراسة المجال الجغرافي المرتبط بيُهَنْطِل، ولا سيما في إطار البحث في تاريخ المناطق الواقعة في جنوب الهضبة اليمنية. ومن هنا تأتي أهمية الربط بين الشواهد النقشية والمواقع الأثرية، بما فيها مدينة شُكع وجبل عقرم؛ غير أن إثبات صلة مباشرة بين جبل عقرم أو شُكع والأحداث الواردة في نقش المكرِّب يَثَع أمَر وَتَر يحتاج إلى قرائن أثرية ونقشية مستقلة، ولا يكفي فيه مجرد التقارب الجغرافي أو التشابه في الأسماء.

وعليه، يمثل نقش يَثَع أمَر وَتَر شاهدًا أساسيًا في دراسة التاريخ السياسي المبكر ليُهَنْطِل؛ فهو يثبت، بصورة مباشرة، وجود كيان يحمل هذا الاسم وارتباطه بملك هو كبرهمو. وتكتسب هذه الشهادة أهمية خاصة في دراسة تاريخ المنطقة، لأنها تقدم أساسًا نقشيًا يمكن البناء عليه عند بحث موقع يُهَنْطِل ضمن الخريطة السياسية لجنوب الجزيرة العربية، مع ضرورة الجمع بين الأدلة النقشية والأثرية والجغرافية للوصول إلى تحديد أكثر دقة لمجالها وعلاقتها بالمواقع التاريخية في مدينة شُكع وجبل عقرم.

الموقع الجغرافي لمملكة يُهَنْطِل

تمثل الجغرافيا عنصرًا أساسيًا في فهم تاريخ يُهَنْطِل؛ إذ ارتبط موقعها بشبكة من الأودية والمرتفعات والطرق التي أسهمت في تشكيل مكانتها السياسية والاقتصادية. وبحسب المعطيات الواردة في النقوش والدراسات المشار إليها في المادة، امتدت أراضي يُهَنْطِل بين وادي بَنَا ووادي تُبن، في نطاق جغرافي يقع اليوم ضمن مناطق الضالع وما جاورها. وكانت مدينة شُكع تقع في قلب هذا المجال، الأمر الذي يفسر ارتباط اسم المدينة بالكيان السياسي الذي كانت عاصمته.

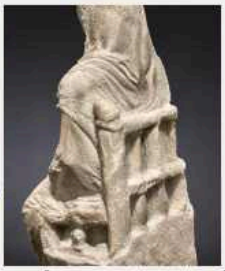
وتشير المقارنة بين الموقع الحالي لمدينة شُكع وما ورد في النقوش إلى أنها تقع في نطاق جغرافي يربط بين يافع من جهة، وحَجْرُ بن ذي رُعَيْن ومناطق الضالع من جهة أخرى، وهو ما ينسجم مع تحديد نطاق يُهَنْطِل في المصادر النقشية.



وعلى هذا الأساس، يمكن النظر إلى يُهَنْطِل بوصفها كيانًا سياسيًا نشأ في منطقة ذات طبيعة جغرافية متميزة، تجمع بين المرتفعات والأودية، وتقترب في الوقت نفسه من مسارات التجارة التي كانت تربط مناطق جنوب الجزيرة العربية بعضها ببعض.

شُكع عاصمة يُهَنْطِل

ارتبط اسم يُهَنْطِل بمدينة شُكع ارتباطًا وثيقًا، وتكشف النقوش القتبانية عن مكانة المدينة باعتبارها عاصمة لهذا الكيان السياسي. ومن أهم الشواهد في هذا الجانب نقش يعود إلى عهد الملك القتباني شهر يجل يُهَرْجب، ويرجع تاريخه إلى الفترة الممتدة بين القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي. ويذكر النقش مدينة شُكع في سياق تجاري وديني، بما يؤكد أن المدينة كانت مركزًا سياسيًا واقتصاديًا مهمًا في المنطقة.



مثال لامرأة جالسة بمهابة على مقعد

وتزداد أهمية هذا النقش لأنه يتحدث عن رجال من شعب «الأريوم» المقيمين في مدينة مريمة، قدموا إلى مدينة شُكع الواقعة في أرض يُهَنْطِل للتجارة، وقدموا نذرًا إلى المعبود حوكم وإلهيه، ووضعوا تمثالهم في حمايته. كما ورد في النص ذكر ملك قتبان شهر يجل يُهَرْجب، وهو ما يعكس شبكة العلاقات السياسية والدينية والتجارية التي كانت تربط مدينة شُكع بغيرها من المراكز الجنوبية.

ولا تقتصر أهمية هذا الشاهد على الجانب الديني، بل يقدم دليلًا على أن شُكع كانت مدينة تستقبل جماعات تجارية من مدن ومناطق أخرى، الأمر الذي يعكس موقعها ضمن شبكة طرق القوافل في المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية لمملكة قتبان. وبذلك تبدو مدينة شُكع أكثر من مجرد عاصمة سياسية؛ فقد كانت مركزًا تجاريًا وحضاريًا، وملتقى لجماعات بشرية متعددة، وهو ما ساعد على ازدهار النشاط الاقتصادي والحرفي والديني فيها.

يُهَنْطِل بين سبأ وقتبان وحِمْيَر

لم يقتصر ظهور يُهَنْطِل في المصادر القديمة على النقوش السبئية المبكرة، بل استمر اسمها في النقوش القتبانية ثم الحِمْيَرية، وهو ما يسمح بتتبع حضورها التاريخي عبر مراحل زمنية متعاقبة. ففي العصر القتباني، يظهر اسم يُهَنْطِل في النقش المنسوب إلى عهد شهر يجل يُهَرْجب، الذي يربطها بمدينة شُكع ويكشف عن نشاط تجاري بين سكان مريمة وشُكع. وتدل هذه الإشارة على أن الكيان كان لا يزال معروفًا باسمه، وأن المدينة كانت تتمتع بمكانة ضمن شبكة المراكز التجارية في المرتفعات، وهذا هو بداية النقش بالحروف المسندية.



نقش
حاج - العادي21
الذي يذكر أرض يُهَنْطِل

أما في العصر الحِمْيَري، فتشير النقوش إلى تعرض أرض يُهَنْطِل لحملات عسكرية. ومن ذلك نقش يعود إلى القرن الثالث الميلادي، يذكر حملة قادها حظين أوكن بن معاهر بأمر الملك ياسر يُهَنْعم، ملك سبأ وذي ريدان، على أرض شعب يُهَنْطِل. ويرتبط وصف المجال الجغرافي في النقش بوادي بَنَا وجبل ذودان وذي رحبان، وهي مواضع تقع ضمن الإطار الجغرافي للضالع ومحيطها. وتكشف هذه الإشارات عن استمرار حضور يُهَنْطِل في الذاكرة السياسية والنقشية لجنوب الجزيرة العربية حتى القرون الميلادية الأولى، رغم تغير موازين القوى وانتقال مركز الثقل السياسي بين سبأ وقتبان وحِمْيَر.

شُكع على طريق التجارة

تُبرز الشواهد النقشية والأثرية إلى دور موقع مدينة شُكع بوصفه أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في ازدهارها. فقد وقعت المدينة في نطاق المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية لمملكة قتبان، بالقرب من مسارات القوافل التجارية.

كما أن طبيعة موقعها بين الأودية والمرتفعات جعلتها نقطة اتصال بين المناطق الداخلية ومراكز أخرى في جنوب الجزيرة العربية. ومن هنا يمكن تفسير كثرة الشواهد الدينية والجنائزية والحرفية التي ظهرت في الموقع، باعتبارها انعكاسًا لحياة مدينة كانت تستقبل سكانًا وجماعات تجارية متعددة.



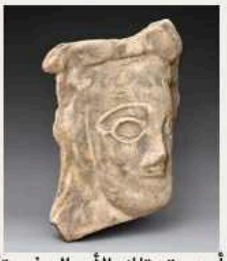
رأس بشري بعيون محفورة

ويبدو أن الصراع بين القوى السياسية الكبرى على المرتفعات الجنوبية والجنوبية الغربية لم يكن منفصلًا عن أهمية هذه المنطقة اقتصاديًا؛ فالسيطرة عليها كانت تعني، في جانب منها، التحكم في طرق الحركة التجارية والربط بين المناطق الداخلية والمراكز الاقتصادية الأخرى.وبذلك أسهم الموقع الجغرافي لشُكع في تعزيز مكانتها السياسية والاقتصادية، وجعلها واحدة من المدن المهمة في مجال طرق القوافل القديمة.

يقابل مطلع النص بالعربية الدلالة الآتية: (هؤلاء هم شعب الأريوم المقيمين للتجارة في مدينة شُكُع يعلنون أنهم قدَّموا للمعبود حوكم نبط وإلهيه تمثال من البرونز من التزام أو ثواب ريع كانوا قد التزموا (ثوبوا) به معبودهم حوكم حين كانوا للتجارة في مدينة شُكُع الواقعة بأرض يُهَنْطِل (وقد) وضعوا في حماية المعبود حوكم...)

جبل عقرم والمشهد الجنائزي في شُكع

يمتد جبل عقرم المطل على الجزء الغربي من مدينة شُكع، إذ تشير النقوش والمعطيات الأثرية إلى ارتباطه بالممارسات الجنائزية في المدينة. وتشير أعمال التنقيب التي قام بها علماء الآثار السوفييت في خرائب شُكع، ولا سيما في جبل عقرم خلال ثمانينيات القرن العشرين، إلى اكتشاف عدد كبير من المدافن واللقى الأثرية، شملت تماثيل للحيوانات، وفخاريات، وعظامًا بشرية وحيوانية، وألواحًا نذرية مكتوبة بخط المسند الجنوبي، إضافة إلى رسوم بشرية وحيوانية.



رأس رجل من
معثورات مقبرة جبل عقرم

وأسهمت تلك الأعمال في تكوين صورة أكثر وضوحًا عن المدينة القديمة، كما كشفت عن امتداد جبل عقرم الكبير وتنوع منشآته الجنائزية. وتتميز القبور المنقورة فيه بتنوعها، وعُثر داخلها على تماثيل صغيرة ومنحوتات من الحجر الكلسي، إلى جانب تمائم وأختام وأساور وأسلحة وقطع فخارية وأوانٍ معدنية.

وقد أودعت بعض هذه المكتشفات في متحفي الضالع وعدن الوطني، لتصبح جزءًا من الشواهد المادية التي توثق تاريخ المنطقة وحضارتها. ومن بين الشواهد المهمة نقش إهدائي من مقبرة شُكع يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد يرتبط بمعبد عقرم، ورد فيه اسم المعبود يأسر، ويكشف النص عن تقديم إهداء للمعبود في معبد عقرم. كما ارتبط النقش بمشهد تصويري يُمثل رجلاً يحمل رمحًا في مواجهة أسد، يتقدمه ثعبان، في مشهد يجمع بين العناصر الرمزية والفنية، وجاء في نصه:

« (ع) ذ ن/ ذ ت/ ه ف ر ع/ س ق ن ي ت/ ي أ س ر/ ع د/ ع ق ر م»

ومعناه، وفق القراءة الواردة في المادة:

«عذن صاحبة هفرع قدمت هذا الإهداء للمعبود يأسر في معبد عقرم



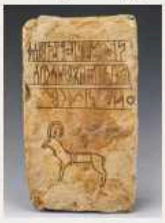
نُصب بقرون تصويرية
مقدم لمعبد عقرم

وفي نصبٍ آخر من مقبرة شُكع، يُؤرَّخ إلى القرن الأول قبل الميلاد، صُنع من الحجر الكلسي، يَرِد نقشٌ إهدائي ذو أهمية خاصة في سياق دراسة الممارسات الدينية والنذرية في جنوب الجزيرة العربية. ويرتبط هذا النصب بمعبد عقرم، إذ يتضمن إهداءً مقدمًا إلى المعبود يأسر، من قِبل شخص معتبر يُدعى إيلي رام بن دثيأة، وقد وردت صيغة الإهداء على النحو الآتي:

«أهدى إيلي رام بن دثيأة نُصُبًا إلى يأسر وفاءً بما وعد به في جبل عقرم»

وتكشف هذه الصيغة النقشية بوضوح عن طبيعة نذرية للإهداء؛ فعبارة «وفاءً بما وعد به» تشير إلى التزام تعبدي سابق قطعه المُهدي، ثم أوفى به من خلال إقامة النصب وتقديمه إلى المعبود. ويكتسب هذا النص أهمية إضافية من اقترانه بموضعٍ مقدس هو جبل عقرم، بما يعكس الصلة الوثيقة بين المكان والعبادة والنذر في الممارسات الدينية القديمة.

كما تتوسط اللوحة هيئة بارزة للوعل، وهو من أبرز الرموز الحيوانية حضورًا في الفن الديني لجنوب الجزيرة العربية القديمة، الأمر الذي يضفي على النصب بُعدًا رمزيًا يتجاوز الوظيفة التذكارية للنقش. فاجتماع النص المسندي، والإهداء النذري، واسم المعبود يأسر، والإشارة إلى جبل عقرم، والتمثيل التصويري للوعل يقدم شاهدًا ماديًا متكاملًا على التفاعل بين الكتابة والمعتقد والممارسة الطقسية والفن الرمزي في البيئة الدينية القديمة.



نُصب من الحجر الكلسي
إهداء إلى معبد عقرم

وعليه، لا يُقرأ هذا النصب بوصفه أثرًا كتابيًا فحسب، بل بوصفه وثيقة دينية ومادية تكشف جانبًا من طبيعة العلاقة بين الفرد والمعبود والمكان المقدس، وتوفر في الوقت ذاته معطى مهمًا لفهم الطقوس النذرية والرموز الدينية المرتبطة بمعبد عقرم خلال تلك الحقبة.

الآثار والفنون في شُكع

لا تكمن أهمية شُكع في النقوش وحدها، وإنما تمتد إلى ما كشفت عنه آثارها من مظاهر فنية وحرفية. فقد عُثر في الموقع على مجموعة متنوعة من المنحوتات والتماثيل واللقى الجنائزية، بما يعكس تطورًا في الفنون المحلية وقدرة الحرفيين على التعامل مع الحجر والمعادن والمواد المختلفة.

ويمثل هذا الجانب من المكتشفات صورة من صور الفن المحلي لممالك جنوب الجزيرة العربية القديمة، ولا سيما التماثيل الصغيرة ذات الأغراض النذرية أو الجنائزية. وقد أشار عالم الآثار والمستشرق الإيطالي أليساندرو دي ميغرية إلى نمط من المنحوتات التي تتسم بأجسام قصيرة وملامح جامدة وحركات محدودة، وهو نمط يندرج ضمن التقاليد الفنية التي عرفتها بعض مراكز اليمن القديم.



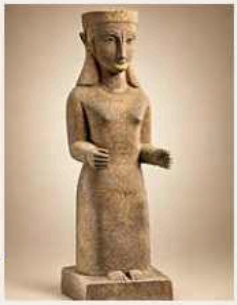
رأس رجل ملتح

كما ارتبطت بعض التماثيل بمظاهر واضحة من صناعة الحلي والزينة، إذ تظهر على إحدى السيدات مجموعة من الحلي والقلائد، وهو ما يعكس مستوى من المهارة الحرفية في تصنيع المجوهرات واستخدام المعادن والأحجار.

وقد عُرضت بعض القطع الأثرية المنسوبة إلى الحضارة اليمنية القديمة في عدد من المعارض الدولية، ومن بينها تمثال «سيدة الضالع»، الذي عُرض في مدينة لاكورونيا بمقاطعة جاليسيا الإسبانية عام 2003م، ضمن جولة دولية خُصصت للتعريف بالحضارة اليمنية القديمة، وشهدت مشاركة عدد من المتاحف والمؤسسات الثقافية العالمية.

ويُعد التمثال المعروف باسم «سيدة الضالع» من الشواهد الأثرية البارزة؛ إذ عُثر عليه في مقبرة شُكع، ويُرجَّح أن يعود تاريخه إلى القرن الأول قبل الميلاد. وهو منحوت من الحجر الكلسي، ويُعرض حاليًا في متحف عدن الوطني. أما الفرزة الحلي التي تحملها «سيدة الضالع»، فتتألف من تسعة صفوف من الخرز المسطح أو من الوحدات الزخرفية الصغيرة المثبتة على الجبين، وقد عُدّت هذه الحلية، بما تحمله من خصائص فنية وزخرفية، من العناصر الدالة على المكانة الاجتماعية والذوق الفني السائد في البيئة الحضارية التي أنتجت التمثال.

وقد حظي هذا التمثال باهتمام عدد من الباحثين والمؤرخين، ووصفه عالم الآثار والمستشرق الإيطالي أليساندرو دي ميغرية بأنه من القطع ذات القيمة الفنية والأثرية المتميزة، لما يجسده من خصائص النحت والزخرفة في اليمن القديم.



تمثال سيدة الضالع

ويُعرض حاليًا في متحف عدن الوطني. أما الفرزة الحلي التي تحملها «سيدة الضالع»، فتتألف من تسعة صفوف من الخرز المسطح أو من الوحدات الزخرفية الصغيرة المثبتة على الجبين، وقد عُدّت هذه الحلية، بما تحمله من خصائص فنية وزخرفية، من العناصر الدالة على المكانة الاجتماعية والذوق الفني السائد في البيئة الحضارية التي أنتجت التمثال.

وقد حظي هذا التمثال باهتمام عدد من الباحثين والمؤرخين، ووصفه عالم الآثار والمستشرق الإيطالي أليساندرو دي ميغرية بأنه من القطع ذات القيمة الفنية والأثرية المتميزة، لما يجسده من خصائص النحت والزخرفة في اليمن القديم.

وتكشف هذه المكتشفات، في مجملها، عن أن مدينة شُكع لم تكن مجرد مركز سياسي أو موضع استقرار سكاني فحسب، بل كانت كذلك مركزًا للفنون والحرف والصناعات الدقيقة. كما تشير الشواهد الأثرية إلى أن المجتمع الذي عاش فيها امتلك تقاليد فنية وحرفية متقدمة، تستحق مزيدًا من الدراسة والمقارنة، ولا سيما في ضوء ما تكشفه اللقى الأثرية من تنوع في تقنيات الصناعة وأساليب الزخرفة ومهارات النحت والتشكيل.

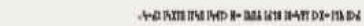


مجمرة دائرية
عليها كتابة مسندية

من بين الشواهد الدالة على عمق البعد الحضاري للموقع وتطوّر الفنون في العصر السبئي - الريداني، تبرز لوحة جدارية مصنوعة من البرونز، ترجع إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، بما تمثله من قيمة فنية وحضارية تكشف جانبًا من مظاهر الازدهار الثقافي والفني الذي شهدته المرحلة، عُثر عليها في محيط جبل عقرم في مدينة شُكع، وزُينت بمجموعة من الرسومات ذات الدلالات الرمزية، من بينها رسم تقريبي للأسد، وهي ضمن مقتنيات المتحف الوطني السعودي.

وتكتسب هذه اللوحة أهميتها من كونها لا تمثل مجرد عنصر زخرفي عابر، بل تبدو جزءًا من منظومة رمزية وفنية ارتبطت بالمعتقدات والتصورات الحضارية التي سادت في جنوب الجزيرة العربية خلال

العصور القديمة. ويظهر فيها رمز شجرة الحياة، وهو من الرموز ذات الحضور اللافت في الموروث الفني والديني لليمن القديم، وقد ارتبط في دلالاته بمعاني النماء والتجدد والخصب واستمرار الحياة. كما تشير المعطيات الواردة بشأن اللوحة إلى أنها كانت مرتبطة بمناسبة بناء معبد شُكع، وقد كُتب فيها نص يتضمن التالي:



ومعناها: «كرب إيل وتر يُهَنْعم، ملك سبأ وذي ريدان، شيد البيت (المعبد) شُكعان».

ويكتسب النص أهمية خاصة لما يتضمنه من إشارة واضحة إلى معبد شُكع، وهي قرينة نصية تعزز صلته المباشرة بالبيئة الجغرافية والحضارية للمنطقة، وتدعم القول بأن موطنه الأصلي هو المجال الأثري لشُكع، وإن كان قد نُقل لاحقًا إلى متحف آخر. ومن ثم، فإن دلالة النص لا تقتصر على محتواه الديني والعمراني، بل تكشف كذلك عن تداخل المؤسسة الملكية مع الممارسة الدينية، وتقدم شاهدًا على المكانة التي احتلتها مدينة شُكع ضمن الخارطة الحضارية والسياسية للممالك اليمنية القديمة.

وتتجاوز أهمية هذه اللوحة قيمتها الفنية البحتة؛ فهي تمثل وثيقة أثرية ذات أبعاد تاريخية ودينية وفنية، يمكن من خلالها استجلاء جانب من طبيعة النشاط المعماري والطقوسي الذي عرفته منطقة شُكع، كما تسهم في إضاءة موقع جبل عقرم ضمن المشهد الحضاري الأوسع لمرتفعات جنوب الجزيرة العربية.



لوحة جدارية مصنوعة من البرنز

ومن ثم، فإن دراسة هذه الشواهد، مقرونة بالنقوش واللقى الأثرية والمعالم المعمارية في المنطقة، تتيح قراءة أكثر اتزانًا لتاريخ الموقع، وتعيد تقديمه باعتباره فضاءً احتضن مظاهر من النشاط الإنساني والحضاري المتعاقب عبر حقب تاريخية موغلة في القدم.

يُذكر أن الملك كرب إيل وتر يُهَنْعم الأول، ابن الملك ذمار علي بين، كان أحد ملوك سبأ وذي ريدان في القرن الأول الميلادي. ويرجّح الباحثون أن فترة حكمه تعود إلى (النصف الثاني من القرن الأول الميلادي)، مع بقاء تحديد السنوات الدقيقة لحكمه موضع نقاش في الدراسات التاريخية والنقشية. وقد حمل لقب «ملك سبأ وذي ريدان»، وترد أخباره في عدد من النقوش المسندية، من أبرزها: (CIH 373 وRY540 وRES 3895 و JA 2898/4.5) وتوفر هذه النقوش معطيات مهمة حول عهده، ونطاق نفوذه، وأفراد أسرته وترتيبات انتقال السلطة داخل البيت الملكي.

وتشير النقوش إلى أن له ولدين تولّيا الحكم بعده، هما: هلك أمر وعمدان بيّن يُهَقْبض. كما ارتبط اسمه بالمصادر الكلاسيكية، ولا سيما كتاب الطواف حول البحر الإرتيري، حيث ذهب عدد من الباحثين إلى احتمال أن يكون الملك CHARIBAEL الوارد في الكتاب هو نفسه كرب إيل وتر يُهَنْعم.

النقوش مصدراً لتاريخ يُهنطل

تكتسب دراسة يُهَنْطِل أهمية بحثية خاصة، لما تزخر به من تعدد في المصادر النقشية التي توثق مراحل زمنية متعاقبة، وتتيح تتبع التحولات التاريخية والحضارية المرتبطة بها عبر فترات مختلفة. فالنقوش السبئية تقدم أقدم صورة معروفة عن المملكة، ولا سيما نقش صرواح المرتبط بحملات المكرب يثع أمر بن يكرب ملك في القرن الثامن قبل الميلاد.

ثم تظهر يُهَنْطِل في النقوش القتبانية، ومنها نقش عهد «شهر يجل يُهَرْجب» الذي يربط المملكة بمدينة شُكع ويكشف عن النشاط التجاري فيها.

وفي العصر الحِمْيَري يستمر حضور اسمها في النقوش التي تشير إلى الحملات العسكرية التي تعرضت لها أراضيها، بما يؤكد استمرار أهمية المنطقة سياسيًا وجغرافيًا.

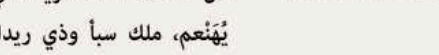
ومن اللافت أن بعض النقوش المكتشفة في مناطق مجاورة، مثل مريمة في شبوة، تسهم كذلك في إلقاء الضوء على العلاقات التجارية التي ربطت مدينة شُكع بالمراكز الأخرى. ومن أبرزها نقش «العادي 21»، إضافة إلى نقش بافقيه «المعسال 5»، اللذين يمثلان، وفق المادة، شاهدين مهمين على حضور شعب يُهَنْطِل في السياق السياسي والتجاري لجنوب الجزيرة العربية.



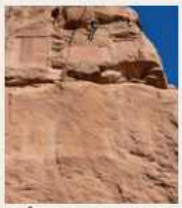
تمثال ثور جنائزي على قاعدة مصنوع من المرمر ،مقبرة شكع

يرتبط نقش المعسال الحِمْيَري (MAFRAY-AL-MISAL 5/18)، والذي يحمل تاريخًا بتقويم أبي علي بن رتع «أبعلي» هو 196 (=270 ميلادية)، بالقيل حظين أوكن بن معاهر، قيل شعب ردمان وخولان الجنوبية (الحد - يافع حاليًا)، وتدور مادته الأساسية حول نشاطه العسكري في عهد الملك الحِمْيَري ياسر يُهَنْعم، في سياق المواجهة مع الأحباش وأنصارهم. وبحسب النقل المنشور عن دراسة محمد عبدالقادر بافقيه «محتوى نقش المعسال 5»، يرد اسم «يُهَنْطِل» ضمن سياق هذه الأحداث العسكرية؛ فبعد قتال الجماعات المتحالفة مع الأحباش في المناطق الجنوبية الغربية، يذكر النص أن قوات حظين أوكن هاجمت «شعب يُهَنْطِل»، إلى جانب أرض ذي أشرق وبعض أرض خدار، وقامت بسوق وأسر أهل تلك المناطق. ويكتسب هذا الموضع من النقش أهمية خاصة؛ لأنه يقدم شاهدًا على استمرار ورود اسم يُهَنْطِل في النقوش اليمنية القديمة خلال القرن الثالث الميلادي.

يُوثق نقش منطقة «المعسال» حدثًا عسكريًا تمثل في الحملة التي شنَّها القائد (حظين أوكن) بأمر من ملك سبأ وذي ريدان (ياسر يُهَنْعم) ضد شعب (يُهَنْطِل) ومجاوريه من شعوب الهضبة الغربية، وفيما يلي النص المسندي للوثيقة الأثرية كما وردت في النقش:



(و س ب أ و/ ع د ي/ أ ر ض/ ش ع ب ن/ ي هـ ن ط ل/ و ذ ب ن/ أ ر ض/ ذ أ ش ر ق/ و ذ ب ن/ أ ر ض/ خ د ر م).



نقش المعسال الذي يذكر شعب يهنطل

وفيما يتصل بمضمون الأسطر المسندية الواردة في نقش المعسال، والتي يَرِد فيها ذكر شعب يُهَنْطِل، فقد جاء ترجمتها على النحو الآتي: «ثم إنهم تحركوا نحو أرض شعب يُهَنْطِل وبعض أرض ذي أشرق وبعض أرض خدار ويصحبهم الأقيال والخميس الذين وجههم مولاهم (ياسر يُهَنْعم، ملك سبأ وذي ريدان). وقد هاجموا كل تلك الأرض وساقوا وسبوا كل ما وجدوه بها من سهم (؟) ومقتنيات».

وتسمح هذه النقوش، عند قراءتها مجتمعة، بتجاوز الصورة التي قد يقدمها كل نقش منفرد، ورسم إطار أوسع لتاريخ يُهَنْطِل بوصفها كيانًا سياسيًا ظهر مبكرًا واستمر اسمها في المصادر لقرون متعاقبة.

الصِيرة في جغرافية يُهَنْطِل وشواهد الصراع الحِمْيَري - الحبشي

يمثل نقش ذخار - الضالع شاهدًا نقشيًا مهمًا في دراسة مدينة «صيرتن/الصِيرة» وتاريخها، فقد عُثر عليه في بلدة ذخار، ويتحدث عن مدينة الصِيرة وأعمال إعادة بنائها على يد الملك «إل يشرح أصدق وأبنائه، المنتسبين إلى قبيلة ذو يدم». وتنبع أهمية هذا الشاهد من كونه يحفظ اسم المدينة ويقدم معطيات عن إعادة بنائها، بما يضيف إلى معرفتنا بتاريخ الاستقرار والعمران في المنطقة خلال تلك المرحلة.

ولا يذكر النقش صراحةً أن مدينة الصِيرة كانت تابعة لمملكة يُهَنْطِل، غير أن وقوع المدينة ضمن الجغرافية التي كانت تشغلها يُهَنْطِل، وقربها من حاضرتها شُكع، التي لا تبعد عنها سوى بضعة أميال إلى الجنوب، يضعها ضمن المجال الجغرافي والحضاري للمملكة. ويكشف ذلك عن أن جغرافية يُهَنْطِل لم تكن تقتصر على حاضرتها شُكع، وإنما كانت تضم نطاقًا من المراكز والمواقع الحضرية التي ارتبطت بها ضمن مجال جغرافي متصل. وتتضاعف أهمية هذا المعطى عند النظر إلى مدينة الصِيرة في سياق التحولات السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة خلال القرن الثالث الميلادي. فقد كانت تلك المرحلة من أكثر الفترات اضطرابًا في تاريخ جنوب الجزيرة العربية، نتيجة تصاعد الصراع بين القوى الحِمْيَرية والأحباش، وما رافقه من تحركات عسكرية واسعة امتدت إلى مناطق الهضبة الغربية والمراكز الواقعة ضمن جغرافية يُهَنْطِل ومجاوريها.

وفي هذا السياق يكتسب نقش المعسال أهمية خاصة؛ إذ يوثق جانبًا من الحملات العسكرية التي قادها القيل حظين أوكن بأمر الملك ياسر يُهَنْعم، ملك سبأ وذي ريدان، سنة 268م، في مواجهة الأحباش والقوى المرتبطة بهم. وتشير معطيات النقش إلى امتداد العمليات العسكرية إلى مناطق متعددة، من بينها شعب يُهَنْطِل ومجاوروه من شعوب الهضبة الغربية، بما يعكس اتساع نطاق الصراع وتشابك القوى السياسية والمحلية في تلك المرحلة.

ومن هنا تبرز مدينة الصِيرة بوصفها شاهدًا عمرانيًا مهمًا على هذه المرحلة المضطربة؛ إذ يفيد نقشها بتعرض المدينة للدمار والحرق، ثم إعادة بنائها، وهو ما يعكس حجم الاضطراب الذي أصاب بعض المراكز الواقعة في نطاق الصراع. كما أن إعادة بناء المدينة بعد ما لحق بها من خراب تكشف عن استمرار أهميتها، وعن الحاجة إلى استعادة دورها العمراني والدفاعي في ظل الظروف السياسية والعسكرية التي شهدتها المنطقة.

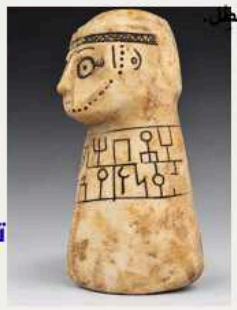


نقش ذخار الذي يذكر مدينة الصيرة

ولا يعني ذلك، من الناحية المنهجية، أن نقش الصِيرة يثبت بصورة مباشرة أن تدمير المدينة وقع تحديدًا أثناء حملة القيل حظين أوكن سنة 268م؛ إذ لا بد من التمييز بين التأريخ العام للصراع الذي شهدته المنطقة، وبين تحديد الواقعة العسكرية التي أدت إلى تدمير المدينة. غير أن الجمع بين نقش الصيرة ونقش المعسال يسمح بوضع الحدثين ضمن إطار تاريخي واحد، يتمثل في حالة الصراع الحِمْيَري - الحبشي التي شهدتها المنطقة خلال القرن الثالث الميلادي. وتبدو أهمية هذه المقارنة في أن نقش منطقة المعسال يقدم لنا صورة عن الصراع من زاويته العسكرية والسياسية، بينما يقدم نقش مدينة الصِيرة انعكاسًا عمرانيًا لهذا الاضطراب. فالأول يوثق الحملات الحِمْيَرية ضد الأحباش وحلفائهم في مناطق يُهَنْطِل ومجاوريها، والثاني يحفظ لنا خبر مدينة تعرضت للدمار ثم أعيد بناؤها. ومن ثم فإن قراءة النقشين معًا تتيح فهمًا أوسع للعلاقة بين الأحداث العسكرية والتحولات التي طرأت على المراكز الحضرية في المنطقة.

وتكشف هذه المعطيات كذلك عن أهمية مدينة شُكع بوصفها حاضرة يُهَنْطِل، وعن وجود مراكز حضرية أخرى في محيطها، تأتي مدينة الصِيرة في مقدمتها. فالمسافة القصيرة التي تفصل بين المدينتين، والتي تقدر ببضعة

أميال، تجعل الصِيرة جزءًا مهمًا من المشهد الجغرافي المحيط بالحاضرة، وتمنحها قيمة خاصة في دراسة الامتداد العمراني والحضاري ليُهَنْطِل.



تمثال مقدم للمعبود ياسر في معبد عقرم

وعليه، فإن الصِيرة ليست مجرد موقع ورد اسمه في نقش عابر، وإنما مدينة تكشف النقوش عن حضورها العمراني في جغرافية يُهَنْطِل، وعن تعرضها لمرحلة من الدمار أعقبها إعادة بناء. كما أن وضعها في سياق الصراع الحِمْيَري - الحبشي يفتح نافذة على طبيعة التحولات التي شهدتها المنطقة، ويبرز الدور الذي أدته المراكز الحضرية الواقعة حول شُكع في تلك المرحلة من التاريخ.

ويكتسب هذا الترابط الجغرافي والحضاري دلالة إضافية عند النظر في المعطيات الدينية التي تحفظها النقوش؛ إذ تسجل دراسة نقش ذخار اسم «حبر» ضمن أسماء المعبودات المرتبطة بمدينة الصِيرة، إلى جانب عثتر الشارق وأشمسهم وشيأن. ويكتسب ورود هذا الاسم أهمية خاصة عند مقارنته بما يرد في النقش القتباني المعروف بنقش (حاج – العادي21)، المرتبط بمدينة شُكع الواقعة في أرض يُهَنْطِل، حيث ترد الإشارة إلى «حبر آل شُكع» ضمن سياق الاستعانة والحماية. كما يرد في النقش نفسه اسم المعبود حوكم نبط وإلهيه، في سياق ما يرويه عن جماعة من الأريوم كانوا مقيمين للتجارة في مدينة شُكع، وهو ما يضيف معطى دينيًا إلى الصورة التي ترسمها النقوش عن هذه المنطقة.

وتبعًا للمنهج المقارن، فإن اجتماع اسم «حبر» في نقش ذخار المتصل بمدينة الصِيرة، مع وروده في النقش المرتبط بشُكع بصيغة «حبر آل شُكع»، يمثل قرينة جديرة بالتوقف عندها، ولا سيما في ضوء التقارب الجغرافي بين المدينتين، وفي ضوء المعطيات التي تربط الصيرة بالمجال الجغرافي ليُهَنْطِل، التي ترد شُكع بوصفها حاضرتها. كما أن الدراسة نفسها تعد «حبر» من أسماء المعبودات الواردة في نقش ذخار، وتدرجه ضمن الرموز والمعتقدات الدينية المرتبطة بمجتمع مدينة الصِيرة. ومن ثم، فإن ورود «حبر» في كلا السياقين يتيح افتراض وجود صلة دينية أو تقاليد عبادية مشتركة بين مدينتي الصِيرة وشُكع، وربما يعكس امتدادًا لمجال ديني واحد داخل هذا النطاق الجغرافي. غير أن المعطيات المتاحة لا تسمح بالجزم بأن «حبر» كان الإله الرئيس لمدينة الصِيرة، وإنما تقدم قرينة على صلة دينية بين المدينتين، تكتسب قوتها من اجتماع الشاهد النقشي مع التقارب الجغرافي والانتماء إلى المجال الإقليمي نفسه.

ومن ثم، يمكن القول إن نقش ذخار - الضالع يمثل حلقة مهمة في إعادة رسم الخريطة التاريخية لمملكة يُهَنْطِل؛ فهو، وإن لم ينص صراحة على تبعية الصِيرة للمملكة، يقدم شاهدًا على وجود مدينة مهمة في نطاق جغرافي قريب جدًا من حاضرتها شُكع. وعند قراءة هذا المعطى إلى جانب ما تحفظه النقوش الأخرى، ولا سيما نقش المعسال ونقش حاج العادي، تتشكل صورة أكثر وضوحًا لمنطقة شهدت خلال القرن الثالث الميلادي تنافسًا سياسيًا وعسكريًا حادًا بين الحِمْيَريين والأحباش، ترك بصماته على المدن والمراكز والمنشآت، كما ترك شواهد على تداخل المجالات الدينية والحضارية في ذلك المجال الجغرافي.

والجدير بالذكر أن الفارق الزمني بين نقش المعسال 5 ونقش ذخار بالضالع لا يتجاوز عامين؛ إذ يؤرَّخ نقش المعسال 5 إلى سنة 196 أبعلي = 270م، في حين يؤرَّخ نقش ذخار إلى سنة 198 أبعلي = 272م. ويكشف هذا التقارب الزمني عن تزامن واضح بين النقشين، ولا سيما من حيث الأحداث والمسميات الواردة فيهما، بما يرجّح انتماءهما إلى مرحلة تاريخية واحدة من تاريخ جنوب الجزيرة العربية، ويتيح الاستفادة من المقارنة بينهما في فهم السياق السياسي والديني والجغرافي لتلك المرحلة.

هكذا تغدو مدينة الصِيرة شاهدًا أثريًا على تاريخ جغرافية يُهَنْطِل، وعلى التحولات التي أصابت مراكزها الحضرية في خضم الصراع الحِمْيَري - الحبشي؛ فيما تكشف إعادة بنائها عن استمرار أهميتها ومكانتها رغم ما تعرضت له من خراب ودمار، ويضيف حضور اسم «حبر» في سياقها النقشي، ومقارنته بوروده في سياق شُكع، بعدًا دينيًا مهمًا يمكن أن يسهم في إعادة قراءة الروابط الحضارية والجغرافية بين مراكز المنطقة.

المنشآت والعمران في أرض يهطل

تشير البقايا الأثرية في منطقة شُكع ومحيطها عن مجتمع عرف أنماطًا متعددة من الاستقرار والعمران، عكست تطورًا ملحوظًا في بنيته الحضارية وتفاعله مع محيطه الجغرافي. فقد قامت التجمعات السكانية في نطاق القيعان والوديان والسهول والجبال، واستفادت من البيئة الزراعية من خلال إنشاء المنشآت المائية وإصلاح الأراضي الزراعية، كما أقيمت المدن والحصون والقصور والمعابد في مواقع مختلفة من المرتفعات والأودية.



نصب قبوري مع رأس غير واضح

ويكشف وجود هذه المنشآت عن قدرة المجتمع المحلي على تنظيم موارده واستثمار البيئة المحيطة به، كما يعكس ارتباط العمران بالنشاط الزراعي والتجاري والديني؛ فالمدينة القديمة لم تكن وحدة سكنية منعزلة، بل كانت فضاءً تتقاطع فيه مصالح السلطة والاقتصاد والعقيدة والمجتمع. وتؤكد بقايا الأبنية والنقوش المعاد استخدامها في بعض المنشآت اللاحقة أن الموقع احتفظ بمواد عمرانية من فترات قديمة، ومن ذلك الأحجار المنقوشة التي أعيد استخدامها في مبانٍ تاريخية لاحقة، ومنها مسجد أحمد بن سُريخ، حيث تضم بعض أحجاره كتابات مسندية منقولة من خرائب شُكع القديمة، مثل الكتابة التي تقع في أساسات الجهة الشرقية ومضمونها: ود أب يفعان «و د/ أ ب/ ي ف ع ن». وهو مصطلح ديني قديم يُفهم في سياق المعتقدات الدينية بوصفه ذا دلالة تعويذية، أي متصلاً بمفهوم الحماية والرعاية؛ ويَرِد هنا في سياق الإله ودّ أب، بوصفه الإله الحامي لقصر يفعان.



حجر مسندي من مسجد سريخ من بقايا قصر ملكي

كما عُثر في أساسات الجهة الغربية للمسجد على عدد من الكتابات المسندية المتناثرة، وقد جاءت معظمها غير مكتملة، نتيجةً لما لحق بها من تلف أو إعادة استخدام للأحجار. ومن بين هذه الشواهد حجر يحمل كتابة تتضمن لفظ ذودان «𐩹𐩣𐩺»؟، ويُرجَّح أن يكون في ذلك إشارة إلى جبل ذودان المعروف في بلاد العود، الواقعة إلى الشمال من محافظة الضالع، بما يضيف شاهدًا نصيًا إلى الصلات الجغرافية والتاريخية للموقع بمحيطه القديم.



حجر مسندي من مسجد سريح كتب عليه(ذودان)

كما عُثر ضمن الشواهد على حجر منحوت عليه صولجان النخلة، وهو من الرموز المرتبطة بالهوية السياسية والدينية للحِمْيَريين، ويُنظر إليه بوصفه أحد الشواهد الرمزية ذات الصلة باتحاد الكيانات الحِمْيَرية.



يظهر في يمين الصورة مونوجرام اتحاد الحميرين

ويقدم هذا الاستخدام الثانوي للأحجار شاهدًا إضافيًا على غنى الموقع بالمواد الأثرية، لكنه يكشف في الوقت نفسه عن حجم ما تعرضت له الآثار القديمة من تفكيك وإعادة استخدام عبر العصور.

يُهنطل في امتدادها التاريخي

توضح مجمل الشواهد أن اسم يُهَنْطِل لم يكن عابرًا في تاريخ جنوب الجزيرة العربية؛ فقد ظهر في النقوش منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وظل معروفًا في السياقات القتبانية ثم الحِمْيَرية، بما يشير إلى استمرار أهمية المجال الجغرافي والسياسي الذي كانت تشغله.

ومن المهم هنا التمييز بين استمرار اسم الكيان في النقوش وبين استمرار استقلاله السياسي بالدرجة نفسها طوال هذه الفترة؛ فالمصادر المتاحة تشير إلى تعرضه لحملات عسكرية وخضوعه في مراحل مختلفة لقوى سياسية أكبر، ولا سيما سبأ ثم القوى الحِمْيَرية. ومع ذلك، فإن استمرار ذكر اسمه يؤكد أن أرض يُهَنْطِل كانت ذات حضور سياسي وجغرافي معروف لدى الممالك الجنوبية.



لوحة جنائزية تصور رأسا نصفيا لرجل

وتظهر شُكع في قلب هذا التاريخ بوصفها المدينة المرتبطة بالمملكة وعاصمتها، كما تكشف آثارها عن استمرار النشاط العمراني والديني والتجاري فيها عبر مراحل تاريخية متعددة.

ومن هنا، فإن تاريخ يُهَنْطِل لا ينبغي أن يُقرأ باعتباره تاريخ مملكة صغيرة منعزلة، بل بوصفه جزءًا من التاريخ السياسي والاقتصادي والحضاري الأوسع لجنوب الجزيرة العربية، ولا سيما تاريخ المرتفعات الواقعة بين واديي بنا وتبن.

شهادة أثرية ميدانية: سابينا أنتونيني ومسح منطقة شُكع وجبل عقرم

وتكتسب منطقة شُكع وجبل عقرم أهمية خاصة في ضوء أعمال المسح الأثري التي أجرتها الباحثة وعالمة الآثار الإيطالية سابينا أنتونيني خلال الفترة من 15 إلى 22 مارس/آذار 2001، ضمن أعمال البعثة الأثرية الإيطالية العاملة في اليمن. وقد أجرت أنتونيني خلال تلك الزيارة مسحًا ميدانيًا لعدد من المواقع الأثرية في نطاق الضالع، برفقة المدير العام للآثار بمحافظة الضالع آنذاك الأستاذ محمد أحمد منقوش إلى جانب

إلى جانب مجموعة من مسؤولي الآثار اليمنيين. وتشير في دراستها المنشورة بعنوان "NEW SCULPTURES OF THE LADY OF AḌ-ḌĀLI" STYLE إلى أنها بدأت أعمال المسح في وادي عقرم ووادي شُكع، ثم امتدت إلى جبل عقرم وقمة الجميمة، إحدى القمم البارزة في جبل عقرم، وهي قمه تشبه في شكلها سنام الجمل، أو القلعة، وتقع في الجزء العلوي من الجبل.

وتقدم أنتونيني وصفًا بالغ الأهمية للجبانة الأثرية في شُكع، إذ تشير إلى وجود جبانة حِمْيَرية واسعة تؤرخها إلى الفترة الممتدة بين القرن الأول والثالث الميلاديين، وكانت القبور تنتشر على المنحدرات الصخرية للجبال، بحيث يصعب على العين غير المدربة تمييزها للوهلة الأولى. وتصف بعض هذه المدافن بأنها قبور صندوقية منحوتة مباشرة في الصخور البركانية، وهو نمط دفني يكشف عن معرفة متقدمة بتقنيات استغلال البيئة الصخرية المحلية وتوظيفها في العمارة الجنائزية.

توضح مجمل الشواهد أن اسم يُهَنْطِل لم يكن عابرًا في تاريخ جنوب الجزيرة العربية؛ فقد ظهر في النقوش منذ القرن الثامن قبل الميلاد، وظل معروفًا في السياقات القتبانية ثم الحِمْيَرية، بما يشير إلى استمرار أهمية المجال الجغرافي والسياسي الذي كانت تشغله. ومن المهم هنا التمييز بين استمرار اسم الكيان في النقوش وبين استمرار استقلاله السياسي بالدرجة نفسها طوال هذه الفترة؛ فالمصادر المتاحة تشير إلى تعرضه لحملات عسكرية وخضوعه في مراحل مختلفة لقوى سياسية أكبر، ولا سيما سبأ ثم القوى الحِمْيَرية. ومع ذلك، فإن استمرار ذكر اسمه يؤكد أن أرض يُهَنْطِل كانت ذات حضور سياسي وجغرافي معروف لدى الممالك الجنوبية.



ثور من الحجر الكلسي
قاعدته مكسورة

وتعزّز الباحثة هذا الطرح بالإشارة إلى نتائج بعثةٍ أثريةٍ روسيةٍ عملت في المنطقة خلال ثمانينيات القرن العشرين، حيث عثرت بالقرب من عددٍ من القبور على ألواحٍ حجريةٍ مربعةٍ ومسطحة، كما لاحظت وجود ألواحٍ مماثلة حول بعض المدافن التي تعرضت للعبث والنبش. وفي ضوء هذه المعطيات، رجّحت سابينا أنتونيني أن القبور الصندوقية كانت تُغلق بألواحٍ حجرية، على نحوٍ يماثل نماذج دفنيه معاصرة عُرفت في مواقع أثرية أخرى من اليمن القديم.

ولا تقف أهمية مشاهداتها عند حدود الجبانة، فقد امتد المسح الأثري إلى قمة جبل عقرم، التي تحددها أنتونيني بارتفاع يقارب 3000 متر، حيث لاحظت وجود ممر حجري مدرّج قصير يصعد من منطقة الجبانة باتجاه قمة الجبل. ويكتسب هذا الممر أهمية خاصة في قراءة العلاقة بين الجبانة والجبل؛ إذ يبدو أنه كان يمثل مسارًا للحركة بين المجال الجنائزي وأسفل الجبل وقمته. ومع ذلك، تؤكد أنتونيني أنها لم ترصد على امتداد القمة آثار جدران أو شظايا فخارية يمكن أن تثبت بصورة قاطعة وجود استيطان قديم فوق الجبل، وترجح أن شدة انحدار السفوح ربما أسهمت عبر الزمن في جرف ما كان موجودًا من بقايا أثرية نحو المنحدرات الصخرية.



تمثال لرجل على
قاعدة
مدرجة من دون
رأس

ومن الشواهد المهمة التي سجلتها أنتونيني أيضًا أن عددًا من المنحوتات الحجرية، والتماثيل، والشواهد الجنائزية، والأوعية المحفوظة في متحف الضالع تعود إلى جبانة شُكع. كما عاينت مجموعة أخرى من القطع الأثرية في بعض المنازل الخاصة، بعضها ناتج عن حفريات غير مشروعة، وبعضها عُثر عليه أثناء الأعمال الزراعية وتسوية المدرجات في السفوح الجبلية. وتضم هذه اللقى، بحسب وصفها، حُليًا من البرونز، وأقراطًا وخواتم وأساور، وخرزًا، وأصدافًا، وقطعًا من السبج (نوع من الصخور البركانية الطبيعية)، وفخارًا؛ وهي مجموعة من المواد التي كانت تؤلف جانبًا من الأثاث الجنائزي المصاحب للمدافن في جبانة شُكع.



رأس ثور قبوري ذو عنق طويل

تكشف هذه المعطيات عن أن مدينة شُكع لم تكن مجرد موضع استقرار بشري عابر، وإنما كانت جزءًا من مجال حضاري وجنائزي نشط خلال القرون الميلادية الأولى. كما أن ارتباط الجبانة بسفوح جبل عقرم، ووجود طريق حجري مدرّج يصل إليها بقمة الجبل، يمنح الموقع بعدًا معماريًا ورمزيًا يستحق مزيدًا من البحث؛ ولا سيما أن طبيعة المدافن واللقى المصاحبة لها تشير إلى تقاليد جنائزية وفنية متصلة بالموروث الحضاري لليمن القديم.

أسلوب شكع الجنائزي في الفن الجنائزي

وتتجاوز شهادة أنتونيني الوصف الميداني للمدافن؛ إذ تربط عددًا من المنحوتات التي عاينتها في المنطقة بما أصبح يُعرف في الدراسات الفنية الحديثة بـ«الطراز الشُكعي» (SHUKA STYLE). فقد لاحظت وجود مجموعة من الأعمال النحتية ذات الخصائص الأسلوبية المتقاربة، من بينها تماثيل نسائية ورجالية، ورؤوس بشرية وحيوانية، وشواهد جنائزية، وأوعية وأدوات مرتبطة بالدفن. وتشير إلى أن عددًا من هذه القطع يعود، بحسب المعطيات المتاحة، إلى جبانة شُكع، وإن كان بعضها قد وصل إلى المجموعات الخاصة نتيجة

حفريات غير قانونية



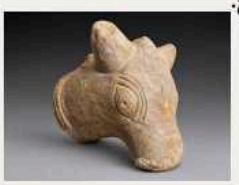
إناء رخامي جنائزي
مزدوج عليه كتابة مسندة

ومن أبرز القطع التي تناولتها أنتونيني شاهد جنائزي مربع عُرف له نموذجان من جبانة شُكع، وهو لوح حجري مزين بهلال كبير يتوسطه ثقب يُحتمل أنه كان مخصصًا لتثبيت رأس بشري أو حيواني بواسطة لسان أو وتد، بينما نُقش النص الجنائزي على الحافة السفلية للشاهد. وتمثل هذه القطعة، إلى جانب المنحوتات الأخرى، شاهدًا على خصوصية التقاليد الفنية والجنائزية التي ارتبطت ببيئة شُكع خلال العصور القديمة. وترى أنتونيني أن غالبية المنحوتات التي درستها تنتمي إلى تقاليد الفن العربي الجنوبي، وأن بعضها يحمل خصائص فنية مميزة، من بينها الأجسام المسطحة، والتفاصيل المحفورة، والعيون المستطيلة الضحلة ذات الحدقات الدقيقة، والحواجب المقوسة. كما لاحظت غلبة التماثيل النسائية ضمن مجموعة القطع الأثرية التي عاينتها، وربطت بعضها، على سبيل الاحتمال، بطقوس مرتبطة بالخصوبة والإنجاب. وتؤكد هذه الملاحظات أن البيئة الأثرية في شُكع لم تكن غنية بالمدافن وحدها، وإنما احتضنت أيضًا تقاليد فنية ودينية ذات طابع مميز.



بدن مبخرة قاعدتها مكسورة من الحجر الكلسي

وتزداد قيمة هذه الشهادة حين تشير أنتونيني إلى وجود قطع ذات صلات أسلوبية وثيقة بمنحوتات شُكع في مواقع أخرى، من بينها جبل العود شمال محافظة الضالع، الأمر الذي دفع بعض الباحثين إلى الحديث عن انتشار إنتاج فني ذي خصائص مشتركة انطلق من نطاق جغرافي محدود في المرتفعات الغربية الجنوبية، ثم انتقل إلى مناطق أخرى. كما تشير الدراسات التي تستشهد بها أنتونيني إلى أن هذا الإنتاج الفني ازدهر في الفترة القريبة من بداية العصر الميلادي، وهو ما ينسجم إجمالًا مع الإطار الزمني الذي حددته للجبانة الحِمْيَرية في شُكع.



نصب قبوري لرأس ثور

وتخلص أنتونيني إلى الدعوة لإجراء تنقيبات أثرية منهجية في مواقع الضالع وشُكع، ودراسة القبور والفخار والنقوش المنقوشة على بعض التماثيل، إلى جانب إجراء مسح جيولوجي متخصص للمنطقة، مؤكدة أن مثل هذه الأعمال من شأنها أن توفر أساسًا علميًا أكثر رسوخًا للتحقق من الفرضيات المتعلقة بمصدر المواد الحجرية، وطبيعة الإنتاج الفني، والعلاقات الحضارية التي ربطت المنطقة بمراكز أخرى في حضارات جنوب الجزيرة العربية.

وبذلك تقدم أعمال أنتونيني عام 2001م شهادة علمية ذات وزن في إعادة قراءة تاريخ جبل عقرم وشُكع؛ فهي تجمع بين المعاينة الميدانية المباشرة، ووصف المعالم الجنائزية، وتوثيق اللقى الفنية، وربطها بالسياق الحضاري الأوسع لجنوب الجزيرة العربية. ومن هذه الزاوية، يغدو جبل عقرم أكثر من مجرد معلمٍ تضاريسيٍّ بارز؛ إذ يظهر ضمن مشهد أثري متكامل تتجاور فيه الجبانة والمدافن الصخرية والمسارات الحجرية واللقى الجنائزية والتقاليد الفنية، بما يعكس حضورًا بشريًا وحضاريًا متجذرًا في هذه المنطقة خلال القرون الأولى



مجمرة جنائزية من الحجرالكلسي

تعليق على قراءة الدكتورة أنتوني لآثار شكع وجبل عقرم

مع التقدير لأعمال الباحثة والدكتورة أنتوني وما قدمته من ملاحظات ميدانية مهمة حول آثار شُكع وجبل عقرم، فإن نسبة مجمل الشواهد الأثرية في المنطقة إلى الحضارة الحِمْيَرية المتأخرة تبدو قراءة تحتاج إلى قدر أكبر من التحفظ والتدقيق، ولا سيما أن المعطيات الأثرية المتاحة تشير إلى أن شُكع كانت فضاءً حضاريًا تداخلت فيه، على امتداد فترات زمنية مختلفة، تأثيرات ومظاهر حضارية متعددة، من بينها القتبانية والسبئية والحِمْيَرية، الأمر الذي يجعل اختزال هويتها الحضارية في إطار حِمْيَري واحد تبسيطًا لا ينسجم بالضرورة مع طبيعة المشهد الأثري المركب للمنطقة.

وتزداد أهمية هذه الملاحظة عند تناول جبل عقرم ومحيطه؛ إذ إن المسح الميداني الذي أجرته سابينا أنتونيني عام 2001م وثق وجود جبانة أثرية واسعة، ومدافن صخرية، ومسار حجري يصل منطقة الجبانة بقمة الجبل، فضلًا عن مجموعة من المنحوتات والشواهد الجنائزية والأوعية واللقى الأثرية المرتبطة ببيئة شُكع. كما ربطت أنتونيني عددًا من هذه الأعمال بما عُرف لاحقًا بـ«الطراز الشُكعي»، وأكدت في الوقت ذاته الحاجة إلى إجراء تنقيبات أثرية منهجية ودراسة النقوش والفخار واللقى لتكوين أساس علمي أكثر رسوخًا لتحديد طبيعة الإنتاج الفني والعلاقات الحضارية للمنطقة.

مجمرة جنائزية
مصنوعة من حجر المرمر



ومن ثم، فإن القراءة الأكثر احترازًا تقتضي التعامل مع آثار شُكع باعتبارها نتاجًا لمجال حضاري متداخل، لا باعتبارها شاهدًا على حضارة واحدة فحسب. والأهم من ذلك أن أي دراسة لتاريخ شُكع ينبغي ألا تغفل فرضية ارتباطها بمملكة يُهَنْطِل، وما قد يكون لهذه المملكة من صلة بتاريخ المنطقة ودورها السياسي والحضاري في جنوب الجزيرة العربية. فهذه المسألة، إن دعمتها النقوش والمعطيات الأثرية، تستحق أن تكون محورًا مستقلًا في دراسة تاريخ شُكع، لا أن تُهمّش لصالح تصنيف حضاري عام.



غطاء آنية من الحجر الكلسي



نصب مع رأس ثور ونصب مع رأس بشري

وعليه، فإن نسبة آثار شُكع وجبل عقرم إلى الحِمْيَريين تحتاج إلى أدلة مادية ونصية أكثر تحديدًا، ولا سيما أن التداخل الحضاري بين القتباني والسبئي والحِمْيَري لا يسمح بإسناد كل أثر أو تقليد فني إلى كيان سياسي بعينه دون قرائن مؤرخة ومحددة. وتبقى النقوش، والسياقات الطبقية للقى، والعمارة، والعُملات، والفخار، إلى جانب التنقيبات الأثرية المنهجية، هي الأدوات الكفيلة بحسم هذه الإشكالية بصورة أكثر دقة.

إن القيمة الحقيقية لأثر شُكع لا تكمن في نسبته إلى حضارة واحدة، وإنما فيما يكشف عنه من تداخلات حضارية وتاريخية، بوصفها مركزًا حضاريًا شهد تفاعلات وتداخلات سياسية وثقافية وفنية متعددة؛ وهو ما يجعل البحث في تاريخ شُكع، وفي علاقتها المحتملة بمملكة يُهَنْطِل، مجالًا مهمًا لإعادة قراءة التاريخ السياسي والحضاري للضالع وجنوب الجزيرة العربية، بعيدًا عن التصنيفات الأحادية.

خاتمـــة

تكشف النقوش والشواهد الأثرية عن أن يُهَنْطِل كانت كيانًا سياسيًا معروفًا في جنوب الجزيرة العربية منذ القرن الثامن قبل الميلاد على الأقل، وأنها شغلت موقعًا جغرافيًا مهمًا بين واديي بَنَا وتُبن، في نطاق يقع اليوم ضمن مناطق الضالع وما جاورها.

وقد ارتبط تاريخها بمدينة شُكع التي تبدو، في ضوء النقوش القتبانية والمعطيات الأثرية، عاصمة للكيان ومركزًا تجاريًا وحضاريًا مهمًا. كما تكشف الشواهد عن صلات واسعة ربطت المدينة بمراكز وممالك أخرى، وعن استقرار جماعات تجارية فيها، وهو ما أسهم في ازدهار النشاط الاقتصادي والحرفي والديني.

ويأتي نقش صرواح في مقدمة المصادر التي تؤكد الحضور المبكر ليُهَنْطِل في المشهد السياسي، إذ يضعها ضمن قائمة الكيانات التي واجهها المكرِّب السبئي يثع أمر بن يكرب ملك، خلال حملاته العسكرية. ثم يستمر ظهورها في النقوش القتبانية والحِمْيَرية، بما يؤكد أن المنطقة ظلت ذات أهمية سياسية وجغرافية حتى القرون الميلادية الأولى.

أما الآثار المكتشفة في شُكع، ولا سيما في جبل عقرم، فتضيف بعدًا ماديًا مهمًا إلى الرواية النقشية؛ إذ تكشف عن مدافن وتماثيل وألواح نذرية وأختام وحلي وأسلحة وفخاريات، فضلًا عن شواهد معمارية ودينية تعكس مستوى من التنظيم الاجتماعي والفني والحرفي.

ومن ثم، فإن إعادة دراسة يُهَنْطِل وشُكع تظل ضرورة علمية، ليس فقط للكشف عن تاريخ كيان سياسي غاب طويلًا عن السرديات العامة لتاريخ وتؤكد المعطيات المتاحة أن مناطق شُكع، بما تختزنه من خرائب ونقوش ومدافن ومنشآت ومعابد ولقى فنية، تمثل سجلًا أثريًا مهمًا لتاريخ الضالع والمرتفعات الجنوبية. ولذلك فإن مواصلة أعمال المسح والتنقيب والتوثيق العلمي فيها يمكن أن تسهم في الكشف عن معلومات جديدة، وربما تعيد رسم جوانب من تاريخ يُهَنْطِل ومكانتها ضمن الحضارات العربية الجنوبية القديمة.

إن المكان الذي تصمت عنه الروايات قد تتحدث عنه الحجارة، وما عجزت الذاكرة المتأخرة عن حفظه قد تستعيده النقوش من عمق القرون. ومن هذه الزاوية تكتسب مدينة شُكع التاريخية وجبل عقرم أهميتهما؛ فهما ليسا مجرد موضعين في جغرافية الضالع المعاصرة، بل شاهدان على طبقات متراكمة من التاريخ، تختزل في تضاريسهما وآثارهما قصة مجتمع قديم شارك، على قدره، في صناعة المشهد الحضاري لجنوب الجزيرة



رأس ثور جنائزي من الحجر الكلسي

الهوامش والمراجع:

1. فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب المطول، الجزء الأول، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1949م.

2. ماجد طلال التميمي، الفكر السياسي للممالك اليمنية القديمة حتى نهاية مملكة حِمْيَر، دار كلكامش للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 2019م.

3. محمد عبدالقادر بافقيه وآخرون، مختارات من النقوش اليمنية القديمة، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1985م.

4. محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1985م.

5. محمد عبدالقادر بافقيه، في العربية السعيدة، دراسات تاريخية قصيرة، الجزءان الأول والثاني، الطبعة الأولى، الصادران عامي 1987و 1993م، عن مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء.

6. محمد عبدالقادر بافقيه، توحيد اليمن: الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، ترجمة علي محمد زيد، صنعاء: المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، 2007م.

7. محمد عبد القادر بافقيه، «محتوى نقش المعسال 5»، حولية ريدان للآثار والنقوش اليمنية القديمة، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، العدد السادس، 1994م.

8. ألفريد بيستون وآخرون، المعجم السبئي، لوفان الجديدة - بيروت، 1982م.

9. جان كلود رو، اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص169-170.

10. أليساندرو دي ميغرية، «الطقوس الجنائزية»، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص168.

11. إرنست ويل، «الفنون في مدرسة اليونان وروما»، في: اليمن في بلاد ملكة سبأ، ص198.

12. محمد علي الحاج، «مدينة شُكع وأرض يُهَنْطِل في ضوء نقش قتباني جديد مؤرخ بعهد الملك شهر يجل يُهَرْجب»، سلسلة مداولات علمية محكمة للقاء السنوي الثالث للجمعية السعودية للدراسات الأثرية في دورتها الرابعة، جامعة الملك سعود، الرياض، 2013م.

13. أ. ج. لوندين، المدينة والدولة في اليمن: في الألف الأول قبل الميلاد، ترجمة: عبد الله الشيبة، مجلة الاجتهاد، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة والنشر، بيروت، العدد السابع، السنة الثامنة، ربيع 1990م.

14. شايف محمد الحدي، نقش الصِيرة في مملكة يُهَنْطِل التاريخية: دراسة في أفق الدلالات التاريخية اللغوية والدينية (بحث غير منشور).

15. سجلات الهيئة العامة للآثار بالضالع ومتحف الضالع الوطني، والمعلومات الميدانية التي أوردها الباحث اعتمادًا على زياراته الميدانية المتكررة لخرائب مدينة شُكع.

16. NEW SCULPTURES OF THE "LADY OF AḌ-ḌĀLI" STYLE

17. RAYDĀN: JOURNAL OF ANCIENT YEMENI ANTIQUITIES AND EPIGRAPHY (REVUE DES ANTIQUITÉS ET DE L'ÉPIGRAPHIE DU YÉMEN ANTIQUE / JOURNAL OF ANCIENT YEMENI ANTIQUITIES AND EPIGRAPHY), VOL. 8, 2013.

شكع وجبل عقرم..
ذاكرة حجرية تروي فصولاً من تاريخ الضالع القديم

قراءة في الموقع الأثري والنقوش والتماثيل واللقى التي ما تزال تنتظر الكشف عن أسرارها



أ. عبد الفتاح فضل محمد الجعبي

نائب مدير فرع الهيئة العامة للآثار م/الضالع

ليست شُكع مجرد منطقة من مناطق مديرية الحُصين بمحافظة الضالع، كما أن جبالها ليست مجرد تضاريس طبيعية تشكل لوحة جميلة في جنوب اليمن؛ فخلف الصخور والخرائب والمقابر والنقوش المنتشرة في المنطقة، يستقر تاريخ قديم ما تزال صفحاته بحاجة إلى مزيد من البحث والتنقيب والدراسة.

وفي مقدمة هذه المواقع يبرز جبل عقرم، أو حصن شُكع، بوصفه أحد المواقع التاريخية والأثرية المهمة في المنطقة. وقد كشفت المكتشفات التي ظهرت في الموقع ومحيطه عن مؤشرات على وجود استيطان قديم، ومقابر، ونقوش بالخط المسند، وقطع فخارية وحجرية، إلى جانب تماثيل ولقى أخرى، الأمر الذي يجعل شُكع وعقرم من المواقع الجديرة بمزيد من الاهتمام الأثري والعلمي**اكتشافات شكع (الخربة)**

في أبريل 2009م، شهدت منطقة شُكع الخربة - جبل عقرم اكتشافًا أثريًا لافتًا، بعدما عثر عدد من أبناء المنطقة على مجموعة من البقايا الأثرية، من بينها أحجار تحمل كتابات بالخط المسند، وقرن لحيوان كبير، وناب حيواني، وأوانٍ منحوتة من الحجر. كما أُبلغ عن العثور على بقايا عظمية وحلي.

وقد أثار الاكتشاف اهتمام الجهات الأثرية، ودفع فريقًا من مكتب الآثار بمحافظة الضالع - برئاسة الأستاذ محمد أحمد منقوش آنذاك - إلى معاينة الموقع تمهيدًا لأعمال الحفر والتنقيب. ووفق ما نقلته الصحافة اليمنية آنذاك عن مدير مكتب الآثار بمحافظة الضالع الأستاذ محمد أحمد منقوش، فقد نُسب تاريخ بعض القطع المكتشفة إلى فترة ما قبل الميلاد، كما وُصفت الأحجار المنقوشة بألوانها في الخبر

بأنها مكتوبة بالخط المسندى القديم،اضافة إلى ناب حيواني بطول نحو 12 سنتيمترًا وقرن يبلغ طوله نحو 80 سنتيمترًا، يُعتقد أنه لوعل. ومن هنا ينبغي التوقف عند مسألة منهجية مهمة: ليس من قد يرتبط بالمعتقدات جميع التماثيل والقطع الموجودة في المنطقة تنتمي إلى الحضارة الحِمْيَرية لمجرد العثور عليها في الموقع. فالتأريخ الأثري للقطعة لا يتحدد بمكان العثور عليها وحده، وإنما من خلال مجموعة من المعطيات، من بينها السياق الأثري، والطبقة التي ظهرت فيها، ومادة القطعة، وتقنيات صناعتها، وخصائصها الفنية، والنقوش التي تحملها، ومقارنتها بمواد مؤرخة، إلى جانب الاستعانة، عند الحاجة، بوسائل التحليل العلمي الحديثة.

المسند.. وثيقة تاريخية على الحجر

من أبرز ما يمنح شُكع وعقرم قيمة تاريخية خاصة وجود النقوش بالخط المسند. والنقش المسندي ليس مجرد كتابة قديمة، بل وثيقة تاريخية أصلية يمكن أن تحمل أسماء أشخاص، وأسماء جماعات ومناطق، وعبارات دينية، ومعلومات تتصل بالبناء والملكية والعبادة، وربما أحداثًا أو وقائع ذات صلة بتاريخ المكان. وتشير المواد التي تناولت موقع شُكع إلى العثور على نقوش متنوعه مسندية ضمن خرائب الموقع، كما وردت إشارات إلى نقش يحمل صيغة دينية مرتبطة بالإله «ود»، وإلى شواهد قبور تح ومعلومات تتصل بالبناء مل أسماء أشخاص.وأسماء جماعات ومناطق، وعبارات دينية مرتبطة بالإله «ود»، وإلى شواهد قبور تحمل أسماء أشخاص. وهنا تظهر القيمة الحقيقية لجبل عقرم؛ فالحجر الذي يبدو صامتًا للعين قد يكون في الحقيقة وثيقة تاريخية عمرها أكثر من ألفي عام، ويمكن لقراءته ودراسة سياقه أن تضيفا معلومة جديدة إلى تاريخ الضالع واليمن القديم.

التماثيل واللقى.. ماذا يمكن أن تخبرنا..؟

تتحدث إفادات وتقارير حديثة عن العثور في جبل عقرم ومحيطه على تماثيل ونقوش وأدوات وأجزاء من أسلحة ولقى أثرية أخرى، مع الإشارة إلى وجود بعض القطع في متحف الضالع. غير أن قيمة هذه المكتشفات لا تكمن في غرابة القطعة أو قدمها فحسب، وإنما في السياق الذي ظهرت فيه والعلاقة التي تربطها ببقية عناصر الموقع.فالتمثال الآدمي، على سبيل المثال،

أو الطقوس أو التقاليد الفنية أو بتخليد شخصية معينة، بينما قد يحمل التمثال الحيواني دلالات دينية أو رمزية. أما الأواني الحجرية والفخارية، فيمكن أن تقدم معلومات عن الحياة اليومية، وطرائق التخزين وإعداد الطعام، والعادات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية. كما يمكن للأسلحة والأدوات أن تسهم في فهم طبيعة المجتمع واستخداماته اليومية والعسكرية، في حين تساعد المقابر في دراسة عادات الدفن والمعتقدات المرتبطة بالموت، ولهذا فإن القيمة العلمية لآثار جبل عقرم لا تكمن في قطعة منفردة، وإنما في تكامل مجموعة اللقى مع المكان والطبقات والسياقات التي عُثر عليها فيها.

آثار جبل عقرم: كم يبلغ عمرها..؟

هذا السؤال من أكثر الأسئلة أهمية، وهو في الوقت نفسه من أكثرها حاجة إلى الحذر العلمي. فالتقارير الصحفية المنشورة عن اكتشافات شُكع الخربة عام 2009م نقلت عن الجهات الأثرية في ذلك الوقت نسبة بعض القطع المكتشفة إلى فترة ما قبل الميلاد.

غير أن هذا لا يعني أن جميع آثار الموقع تعود إلى الفترة نفسها؛ إذ تشير الدراسات الأثرية التي تناولت مواد شُكع إلى وجود إشكالات في تحديد التسلسل الزمني لبعض المواد، ولا سيما الفخار. كما أن الاعتماد على اللقى السطحية أو النقوش وحدها لا يكفي دائمًا لتحديد تاريخ الاستيطان أو تاريخ كل قطعة بصورة قاطعة.

ومن ثم يمكن القول، بدرجة أكبر من الأمانة العلمية، إن جبل عقرم ومدينة شُكع التاريخية يقدمان دلائل على استيطان ونشاط بشري قديم، وإن بعض اللقى المكتشفة فيهما نُسبت إلى عصور ما قبل الميلاد، بينما يظل تحديد العمر الدقيق لكل قطعة أو طبقة أثرية بحاجة إلى دراسة علمية منهجية، وهذا التفريق ضروري حتى لا تتحول الرواية التاريخية إلى مجموعة من التواريخ القطعية التي لا تستند إلى أدلة كافية.

شُكع وتعدد الطبقات الحضارية والسياسية

لا تبدو مدينة شُكع التاريخية، في ضوء الشواهد الأثرية والنقوشية المتاحة، موقعًا ارتبط بحضارة أو كيان سياسي واحد طوال تاريخها؛ بل تكشف المعطيات عن تاريخ طويل تعاقبت خلاله أو تداخلت فيه كيانات وحضارات متعددة في جنوب الجزيرة العربية القديمة، من

بينها أوسان وسبأ وقتبان وحِمْير. ومن ثم، فإن اختزال تاريخ شُكع في مرحلة حِمْيَرية واحدة لا يعكس بالضرورة التعقيد التاريخي والحضاري الذي شهدته المنطقة. وتكتسب مدينة شُكع أهمية خاصة في هذا السياق بوصفها حاضرة الكيان السياسي المعروف باسم يُهَنْطِل، وهو ما يضعها في سياق سياسي أوسع من حدودها الجغرافية المحلية. ويعزز هذا الارتباط ما يرد في النقش القتباني «حاج العادي 21»، الذي يذكر مدينة شُكُع في أرض يُهَنْطِل، في سياق يتعلق بالنشاط التجاري لسكان مَرْيَمَة بوادي حريب وتقدم هذه الإشارة النقشية شاهدًا مهمًا على الصلة بين شُكع وكيان يُهَنْطِل،

وعلى المكانة التي كانت تتمتع بها المدينة في تلك المرحلة، كما تكشف عن اندماجها في شبكة من العلاقات التجارية التي امتدت بين مراكز جنوب الجزيرة العربية القديمة.

وعليه، فإن أهمية شُكع لا تنحصر في كثرة ما يظهر فيها من نقوش ولقى أثرية، وإنما تمتد إلى موقعها ضمن الخريطة السياسية والاقتصادية لجنوب الجزيرة العربية القديمة. فكونها حاضرةً لكيان يُهَنْطِل، ثم استمرار حضورها في النقوش والمصادر اللاحقة، يشير إلى أن الموقع احتفظ بأهمية خاصة عبر مراحل تاريخية متعاقبة. ومن هنا فإن السؤال «هل كانت شُكع حِمْيَرية..؟» يحتاج إلى إعادة صياغة من منظور تاريخي أوسع؛ فالأدق أن نتساءل عن المراحل السياسية والحضارية التي تعاقبت على شُكع، والدور الذي أدته في كل مرحلة.

فالمعطيات المتاحة تشير إلى حضور أو تأثير كيانات متعددة في تاريخ المنطقة، من أوسان وسبأ وقتبان إلى حِمْيَر، مع ضرورة التمييز بين السيطرة السياسية المباشرة والتأثيرات الثقافية والاقتصادية التي قد تتجاوز الحدود السياسية للممالك. ومن ثم، فإن دراسة شُكع وعقرم تحتاج إلى قراءة متكاملة تجمع بين النقوش، واللقى الأثرية، والعمارة، والتسلسل الطبقي، وشبكات التجارة القديمة، والمقارنة مع المراكز السياسية المعاصرة؛ للوصول إلى فهم أدق لمكانة شُكع ودورها في تاريخ جنوب الجزيرة العربية القديم.

موقع أثري ما يزال يخفي الكثير

قد لا يمثل ما ظهر حتى الآن من آثار جبل عقرم سوى جزء محدود مما تختزنه الأرض. فوجود المقابر والخرائب والنقوش والقطع الحجرية والفخارية واللقى المختلفة يشير إلى أن الموقع كان جزءًا من مشهد عمراني واجتماعي متكامل، وليس مجرد تجمع سكاني عابر. وفي عام 2022م، وثقت زيارة ميدانية إلى منطقة شُكع عددًا من المواقع التي تضم مستوطنات ونقوشًا وسدودًا وحصونًا ومقابر، مع الإشارة إلى تعرض بعض أجزاء الموقع للعبث والحفر العشوائي. وهنا تكمن المشكلة الأكبر؛ فكل حفرة عشوائية قد تدمر طبقة أثرية يستحيل تعويضها، وكل قطعة تُنتزع من مكانها دون توثيق قد تفقد جانبًا من قيمتها العلمية، حتى لو بقيت القطعة نفسها محفوظة. فالآثار لا تكمن قيمتها في الحجر أو الفخار أو المعدن وحده، وإنما في السياق الأثري الذي يربط القطعة بالمكان والطبقة والقطع الأخرى.

حماية عقرم مسؤولية الجميع

إن حماية جبل عقرم وشكع ليست مسؤولية الجهات الرسمية وحدها، بل هي مسؤولية مشتركة بين الدولة والمجتمع المحلي والباحثين والمؤسسات الثقافية. فالمواطن الذي يعثر على قطعة أثرية لا ينبغي أن ينظر إليها باعتبارها غنيمة أو مصدرًا للمال، وإنما بوصفها جزءًا من تاريخ المكان وذاكرة الأجيال. كما أن الجهات المختصة مطالبة بمنح الموقع ما يستحقه من اهتمام،

من خلال تنفيذ مسح أثري شامل، وتوثيق النقوش، وتصوير القطع، وإعداد الخرائط، وتحديد حدود الموقع، وحمايته من الحفر والعبث، واستكمال أعمال التنقيب العلمية، وحفظ المكتشفات في ظروف مناسبة، وإجراء الدراسات المتخصصة عليها.. والأهم من ذلك إشراك أبناء المنطقة في حماية المواقع؛ فأهل شُكع هم الأقدر على إدراك قيمة هذا التراث، وهم خط الدفاع الأول عنه.

عقرم.. كتاب لم تُقرأ كل صفحاته

إن جبل عقرم ليس مجرد جبل في جغرافية الضالع، بل هو كتاب حجري مفتوح. في قمته مقابر، وفي سفوحه خرائب، وعلى حجارته نقوش، وفي ترابه لقى، وفي ذاكرة سكانه روايات تناقلتها الأجيال. وقد استطاع الباحثون أن يقرأوا بعض صفحات هذا الكتاب، غير أن صفحات أخرى لا تزال مغلقة تحت الأرض، تنتظر مشروعًا علميًا يعيد الكشف عنها ودراستها.وربما يحمل أحد النقوش التي لم تُدرس بعد اسم مكان قديم، أو اسم شخصية، أو جماعة، أو معبود، أو إشارة إلى حدث تاريخي يمكن أن يضيف معلومة جديدة إلى تاريخ الضالع القديم. ولهذا فإن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه اليوم ليس فقط: كم عمر آثار عقرم..؟ بل أيضًا: ماذا يمكن أن تخبرنا آثار عقرم إذا أُتيح لها أن تُدرس دراسة علمية متكاملة..؟

إن شُكع وعقرم بحاجة إلى مشروع أثري حقيقي يعيد للموقع اعتباره العلمي، ويجمع ما تفرق من آثاره، ويوثق نقوشه وتماثيله وكل اللقى الأثرية المكتشفة فيه، ويدرس تسلسله الزمني، ويضع تاريخ المنطقة في سياقه الصحيح ضمن تاريخ اليمن القديم. فالضالع ليست حديثة العهد بالتاريخ، وشُكع ليست مجرد مجموعة قرى، وعقرم ليس مجرد جبل؛ إنها ذاكرة حجرية، وقد يحمل كل حجر فيها قصة لم تُقرأ بعد.

كلمة أخيرة

إن مسؤوليتنا تجاه آثار مدينة شُكع التاريخية وجبل عقرم لا تقتصر على الحديث عنها في الصحف والمجلات، وإنما تبدأ بحمايتها من العبث، ثم بإخضاعها للبحث العلمي المنهجي؛ لأن الأثر إذا فقد سياقه ومكانه فقدنا معه جزءًا مهمًا من قدرتنا على فهم التاريخ. إن ما تحتاجه شُكع اليوم ليس المبالغة في أعمار آثارها، ولا إطلاق أسماء الحضارات على كل قطعة تُعثر عليها، وإنما تحتاج إلى علماء آثار، ونقّاشين، ومؤرخين، ومتاحف، ومشروعات تنقيب علمية تعيد قراءة الموقع كما ينبغي.فربما تكون شُكع واحدة من تلك الصفحات التي لم ينصفهيخ المكتوب، لكنها ما تزال تحتفظ بجزء من نصها الأصلي في الحجر.

مراجع ومصادر للاستئناس:

- صحيفة الأيام، خبر اكتشاف بقايا أثرية في منطقة شُكع - جبل عقرم، 9 أبريل 2009م.

- صحيفة أخبار اليوم، خبر معاينة الفريق الأثري لموقع شُكع الخربة، أبريل 2009م.

- حاج العادي 21، نقش قتباني من وادي حريب، ويتضمن ذكر مدينة شُكُع في أرض يُهَنْطِل.

- مواد تاريخية وأثرية عن شُكع وجبل عقرم ودراسات من أرشيف الهيئة العامة للآثار بالضالع.

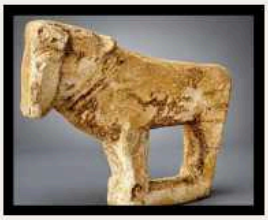
- تقارير وزيارات ميدانية حديثة إلى المواقع الأثرية في جبل عقرم ومناطق شُكع.



تمثال جنائزي من الحجر الكلسي - مقابر جبل عقرم



مبخرة جنائزية ممثلة بشكل نصف دائري - مقابر شُكع



تمثال حصان أثري مجسّم منحوت من الحجر الجيري - مقابر شُكع



تمثال حجري نذري بشري دون ملامح للوجه - مقابر شُكع



آنية من الفخار مجوفة من الداخل من دون قاعدة - مقابر جبل عقرم



تمثال جنائزي على قاعدة بملامح وجه واضحة - مقبرة شكع

شُكـــع..
حين تنبش المعاول ذاكرة الحضارة



القاضي: حيدرة نصر شايف
عضو نيابة الضالع الابتدائية

في ظل ما تختزنه ربوع محافظة الضالع من شواهد مادية لحضارات جنوب الجزيرة العربية، تقف مدينة شُكع التاريخية، التابعة إداريًا لمديرية الحُصين، شاهدةً على إرثٍ عظيم يحتاج إلى رعاية رسمية وعلمية استثنائية تناسب مع ما تختزنه من مقومات. وتتمثل في إحدى أخطر المشكلات التي تواجه هذه المواقع في أعمال النبش والحفر والتنقيب غير المرخص، التي لا تقتصر آثارها على فقدان بعض اللقى؛ بل تمتد إلى تدمير السياق الأثري الذي يمنح المكتشف قيمته العلمية، ويتيح للباحثين إعادة بناء جوانب من التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني للمجتمعات القديمة.

وتكتسب شُكع أهمية خاصة في هذا السياق، لما تضمه من مواقع ومقابر ومنشآت وشواهد أثرية، وفي مقدمتها موقع المجنب ومقابر جبل عقرم ومحيطه. كما أن المنطقة تحتاج إلى مسح أثري رسمي شامل تتولاه الجهة المختصة، مع تحديد المواقع وتوثيقها ورسم حدودها وإحداثياتها، وإدراجها في سجلات وخرائط رسمية، واتخاذ التدابير الوقائية اللازمة لحمايتها. فالموقع الأثري ليس مجرد مساحة يحتمل العثور فيها على مقتنيات قديمة، وإنما هو سجل مادي متكامل يختزن معلومات عن الإنسان الذي عاش في المكان، وأنماط حياته ومعتقداته ونظمه الاجتماعية والاقتصادية والدينية. وقد تعرضت بعض مواقع شُكع، ومنها جبل عقرم، لأعمال تنقيب ونبش منذ عقود، ثم تواصلت أعمال الحفر العشوائي في فترات لاحقة. وأدى غياب الحماية والتوثيق المنتظمين إلى جعل بعض المواقع عرضة للتعدي والعبث. وفي المقابل، برزت جهود محلية للحفاظ على بعض المواقع، ومنها الجهود التي يبذلها أبناء المرحوم الحاج ناجي محمد سادل، بوصفهم مالكي الأرض والمساقي والحائزين على الموقع حاليًا، من خلال منع أعمال الحفر والبحث غير المشروع عن الآثار. وتؤكد هذه الحالة أن حماية التراث لا يمكن أن تقوم على الجهد الفردي وحده، وإنما تحتاج إلى منظومة قانونية ومؤسسية ومجتمعية.

الأثر بوصفه وثيقة تاريخية لا سلعة تجارية

ينظر بعض ممارسي النبش غير المشروع إلى المواقع الأثرية من زاوية ما قد تحتويه من ذهب أو نقود أو مقتنيات ثمينة، في حين أن القيمة الحقيقية للأثر، في المنظور العلمي، قد تكون بعيدة تمامًا عن قيمته المالية. فقد تكون قطعة فخار مكسورة، أو أداة بسيطة، أو عظم أو سن، أو نقش حجري صغير، أو مسلة تحمل كتابة قديمة، أكثر أهمية للباحث من قطعة نفيسة في سوق المقتنيات؛ لأنها قد تقدم معلومة لا يمكن الحصول عليها من مصدر آخر. وتتبوأ بقايا المقابر مكانة بارزة في دراسات الباحثين الآثاريين والأنثروبولوجيين، إذ يمكن للدراسة العلمية المرخصة أن تسهم في معرفة أنماط الحياة والصحة والغذاء والحركة السكانية في عصور قديمة، مع ضرورة مراعاة القواعد القانونية والأخلاقية المتعلقة بحرمة الموتى. كما يمكن للفخار والأواني والمنحوتات والحلي والأدوات أن تكشف جوانب من الصناعة والتجارة والعلاقات الحضارية، في حين قد تساعد بقايا الأسلحة في دراسة مظاهر الصراع والحرب والتقنيات العسكرية. أما النقوش المكتوبة بالمسند القديم فتشكل مصدرًا بالغ الأهمية للمعلومات التاريخية واللغوية، وقد تحمل أسماء أشخاص وملوك وأماكن وأحداثًا لا يمكن تعويضها إذا اقتُلعت من سياقها أو ضاعت.

خطورة النبش العشوائي وفقدان السياق الأثري

تكمن أخطر نتائج النبش غير القانوني في أنه لا ينتزع القطعة الأثرية فحسب، بل يدمر العلاقة بينها وبين المكان والطبقة التي وجدت فيها وما يحيط بها من شواهد. فالقطعة التي يعثر عليها عالم الآثار في موضعها الصحيح، بعد توثيق موقعها وطبقتها وما يحيط بها من شواهد. فالقطعة التي يعثر عليها عالم الآثار في موضعها الصحيح، بعد توثيق موقعها وطبقتها واتجاهها وعلاقتها بالمكتشفات الأخرى، يمكن أن تتحول إلى وثيقة تاريخية متكاملة. أما القطعة نفسها بعد اقتلاعها عشوائيًا وبيعها أو إخفائها دون تسجيل أو ، فقد تصبح مجرد مقتنى مجهول

المصدر، فاقدًا جزءًا كبيرًا من قيمته العلمية، فضلًا عن دخوله في سلسلة غير مشروعة من الحيازة والإتجار والتهريب.

والنباش، في الغالب، لا يبحث عن المعرفة العلمية، وإنما عن الشيء الذي يعتقد أنه قابل للبيع أو الانتفاع المالي؛ ولذلك لا يهتم بتسجيل الموقع أو الطبقات الأثرية أو مواضع اللقى وعلاقاتها ببقية الموجودات. وقد تؤدي حفرة واحدة إلى تدمير طبقة أثرية ظلت محفوظة مئات أو آلاف السنين، وهو ضرر لا يمكن إصلاحه بمجرد استعادة القطعة المسروقة. فعلم الآثار لا يقوم على القطعة منفردة، وإنما على منظومة العلاقات التي تربطها بمكانها وطبقتها ومحيطها وبالسكان الذين أنتجوها أو استخدموها.

ومن هنا يتضح الفرق الجوهري بين التنقيب العلمي المرخص والنبش الفردي غير القانوني؛ فالأول يهدف إلى اكتشاف التاريخ وتوثيقه وحفظه وفق منهج علمي، بينما يؤدي الثاني إلى طمس الأدلة التي يعتمد عليها هذا العلم. وقد يتحول النبش إلى بداية لسلسلة تبدأ بالحفر غير المشروع، ثم استخراج اللقى من سياقها، وإخفائها أو حيازتها، وتنتهي ببيعها أو تهريبها خارج البلاد.

الإطار القانوني للتنقيب وملكية الآثار

لم يترك المشرّع اليمني حماية الآثار دون تنظيم؛ فقد صدر القرار الجمهوري بالقانون رقم (21) لسنة 1994م بشأن الآثار، وعُدّل لاحقًا بالقانون رقم (8) لسنة 1997م. ويقرر القانون، وفق ما ورد في النصوص ذات الصلة، حماية الآثار المنقولة والثابتة الموجودة على سطح الأرض أو في باطنها، كما يميز بين ملكية الأرض وحق الدولة في حماية الآثار الواقعة فيها. ولذلك فإن ملكية الأرض أو حيازتها أو استعمالها لا تمنح صاحبها حق التصرف في الآثار الموجودة فيها، ولا تخوله حق التنقيب عنها.

وهذه القاعدة تحسم مسألة طالما أثيرت في المواقع الأثرية الواقعة داخل أملاك خاصة؛ فملكية العقار لا تعني امتلاك ما تختزنه الأرض من آثار، ولا تمنح المالك حق الحفر بحثًا عنها. وقد عرّف قانون الآثار التنقيب بأنه أعمال الحفر والسبر والتحري الهادفة إلى العثور على الآثار، وجعل أعمال التنقيب من اختصاص الهيئة العامة للآثار، مع إمكان منح تراخيص للجهات والهيئات والجمعيات العلمية والبعثات الأثرية وفق الشروط القانونية. وبناءً على ذلك، لا يصبح الحفر مشروعًا لمجرد أن القائم به يدعي أنه يبحث لغرض شخصي أو علمي، أو أنه يعمل داخل أرض يملكها؛ وإنما العبرة بوجود الترخيص الصادر عن الجهة الأثرية المختصة.

كما ألزم القانون من يعثر مصادفة على أثر منقول بإبلاغ الهيئة المختصة، والاحتفاظ به وفق ما يقرره القانون إلى حين تسليمه إليها،

بما يؤكد أن العثور على أثر لا يمنح الشخص حق تملكه أو التصرف فيه بصورة مستقلة. ومن ثم، فإن الطريق القانوني أمام مالك الأرض أو حائزها عند العثور على أثر ليس نبشه أو حيازته بقصد الإتجار، وإنما الإبلاغ عنه وتوثيقه عبر الجهة المختصة.

مسؤولية مالك الأرض والحائز

تتطلب مسألة مسؤولية مالك الأرض قدرًا من التمييز القانوني؛ فمجرد ملكية الأرض التي يوجد فيها موقع أثري لا تكفي وحدها لإدانة صاحبها بجريمة النبش، ما لم يثبت أنه ارتكب فعلًا مجرمًا أو شارك فيه أو حرّض عليه أو ساعد على ارتكابه أو رضي به على نحو يترتب عليه مسؤولية قانونية وفقًا للوقائع وما يثبته التحقيق. وفي المقابل، فإن علم المالك بوجود أعمال حفر غير مشروعة داخل أرضه، ثم مشاركته فيها أو تمكين مرتكبيها منها أو قيامه هو بالتنقيب واستخراج الآثار، يجعله خاضعًا للمساءلة بحسب دوره والفعل المنسوب إليه.

والأصل أن صاحب الأرض يملك العقار وله حق حمايته، لكنه لا يملك تحويل الموقع الأثري إلى مجال للتنقيب الفردي. وفي المقابل، فإن تعاونه مع الجهات المختصة والإبلاغ عن أعمال النبش أو عن العثور على أثر يمثل السلوك الذي ينسجم مع الغاية التي وضعها القانون لحماية التراث. كما أن حماية الموقع من العبث، بالتنسيق مع الجهات الرسمية، تظل من صور المسؤولية المجتمعية والوطنية التي لا ينبغي الخلط بينها وبين ممارسة التنقيب الأثري.

العقوبات والمسؤولية الجنائية

أفرد المشرّع اليمني في قانون الآثار بابًا خاصًا للعقوبات، بهدف حماية الآثار والمواقع الأثرية من مختلف صور الاعتداء، مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد يقررها قانون العقوبات أو أي قانون آخر. كما وضع ضوابط صارمة للتصرف في الآثار، إذ نصت المادة (35) على: «يحظر على السلطة الأثرية إهداء الآثار إلا في أضيق الحدود ولتحقيق مصلحة عامة، وبشرط أن يكون الأثر منقولًا ومسجلًا ومما يمكن الاستغناء عنه لوجود ما يماثله من حيث المادة والصنع والدلالة التاريخية والقيمة الفنية، ويتم ذلك بقرار من مجلس الوزراء بناءً على عرض الوزير». وتؤكد المادة (36) هذا الاتجاه، إذ نصت على: «يعاقب على مخالفة أحكام هذا القانون بالعقوبات المبينة في المواد التالية مع عدم الإخلال بأية عقوبة أشد يقرها قانون العقوبات أو أي قانون آخر». وفيما يتعلق بتهريب الآثار، نصت المادة (37) على: «يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن خمس سنوات أو بغرامة أو بالعقوبتين معًا كل من هرب أو اشترك في تهريب أثر إلى خارج الجمهورية، مع الحكم بمصادرة الأثر محل الجريمة وكذلك الأشياء المستخدمة في تنفيذ الجريمة لصالح صندوق دعم الآثار».

أما الحفر والتنقيب عن الآثار دون ترخيص، فقد نصت المادة (38) على: «كل من أجرى أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار دون ترخيص أو اشترك فيه يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين أو بغرامة مالية أو بالعقوبتين معًا».ويكتسب هذا النص أهمية خاصة في مواجهة النبش غير القانوني، إذ يجرّم مباشرة أعمال الحفر والتنقيب أو الاشتراك فيها دون ترخيص، متى ثبتت الواقعة وتوافرت أركانها القانونية.

ومن مجموع هذه النصوص يتضح أن المشرّع اليمني أحاط الآثار بحماية جنائية تشمل الحفر والتنقيب غير المرخص، والتهريب، والسرقة، والإتلاف، والتشويه، والحيازة والنقل أو النزع دون سند قانوني، والاعتداء على المواقع والمباني والأراضي الأثرية.

ولا تقوم المسؤولية الجنائية لمجرد وجود الشخص في موقع أثري، وإنما تتحدد وفق الفعل الذي ثبت ارتكابه والأدلة والوقائع المحيطة به، وتختص جهات الضبط والتحقيق والقضاء بإثبات الأفعال وتحديد المسؤولية عنها وفقًا للقانون.

وبذلك فإن النبش والتنقيب غير القانوني عن الآثار لا يُعد مجرد مخالفة عابرة، بل قد يرتب مسؤولية جنائية متى توافرت أركان الجريمة وثبت ارتكاب الفعل المحظور، لما يترتب على العبث بالمواقع الأثرية من فقدان للقطع الأثرية وتدمير للسياقات التاريخية والعلمية التي لا يمكن استعادتها.

مسؤلية الدولة والمجتمع في حماية شكع

إن مواجهة ظاهرة النبش غير القانوني في شُكع لا يمكن أن تقتصر على الجانب الأمني وحده، على أهميته، بل تحتاج إلى مقاربة متكاملة تجمع بين الحماية القانونية والرقابة الميدانية والتوثيق العلمي والتوعية المجتمعية. فالدولة، ممثلة بالجهات الأثرية والسلطات المحلية والأجهزة الأمنية والجهات القضائية المختصة، مطالبة بحماية المواقع الأثرية وحصرها وتحديد حدودها وتوثيقها والتعامل مع الاعتداءات عليها وفق القانون.

وتبرز في هذا السياق أهمية تشكيل لجنة أثرية متخصصة من الهيئة العامة للآثار في محافظة الضالع تضم مختصين في الآثار والترميم، للنزول الميداني إلى المواقع المتضررة، وتوثيق الأضرار وتحديد طبيعتها وحجمها وإعداد تقارير علمية وقانونية يمكن الاستناد إليها في الإجراءات اللازمة. كما ينبغي أن يحظى التوثيق العاجل للمواقع التي تعرضت للنبش بأولوية خاصة، من خلال تصوير الحفر والمقاطع الطبقية والأنقاض واللقى المتناثرة وتحديد أماكن الاعتداء بدقة، قبل أن تتغير معالم الموقع أكثر.

ولا تقل مسؤولية المجتمع أهمية عن مسؤولية الدولة؛ فأبناء المناطق الأثرية هم الأقدر على ملاحظة الحفر غير المعتاد وحركة الغرباء والمسالك المؤدية إلى المواقع. ويمكن للمجتمع المحلي أن يكون خط الدفاع الأول عن تراثه، من خلال الإبلاغ المبكر عن أعمال النبش وعدم التعامل مع اللقى المكتشفة أو إخفائها أو بيعها أو شراء القطع مجهولة المصدر. فالإبلاغ ليس تدخلًا في شؤون الآخرين، بل هو إسهام في حماية ذاكرة المنطقة، وقد ينقذ موقعًا أثريًا كاملًا من التدمير.

شُكع: ذاكرة حضارية ومسؤولية تجاه المستقبل

إن المواقع الأثرية في شُكع ليست ملكًا لجيل بعينه، ولا ينبغي اختزال قيمتها في القطع التي قد يستخرجها العابثون من باطن الأرض. فقيمتها الحقيقية تكمن في أنها جزء من الذاكرة الحضارية للمنطقة، وفي قدرتها على تقديم معلومات علمية عن المجتمعات القديمة التي عاشت فيها، وعن أنظمتها السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية. ومن هذا المنطلق، فإن حماية موقع اثري واحد تعني الحفاظ على فصل من التاريخ، بينما يؤدي تدمير طبقاته ومقابره ومنشآته إلى إسقاط صفحات كاملة من ذلك التاريخ دون إمكانية استعادتها.

وتزداد المسؤولية عندما يتعلق الأمر بالمقابر؛ فاحترام الموتى وتحريز مدافنهم لا يمثلان واجبًا أثريًا فحسب، بل يحملان بعدًا أخلاقيًا وإنسانيًا يتجاوز حدود القيمة المادية لما قد تحتويه تلك المدافن. ولهذا فإن أي دراسة علمية لبقايا بشرية ينبغي أن تتم عبر الجهات المختصة، وبمنهج يحفظ حرمة الموتى ويضمن القيمة العلمية للمكتشفات.

خلاصة وتوصيات

يتبين مما سبق أن النبش والتنقيب غير المرخص عن الآثار في محافظة الضالع، وفي شُكع على وجه الخصوص، ليسا مجرد بحث عن دفائن أو مقتنيات قابلة للبيع، بل يمثلان اعتداءً على سجل تاريخي قد يؤدي فقدان سياقه إلى ضياع معلومات لا يمكن استعادتها. كما أن القانون اليمني لا يترك التنقيب الفردي للإباحة أو الاجتهاد الشخصي، بل ينظمه ويقرر عقوبات على الحفر غير المرخص، وعلى إتلاف الآثار وسرقتها وحيازتها ونقلها وتهريبها، وفقًا للأفعال والوقائع التي تثبتها الجهات المختصة.

وعليه، فإن حماية آثار شُكع تتطلب جملة من الإجراءات العملية: إجراء مسح أثري شامل للمواقع التاريخية في الضالع، مع إعطاء شُكع وجبل عقرم وموقع المجنب أولوية في التوثيق؛ تحديد المواقع وإحداثياتها وحدودها وإدراجها في خرائط وسجلات رسمية؛ إنشاء آلية تنسيق دائمة بين الهيئة العامة للآثار والسلطة المحلية والأجهزة الأمنية والجهات القضائية المختصة؛ إدراج المواقع المعروفة ضمن خطط المراقبة والدوريات؛ توثيق المواقع التي تعرضت للنبش وتقدير الأضرار علميًا وقانونيًا؛ تدريب أفراد الأمن والبحث على طبيعة جرائم الآثار؛ إنشاء سجل محلي للبلاغات المتعلقة بالنبش والاعتداء على المواقع الأثرية.

ومن المهم كذلك نشر الوعي بين أبناء المناطق الأثرية بأن الإبلاغ عن النبش والحفر واجب مجتمعي، وأن شراء قطعة أثرية مجهولة المصدر يشجع عمليًا على استمرار السوق غير المشروع. كما ينبغي وقف أي أعمال أو استحداثات من شأنها تشويه المواقع الأثرية أو الإضرار بها، وإنشاء قاعدة بيانات وطنية رقمية تتضمن الصور والمخططات والمعلومات العلمية للآثار والمواقع، بما في ذلك الآثار الموجودة في حيازة المواطنين وفق الإجراءات القانونية، بحيث يمكن توثيقها ومتابعة حركة القطع الأثرية ومنع خروجها من سياقها التاريخي. وفي المحصلة، فإن ما تهدمه معاول النبش في ساعات قد يكون خلاصة تاريخ صنعته قرون، وما يفقده الموقع من سياقه الأثري قد لا يمكن استعادته حتى لو عادت القطعة نفسها إلى مكانها. لذلك فإن حماية مدينة

شُكع التاريخية ومواقعها الأثرية ليست ترفًا ثقافيًا، وإنما مسؤولية قانونية وعلمية وأخلاقية ووطنية؛ فالأثر الذي لا يساوي عند النباش إلا مبلغًا من المال، قد يساوي عند عالم الآثار والمؤرخ صفحة كاملة من تاريخ البلاد.









خيوط العنكبوت: رواية تكشف هشاشة المسلمات للأستاذة القديرة عيشة صالح

خيوط العنكبوت لعيشة صالح رواية تنسج عالماً متخيلاً يلامس أسئلة الواقع الإنساني، حيث يتحول الجفاف إلى امتحان للضمير، وتغدو الأسطورة سلطة تتحكم في مصائر البشر. تدور الأحداث في وادي الشاهوري، الذي يؤمن سكانه بأن خلاصهم مرهون بتقديم قربان بشري وفق تقاليد موروثة، فتبدأ رحلة بحث يقودها الحاكم بين الشك واليقين، وبين واجب حماية الجماعة وصوت العدالة الذي يرفض التضحية بالبريء.

تتجاوز الرواية حدود الحكاية لتناقش قضايا أعمق، مثل التعصب لنقاء العرق، وهيمنة الموروث، وصراع السلطة مع الأخلاق، والخوف من الحقيقة حين تهدد المسلمات الراسخة. وتهتم الرواية بتوظيف الفانتازيا والرمز لبناء عالم متماسك، تتصاعد فيه الأحداث تدريجياً، بينما تتكشف الأسرار لتقود القارئ إلى مراجعة كثير من الأفكار التي تبدو بديهية.

تتميز الرواية بلغة سردية سلسة، وحوارات تخدم تطور الشخصيات، مع حضور واضح للبعد الفلسفي الذي يمنح النص عمقاً وتأملاً. إنها رواية تطرح أسئلة أكثر مما تقدم أجوبة، وتدعو القارئ إلى التفكير في العلاقة بين الحقيقة والأسطورة، وبين الخوف والحرية، وبين الإنسان والأفكار التي قد تتحول، مع الزمن، إلى خيوط عنكبوت تحاصر العقول أكثر مما تحميها.



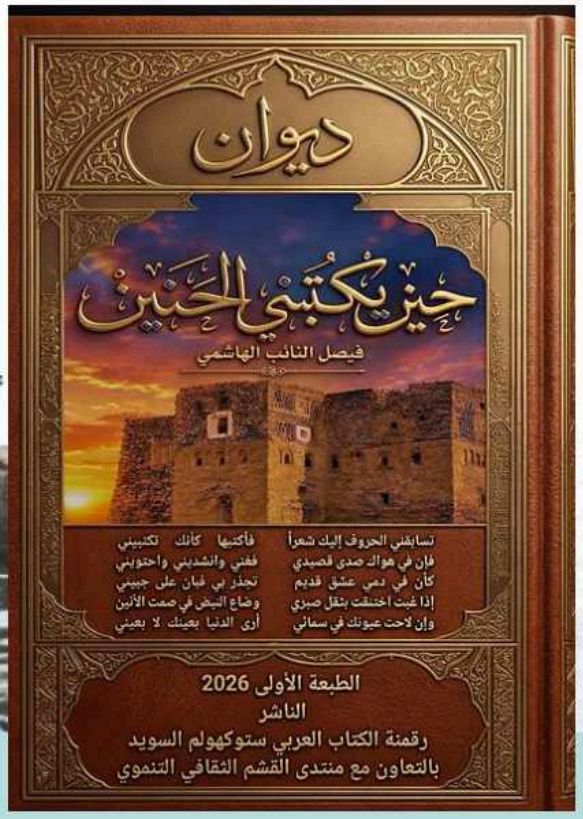
حين يكتبني الحنين

«حين يكتبني الحنين» للشاعر فيصل النائب الهاشمي

صدر ديوان «حين يكتبني الحنين» للشاعر اليمني فيصل النائب الهاشمي عن دار رقمنة الكتاب العربي في السويد، بالتعاون مع منتدى القَشَم الثقافي التنموي، في طبعته الأولى عام 2026، وبتقديم الدكتور فضل صالح هادي.

يتردّد الحنين في قصائد الديوان بأصوات شتّى. فهو لوعةُ انتظارٍ في قصائد الحب، وأثرُ غيابٍ في نصوص الفراق، ووفاءٌ للأهل والوطن حين يستعيد الشاعر ملامح المكان الأول. وإلى جوار هذه القصائد، يحضر المديح النبوي في قصيدة «ذكر الحبيب المصطفى»، حيث يأخذ الشوق نبرةً روحية.

ويضيء الشاعر في افتتاحيته جانبًا من تجربته حين يصل بين ما ألفه في الرياضيات والفيزياء من دقّةٍ ونظام، وما يجده في القصيدة العمودية من إيقاعٍ وبناء. ويختصر عنوان الديوان هذه التجربة في مفارقة شعرية رقيقة، إذ يتبادل الشاعر والحنين الأدوار، فيغدو الحنين هو الذي يكتب الشاعر، بيتًا بعد بيت.



وهج القوافي

«وهج القوافي» ... صوت أبي ماجد الخيلي في ديوان مطبوع

صدر عن منتدى القَشَم الثقافي التنموي بمحافظة الضالع ديوان «وهج القوافي» للشاعر والتربوي الراحل أبي بكر أحمد شائف الخيلي (أبي ماجد) (1948–2025م)، في طبعته الأولى لعام 2026م. ويجمع الإصدار قصائد الشاعر وزواملة ومساجلاته، ويضيء جوانب من سيرته وتجربته الشعرية، بما يتيح للقارئ أن يتعرّف إلى صاحب القصيدة وإلى البيئة التي نشأ فيها صوته.

قدم له وشرحه ورتب نصوصه :

د.صالح القطوي

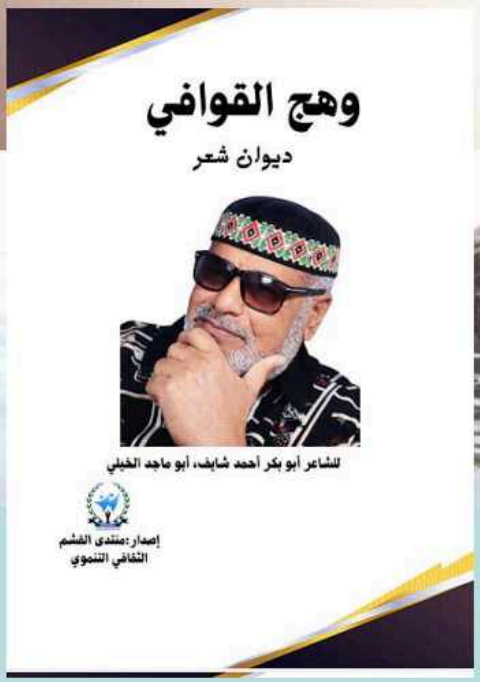
أ.وليد المزارع

أ. الساحر الجحافي

يفتتح الكتاب بسيرة الشاعر، ابن مدينة العوابل في مديرية الشعيب، فيتتبّع نشأته ومسيرته في التربية والتعليم، ثم يقدّم قراءة في شعره تمهّد للدخول إلى عالم الديوان. وتتوزع نصوصه بين قصائد الغزل والعتاب، والقصائد الوطنية والاجتماعية، والزوامل الشعبية والمساجلات الشعرية. وفي هذا التنوع نسمع أبا ماجد في أكثر من مقام، من حديث الوجدان وعتاب الأحبّة إلى التعبير عن هموم الناس، ومن صوت الشاعر في قصيدته إلى أخذه وردّه مع مجايليه في المساجلات.

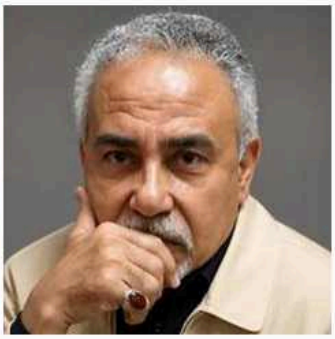
وللزوامل والمساجلات مكانة خاصة في الديوان، فهي تكشف جانبًا من حيوية الشعر الشعبي في الضالع، حيث تتصل القصيدة بالمناسبة ويصبح الردّ الشعري جزءًا من الحكاية. ويضمّ الكتاب كذلك قسمًا لقصائد الثناء والرثاء التي كتبها شعراء في أبي ماجد، فتجاور قصائده أصواتٌ عرفته وحاورته وحفظت له مكانته. ويُختتم الإصدار بملحق توثيقي وفهرس للقصائد والمراثي.

وقد تولّى تقديم الديوان وشرح نصوصه وترتيبها الدكتور صالح القطوي، والشاعر وليد الزارع، والشاعر الساحر الجحافي، وتبنّى طباعته الأستاذ محسن ناصر القَشَم الشعيبي، مؤسس المنتدى وراعيه. وتكمن قيمة هذا الإصدار في أنه يضع بين يدي القارئ أثرًا شعريًا مجموعًا ومشروحًا، ويمنح قصائد أبي ماجد حياةً أخرى على الورق، تحمل إلى قرّاء اليوم شيئًا من نبرة الشعيب وذاكرتها.



أوقفني..قال
للشاعر الكبير شوقي شفيق
ترجمة إلى الإنجليزية: تغريد بو مرعي





1

أوقفَني عندَ عتبتِهِ، قال:
لَك أن تختارَ بين الدخولِ إليّ
أو الحلولِ في نسيجِ الأرضِ
قلتُ :الأرضُ خياري.

2

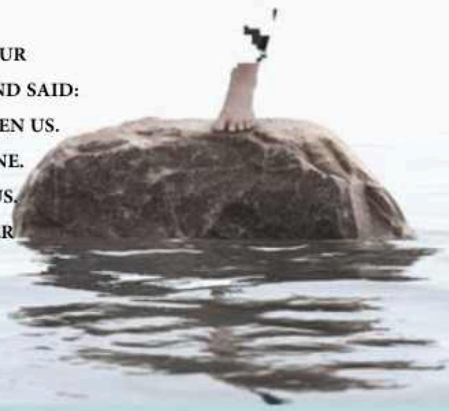
أوقفني في الأرضِ
الأرض إرثُ محبةٍ أو إرثُ جنونٍ
والأرض تدفقٌ للكلامِ
وحشدٌ للأنسابِ
فبأيِّ حذاقةٍ ستؤطرُ زهوَ الخلودِ.
أوقفني في الأرضِ، قال:
ليكن في يديك بعضُ قوّتي
ليكن في عينيك بعضُ رؤايَ
وفي قلبك صفحة لأسمائي
وليزهر ضوءُ معنايَ في بهوِ أيامكَ

3

أوقفني في الأيامِ، قال:
سنقسِمها بيننا
اليومُ الأولُ لي وحدي
والثاني لنا
والبقيةُ نُراكِمُها ذخيرةً لأسرارنا.
فلا تدع سؤرا منها للغرباءِ
همُ الخديعةُ ترتدي حُلةَ الإغراء.
والرغباتِ لا تَساويَ في أيامِنا
يومي معرفة واكتمال
فبأيِّما أعمالٍ ستؤثث أيامكَ

STOP ME... HE SAID
POET SHAWQI SHAFIQ
TRANSLATED INTO ENGLISH BY
TAGHRID BOU MERHI

1. HE STOPPED ME AT HIS THRESHOLD AND SAID:
YOU MAY CHOOSE
TO ENTER INTO ME,
OR TO DISSOLVE
INTO THE FABRIC OF THE EARTH.
I SAID:
THE EARTH IS MY CHOICE.
2. HE STOPPED ME IN THE EARTH.
THE EARTH IS A LEGACY OF LOVE,
OR A LEGACY OF MADNESS.
THE EARTH IS A RIVER OF WORDS,
A GATHERING OF BLOODLINES.
BY WHAT INGENUITY
WILL YOU FRAME
THE SPLENDOR OF ETERNITY?
HE STOPPED ME IN THE EARTH AND SAID:
LET SOME OF MY STRENGTH
REST IN YOUR HANDS.
LET SOME OF MY VISIONS
LIVE IN YOUR EYES.
LET YOUR HEART KEEP A PAGE
FOR MY NAMES.
AND LET THE LIGHT OF MY MEANING
BLOSSOM
THROUGH THE HALLS OF YOUR
3. HE STOPPED ME IN THE DAYS AND SAID:
WE SHALL DIVIDE THEM BETWEEN US.
THE FIRST DAY IS MINE ALONE.
THE SECOND BELONGS TO US.
THE REST WE SHALL GATHER
AS A RESERVE
FOR OUR SECRETS.
LEAVE NONE OF THEM
FOR STRANGERS.
THEY ARE DECEPTION
DRESSED IN THE GARMENTS OF SEDUCTION.
AND WHAT ARE DESIRES WORTH
IN THE DAYS WE SHARE?



4

أوقفني في الأعمالِ، قال:

أعمالُك كلها لي،

مسراتُكَ وأحزانك،

غبطتُكَ وأتراحُكَ.

وما يلي من أعمالِك الأخرى

قال:

لا تذهب في الخوفِ مني

وافتح يديكَ لمجدي

فأنا عُدّتُكَ وعتادُكَ.

5

أوقفني في العدد قال:

واحدٌ أنا،

لا يُحصيني سوايَ ولا يجمعُني عددٌ

أنا مُتَكَثِّرٌ ومُتَجَمِّعٌ في أَحَدِيَّتي

وليس سوايَ يمنحُك الكلام عليّ.

6

أوقفني في الكلامِ، قال:

أزليٌّ خطابي ،

وفي البدء كان كلمتي

لا ترسمُ إلا أنا فيهِ

ولا تُرسِلُ فصاحةً بغيرِ حضوري

حضوري أبدٌ وبلاغتي بحرُكَ الذي يجري في الأبدانِ.

ويقودُ خيلكَ نحوي

أوقفني في الكلامِ، قال:

سُدَّى كلُ بيانٍ

إذ يَبعُدُ عن منحنياتِ بياني

وهباءٌ كلُ قولٍ لا تنفذُ فيه مشيئتي

أوَ ماعلمتَ أن كلامي بَدءٌ ومنتهى !

قال:

أنجِز بلاغَتكَ لا تُنجِزُها إلا بي

فأنا الحقيقة وما سوايَ محضُ غبارٍ.

DID YOU NOT KNOW

THAT MY WORD

?IS BOTH BEGINNING AND END

:HE SAID

FULFILL YOUR ELOQUENCE

YOU CANNOT FULFILL IT

.EXCEPT THROUGH ME

,FOR I AM THE TRUTH

AND EVERYTHING BESIDES ME

.IS NOTHING BUT DUST

4. HE STOPPED ME IN MY DEEDS AND SAID:

ALL YOUR DEEDS ARE MINE

YOUR JOYS AND YOUR SORROWS,

YOUR EXULTATION AND YOUR GRIEF,

AND ALL THAT FOLLOWS

OF YOUR OTHER WORKS.

HE SAID:

DO NOT LET FEAR OF ME

LEAD YOU ASTRAY.

OPEN YOUR HANDS

TO MY GLORY.

FOR I AM YOUR PROVISION,

YOUR STRENGTH,

YOUR WEAPON AND YOUR ARMOR.

5. HE STOPPED ME AT THE NUMBER AND SAID:

I AM ONE.

NONE BUT I CAN COUNT ME,

AND NO NUMBER CAN CONTAIN ME.

I AM MULTIPLIED

AND GATHERED

WITHIN MY ONENESS.

NONE BUT I

CAN GRANT YOU WORDS ABOUT ME.

6. HE STOPPED ME IN THE WORD AND SAID:

MY SPEECH IS ETERNAL.

IN THE BEGINNING

WAS MY WORD.

LET NOTHING BE DRAWN

WITHIN IT BUT ME,

AND LET NO ELOQUENCE BE UTTERED

WITHOUT MY PRESENCE.

MY PRESENCE IS ETERNITY,

AND MY ELOQUENCE

IS THE SEA THAT FLOWS

THROUGH THE BODIES

AND DRIVES YOUR HORSES

TOWARD ME.

HE STOPPED ME IN THE WORD AND SAID:

ALL EXPRESSION IS FUTILE

WHEN IT STRAYS

FROM THE CURVES OF MY DISCOURSE.

EVERY UTTERANCE IS DUST

IF MY WILL DOES NOT PASS TH



أنجِز بلاغَتكَ لا تُنجِزُها إلا بي
فأنا الحقيقة وما سوايَ محضُ غبارٍ.

7

أوقفني في الحقيقةِ لا ترقى إليها قال:
إلا أن تُتَقِّيَ سريرتَكَ
وتفحصَ أحوالكَ كلها
الحقيقة واحدة لا رديفَ لها
وكل ترادفٍ محوٌ ساطعٌ وهباءٌ.

8

أوقفني في المجازِ، قلت:
هذا رصيفٌ أدَّخِرُهُ
لحين تُفصِحُ العبارةُ عن جوهرها ومعناها
أوَ ما قلتَ لي إن البدءَ كان في كلامِكَ هو ذا.
أنا متصلٌ من غير انقطاعٍ عن مجازٍ
اجتَبَيتَني فيهِ
هو ذا أنا في مجازِكَ
مُتَعَيِّنا من دونِ علامةٍ
أنتَظرُ وأسأل
لِمَ أوقفتني في المجازِ
وتركتَني.
لم تقل لي أوقفني في المجازِ
حتى إذا اشتد اصطلامي
مُدّ لي رداءَ التجلي
ولم يقل لي وقفتُ في المجازِ
أحملُ خرابي
وأُخفي خيبتي وما قال لي.

7. HE STOPPED ME BEFORE THE TRUTH
I COULD NEVER ASCEND TO,
AND SAID:
UNLESS YOU PURIFY
WHAT LIES WITHIN YOU,
UNLESS YOU EXAMINE
EVERY STATE OF YOUR BEING.
TRUTH IS ONE.
IT HAS NO COUNTERPART.
EVERY LIKENESS,
EVERY SYNONYM,
IS A RADIANT ERASURE
A VANISHING INTO NOTHINGNESS.

8. HE STOPPED ME IN METAPHOR.
I SAID:
THIS IS A SHORE
I SHALL KEEP IN RESERVE
UNTIL LANGUAGE REVEALS
ITS ESSENCE AND ITS MEANING.
DID YOU NOT TELL ME
THAT THE BEGINNING
WAS IN YOUR WORD?
I REMAIN CONNECTED,
WITHOUT INTERRUPTION,
TO THE METAPHOR
IN WHICH YOU CHOSE ME.
HERE I AM
WITHIN YOUR METAPHOR,
DISTINCT WITHOUT A SIGN.
I WAIT.
I ASK:
WHY DID YOU STOP ME
IN METAPHOR
AND THEN LEAVE ME THERE?
YOU DID NOT TELL ME:
STOP ME IN METAPHOR
UNTIL, WHEN MY STRUGGLE
GROWS FIERCE,
YOU EXTEND TO ME
THE ROBE OF REVELATION.
AND YOU DID NOT TELL ME:
I HAVE STOPPED IN METAPHOR,
CARRYING MY RUINS,
HIDING MY DISAPPOINTMENT.





ملح الغياب

د.صوفيا الهدار
ترجمة:تغريد بو مرعي



منذ سنوات وأنا أحدّق من النافذة ذاتها
أطالع الشجرة العجوز ذاتها
والغراب الأخرس ذاته
جميعنا مربوطون إلى البحر
بلا وتد
ولا حب
ولا ذاكرة
لكننا ما زلنا نكرر الأشياء ذاتها
الغراب يراقب السفن
التي أعطاها صوته،
والشجرة تنتظر الموج
وترفض أن تموت،
وأنا لا أغادر النافذة
ولا أفتحها.
اليوم جاء أحدهم
قنص الغراب
وقلع الشجرة.
وبقيت أنا
أسفّ ملح الغياب
وأتذكر....
صرخة الغراب
واستسلام الشجرة.
وبقيت...
أكتب قصائد عن البحر
والحب
واللحظات العابرة
قصائد تنقصها شجرة ترفض الموت
وغراب زاهد
وامرأة مربوطة بوتد الذاكرة

THE SALT OF ABSENCE

DR. SOFIA AL-HADDAR
TRANSLATED INTO ENGLISH BY TAGHRID BOU MERHI

FOR YEARS, I HAVE STOOD AT THE SAME WINDOW,
GAZING AT THE SAME OLD TREE,
THE SAME MUTE CROW.
ALL OF US TETHERED TO THE SEA,
WITHOUT AN ANCHOR,
WITHOUT LOVE,
WITHOUT MEMORY.
YET WE KEEP REPEATING THE SAME RITUALS.
THE CROW WATCHES THE SHIPS
TO WHICH IT ONCE GAVE ITS VOICE.
THE TREE WAITS FOR THE WAVES,
REFUSING TO DIE.
AND I NEVER LEAVE THE WINDOW,
NEVER OPEN IT.
TODAY, SOMEONE CAME.
HE SHOT THE CROW
AND TORE THE TREE FROM THE EARTH.
AND I REMAINED,
WEAVING THE SALT OF ABSENCE,
REMEMBERING...
THE CROW'S CRY,
THE TREE'S SURRENDER.
AND I REMAINED...
WRITING POEMS ABOUT THE SEA,
ABOUT LOVE,
AND ABOUT FLEETING MOMENTS.
POEMS MISSING
A TREE THAT REFUSES TO DIE,
A CROW GROWN WEARY OF THE WORLD,
AND A WOMAN TETHERED
TO THE STAKE OF MEMORY.

نَفَسُ الكلمات

د. ديبابراتا ماجي - الهند
ترجمة: تغريد بو مرعي



يسيل الحبر كالنهر
فوق صفحةٍ صامتة،
فيفتح أبواب القلب،
ويطلق الحكيم من عزلته.
وفي إيقاع الكلمات وقوافيها،
تتهيأ الأفكار للتحليق،
فتحوِّل العتمة
إلى ضوءٍ متلألئ.
إنها تصل ما انقطع من الدروب،
وتقرِّب بين الأمم،
وهمسةٌ من الأمل
قادرةٌ على أن تهزم الخوف.
إنها تكتب وتُقرأ،
فدعوا أبياتها تنطلق حرة،
فهي هدية الروح
في اليوم العالمي للشعر.

THE SALT OF ABSENCE

DR. SOFIA AL-HADDAR
TRANSLATED INTO ENGLISH BY TAGHRID BOU MERHI

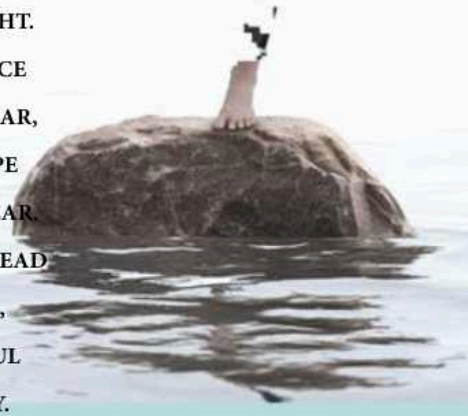


THE BREATH OF WORDS

© DR. DEBABRATA MAJI - INDIA

TRANSLATION: TAGHRID BOU MERHI

INK FLOWS LIKE A RIVER
OVER A QUIET PAGE,
IT IS UNLOCKING THE HEART,
AND IT SETS FREE THE SAGE.
IN THE RHYTHM AND RHYME
THOUGHT ABOUT TAKING FLIGHT,
IT TURNS THE DARKNESS
IN THE SHIMMERING LIGHT.
IT BRIDGES THE DISTANCE
AND BRINGS NATIONS NEAR,
A WHISPER OF THE HOPE
MAY HAVE CONQUERS FEAR.
IT CAN WRITE AND CAN READ
LET ITS VERSE BE FREE,
IT IS A GIFT TO THE SOUL
IN WORLD POETRY DAY.



صوتُ الصَّمتِ

© ألڤارو مايو - البرتغال
ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي



صوتُ الصمتِ ضجيجُ اللانهاية،
كأنغامِ نجومٍ تهوي
في ليلةِ سَهَرٍ على ظلالِ الطريق،
حيث يلمع ضوءُ القمر
ويرقص كوهجِ شمعة.
صوتُ الصمتِ يشبه تنهيدةً في أعماق الروح،
كشهقةِ امرأةٍ ينهكها الوجع،
على سريرٍ يموت عليه المرءُ من فرطِ الحب،
فتغدو الحركةُ خمودًا،
ويصير الجسدُ سكونًا.
صوتُ الصمتِ انفجارُ الحواس،
كصرخاتِ مشاعرَ لا يُسمع لها صوت،
في فجرٍ تتوهج فيه
أنغامٌ من نور.
صوتُ الصمتِ قيدٌ على الحريات،
كأنّه رقابةٌ تخنق الأغاني
التي يحاول الشعراء المتمرّدون
أن يرفعوا بها أصواتهم.

THE VOICE OF SILENCE

© ÁLVARO MAIO - PORTUGAL
TRANSLATION INTO ARABIC: TAGHRID BOU MERHI



THE VOICE OF SILENCE IS A NOISE OF INFINITY
LIKE THE MUSIC OF FALLING STARS
ON A NIGHT OF VIGIL IN THE SHADOWS OF THE ROAD
WHERE THE MOONLIGHT SHINES AND DANCES LIKE A
CANDLE FLAME
THE VOICE OF SILENCE IS LIKE AN INNER SIGH
LIKE THE GASP OF A WOMAN IN PAIN
ON A BED WHERE YOU DIE FOR LOVE
TURNING INTO INERT MOVEMENT
THE VOICE OF SILENCE IS AN EXPLOSION OF THE SENSES
LIKE DEAF CRIES OF EMOTIONS
IN DAWNS OF LUMINOUS SOUNDS
THE VOICE OF SILENCE IS A BINDING OF FREEDOMS
AS IF IT WERE CENSORSHIP OF SONGS
WITH WHICH REBELLIOUS POETS ARE SILENCED.



SYMBOL
ALICJA MARIA KUBERSKA (POLAND)
TRANSLATED INTO ARABIC BY TAGHRID BOU MERHI



رمز
أليسيا ماريا كوبيرسكا - بولندا
ترجمة إلى العربية: تغريد بو مرعي



YOU SAID: I AM A ZERO.

I THOUGHT: SO AM I.

MUST EVERYONE BE NUMBER ONE

IN THE RACE FOR WEALTH AND FAME?

LOOK—

TWO ZEROS, JOINED,

BECOME THE SIGN OF INFINITY.

THEY HOLD WITHIN THEM

ALL NUMBERS, THE UNIVERSE ITSELF.

WE CARRY THE MEMORY OF GENES,

AND EACH OF US IS SINGULAR.

قلتَ لي: أنا صفر.

فابتسمتُ وقلت: وأنا أيضًا.

ولِمَ ينبغي للجميع أن يكونوا الرقم واحد، في سباقٍ نحو المال والشهرة؟

أنظر...

حين يلتقي صفران، يولدان علامة اللانهاية.

وفي تلك العلامة تسكن كل الأرقام، ويتسع الكون بأسره.

نحن نحمل ذاكرة الحياة في جيناتنا، ولهذا يبقى كل واحدٍ منا كائنًا لا يشبه سواه.

البردوني في ذكراه السابعة والعشرين

الرحيل المبكر



بقلم: د. صالح القطوي

استهلال

لم يعد الفن والإبداع محصورين عند حد، ولا على أحد، ومنه انطلق الكثيرون منذ امرئ القيس وحتى اللحظة، ومن بين هؤلاء المبدعين لمع نجم البردوني (1939-1999) في سماء الشعر والنقد الأدبي. وفي هذا السياق نقدم في العدد الرابع من مجلة (القشم الثقافية) مقالًا يتحدث عن الذكرى السابعة والعشرين لرحيل الشاعر الكبير عبدالله البردوني (الرحيل المبكر) عن محبيه، وعن العطاء الشعري والنضج الفكري، وقبل أن يرى "ابن من شاب قرناها" النور، وقبل أن يكمل عشقه على مرافئ القمر..

وإذا كان المتنبي قد «شغل الناس وملأ الدنيا»، بزعمهم، وقوله:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي * وأسمعت كلماتي من به صمم

فقد قال المعري عن هذا البيت: «كأن المتنبي نظر إليّ بظهر الغيب»، فخلد المعري اسمه بفلسفته وشعره، فقال:

وإني وإن كنتُ الأخير زمانه * لآتٍ بما لم تستطعه الأوائلُ

وقد تحقق لكل منهما نبوءته وحكمته، ولزومياته في شعره ونثره.. لكن ما لم يكن بالحسبان أن يخرج أحد الكتاب الكبار في المغرب العربي ليصرح بأوضح العبارات، ويقول: «سيكتب عن الشاعر عبد الله البردوني ما لم يكتب عن المتنبي وأبي العلاء المعري)وهذا الرأي لم يأت من فراغ، ولكنه استنباط عن دراية بموهبة البردوني وثقافته، ذلك الشاعر والناقد والمثقف الكبير، الذي لبس ثقافة العصر وما سبقتها من عصور، فصال وجال في خلدها التاريخي، فاستطاع بملكاته الثقافية والفنية أن يعصرها أن يُعصر الزيتون والعنب. فلم تكن قصيدة البردوني (أبو تمام وعروبة اليوم) هي السبب الوحيد الذي نقلته إلى سماء النجومية، ولكنها كانت "يومها" أحد الأسباب التي كشفت عن قدراته الإبداعية أمام جهابذة النقد والشعر والفن والأدب. لأنه بعد ذلك اليوم انطلق إلى فضاء أوسع مما كان عليه، انطلق وهو يحدث «حبيباً» أبا تمام:

ماذا؟.. أتعجب من شيبي على صغري * إني ولدتُ عجوزاً.. كيف تعتجبُ؟

ولم يعد البردوني ذلك الأعمى الضرير، بل اشرأبت عنقه لاستشراف المستقبل بكل أبعاده، بل ما هو أبعد من ذلك، فنهض نهضة رجل واحد لاستشراف قضايا الأمة، في السياسة والفن والنقد والأدب. فجمع في لغته بين قراءة الواقع ونقده، وبين لغة الشعر وخصائصه الفنية ورؤاه واتجاهاته..

فجرب جميع مذاهب الأدب، وتحدى دعاة التجديد بقدرة القالب التقليدي للشعر على استيعاب كل خصائص الشعر الحديث، فاستطاع أن يجمع بين الأصالة والتجديد، ليس هذا فحسب، بل سخر جل جهده لاستقراء الواقع المعاش المحلي والعربي والدولي في مجالاته المختلفة السياسية والاقتصادية.. وغيرها مما يترتب عليه من كشف لواقع مزيف، وتنوير القارئ والمثقف العربي، بلغته وأسلوبه سواء بالتهكم والسخرية من ذلك الواقع وتناقضاته، أو بالدعوة إلى تجاوز الخلافات الداخلية، وحكم القبيلة، والتطلع إلى بناء دولة النظام والقانون، وصنع السلام..

ومن هذا الاستهلال عن مكانة الشاعر البردوني، يمكن الحديث عن عدد من المحاور المتعلقة بثقافة البرودني ومواقفه إزاء قضايا الوطن والأمتين العربية والإسلامية من جهة، وأسلوبه الساخر وخصائص شعره

من جهة أخرى.. لقد أصبح الشعرُ رسالةً وطنيّة وقوميَّةً، وأصبح نضالًا تُنتضى له كافةُ أدوات النضال، فضحى الشعراء بأرواحهم في سبيل تلك الرسالة الساميةِ، وعلى رأسهم الزبيري، والموشكي، وأضرابهم من الذين استشهدوا في سبيل هذا الموقف الوطني، ولم يكنْ الشاعر عبدُ الله البردوني بعيدًا عن هذه الحلبة الشعرية، فقد بقي البردوني مؤمنًا برسالة الشعر، ومن هذا المنطلق سعى لتقديم رسالته. .

المبحث الأوّل

مواقفه الوطنية والقومية والإنسانية:

أولًا: الرسالة الوطنية:

تتجلى هذه الرسالة في أن البردوني شاعر اليمن، وشاعر العروبة، فشعوره بوطنه يمتزج بذرات الأرض، ومسمياتها، كما لامست شاعريتُه معاناةَ إنسانها، وأما شعورُه بالعروبة، فشعور يمتد إلى أعماق التاريخ، واستشراف مستقبلَ الأمة وأمجادها، فتوجُّه البردوني وطني صميمٌ، وقومي يتسع ليشملَ المغرب العربي ومشارقه..

لليمن في نفس البردوني فوق ما للمنتسب إلى أرضٍ من المودَّة لها، وقد رأيناه يهتمُّ لبلاده، ويشعرنا بحاجتها له، برغم الجراح، فكتب للجنوب مثلما تغزل بأرض بلقيس، ففي أنشودة (هذِه أرضِي) وجهٌ آخرُ لانتمائه إلى هذا الوطن، وينشد خلاصه من براثن الاستعمار فبقول:

زمجِري بالنار يا أرض الجنوبْ *
و الهبي بالحقد حبّات القلوبْ
و اقذفي الحقد دخاناً ولهيبْ *
زمجري للثأر، يا أرضَ الجنوبْ

لقد مهدت ثورة سبتمبر ١٩٦٢م على حكم الإمام أحمد بن يحي حميد الدين لقيام ثورة أكتوبر المجيد، وأشرقت شمس الحرية، والعدالة، وغمرت بضيائها كل دروب الحياة، وتغيرت صور الحياة، لكن البردوني لم يكن راضيًا عما يحدث لبلاده، ووطنه الكبير، فظل واقفًا إلى جانب الشعب في أحلك الظروف، لأنه كان يؤمن يقينًا أن عقلية القبيلة هي من تحكم صنعاء، وتتحكم بقوت الشعب وحياته.

ثانيًا:
الموقف القومي:

ولم يكن البردوني بعد هذا كلّه شاعرًا قوميًا فحسبُ، بل كان إنسانًا قوميًا، يستمد خطابه الشعريَّ من مواقفه التي سجلها في حياته نصرةً، ومؤازرةً، وتفاعلًا مع الواقع العربي والإسلامي. ويتجلى هذا الموقف في نظرة إلى أعماله الشعرية، لتبرر هذا الموقف من خلال تلك العناوين التي وسم بها قصائده التي تتضمَّنُ المعطى القوميَّ في خطابه الشعريّ، مثل:(البعث العربي، زحف العروبه، أم يعرب ، أبو تمام وعروبة اليوم، ليال بيروتية، وحارس الملك..)، وغير هذه من القصائد التي تحتضن البعدَ الأشملَ للعروبة..

وعلق البردوني آماله بانعقاد المؤتمر الذي جمعَ أقطابَ العرب الثلاثة (الإمام أحمد، والرئيس جمال عبد الناصر، والملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٥٨م) و قد تغنىَّ الشاعر في قصيدته له بالوحدة العربية ، و خُيِّل إليه أنَّ أمجادَ الأمة قد بُعثت من جديد، يقول:

وحدةُ المجدِ ، و الفخارِ التليدِ
زعزعَتْ مرقدَ الصباحِ الجديدِ
و استطارتْ تحتَ قافلةِ الفتحِ
و تطْوي الحدودَ بعدَ الحدودِ
و تُناجِي العدَا بألسنةِ النَّارِ،
و بالموتِ من شقَاهِ الحديدِ
وحـــدةٌ يعربيَّةٌ، وانطلاقٌ
عربيٌّ يهـــزُّ صمتَ اللحُودِ
إنما العُرْبُ ثورةٌ وحَّدتْها
يقظةُ البعثِ وانتفاضُ الوجودِ
فابنُ " يحيَ " مؤزرٌ بجمَالٍ "
و جمالٌ مؤزَّرٌ " بسَ عُودِ "

لاشكَّ أنَّ البردوني لم يكن يحُمِّلُ هذا اللقاء العربيَّ غير أملِ الإنسان العربيّ بالوحدة، والبعث، كان متجاوزًا ما يتخبط فيه القادة من صدق في الموقف، أو عدم صدق، فقد «كان الحلم و ما يزال جوهر الأدب، حلم التجاوز، والتغيير، و الثورة لمصلحة الإنسان والجماهير، ويظل الحلم دائمًا..

إن شِعرُ البردُّوني عبارةٌ عن بيان سياسيٍّ لإيماناته، وإعلان صريحٌ عن توجُّهاته الوطنية، والقومية، فهمُّ اليمن من الهمِّ العربي كله، ومشكلاتُ المواطن اليمنيّ الذي هو من الشعب عامة، هو همُّ العربي، أنىَّ كان في مغربِ الأرضِ العربية، أم في مشرقِها..

المبحث الثاني

أسلوبه وخصائص شعره:

إن أسلوب الخطاب ذي البعدين الجمالي والأيديولوجي عند البردوني لهو المحك الرئيس في كشف خصائص شعره الفنية، والهدف منه فضح الأنظمة والسخرية من أدواتها القمعية، واستبدالها برموز من الطبيعة كمسميات الجبال والأمكنة (نقم،، يسلح، مقبنة) كما جاء في قصيدته (مأساة حارس الملك) ومنها قوله:

سيّدي : هذي الروابي المنتنه*
لم تعدْ كالأمس ،كسْلى مذعِنهْ
(نُقَمٌ) يهجسُ، يُعلي رأسَه*
(صَبرٌ) يهـــذي ، يحدّ الألسنَه

أو حيوانية، وحشرات، مثل قصيدة (اجتماع طارئ للحشرات) ومنها قوله:

أعلنت سلطانة القمل اجتماعا
رؤساءُ البق لبوها سِراعا

وغيرها من الرموز النباتية، وأخرى ذات مصادر مختلفة (تاريخية، أدبية، دينية، أسطورية) يرتكز عليها أسلوب خطاب الشاعر عبد الله البردوني، وتعكس أهم ركائز ثقافاته ومصادرها ذات الأبعاد الجمالية في نقل تجاربه التي تعتمد على عدد من الخصائص الفنية، اللفظية والمعنوية، منها:

- المحسنات اللفظية كالجناس والسجع والتكرار والتضاد والمقابلة..

ـ الصور الشعرية كالتشبيه والاستعارة والكناية والرمز والتناص..

- السخرية وسيلة الشاعر الأدبية، القائمة على المرئيات من أحوال، وأوضاع، وشخصيات، ومواقف، والحكم عليها، للكشف عن الواقع السياسي والاجتماعي، وما يؤول إليه الناس في معيشتهم ولغة تفكيرهم..

ـ الحوار وإن كان يكتسي طابع العموم، إلا أنه شكل حضورًا قويًا في جسد الخطاب الشعري، ومن ذلك قصيدة (سندباد يمنيّ في مقعد التحقيق) ومنها قوله في مطلعها:

كما شئتَ فتّشْ ... أينَ أخفي حقائبي
أتسألني من أنتَ ؟ .. أعرفُ واجبي

وحياة البردوني (مرارة ومتاعب) بقيت كخاتمة قصيدته مع سلطة الظل:

خذوه ... خذوني، لن تزيدوا مرارتي *
دعوه ... دعوني، لن تزيدوا متاعبي

وحواراته ترتكز على الحركة والحيوية التي تنبني على السؤال والجواب وما يتخلل بينهما من حركة في عملية الأخذ والرد..

رحل البردوني وبقيت نصوصه الشعرية شاهدة على واقع مرير يتكرر كل يوم في خطاباتنا التي لا تعرف سوى لغة الهذيان والجدل في ظل حاكم جائر وسلطة مغيبة عن فهم الواقع، فالقمع والإرهاب وسياسة التجهيل واستمرار الحروب هي سيدة الموقف..

قراءة نقدية في قصيدة «أنا وصديقي» للشاعرة عائشة صالح



بقلم: أ.فضل صالح

لا تُقرأ قصيدة «أنا وصديقي» بوصفها نصاً يروي مأساة الحرب، لأن الحرب فيها ليست موضوعًا خارجيًا، وإنما هي البنية العميقة التي تعيد تشكيل الإنسان من الداخل، وتعيد تعريف علاقته بالذاكرة والزمن والوطن. إن الشاعرة عائشة صالح لا تكتب عن الرصاص، بل عن أثره الباقي في الروح، ولا ترسم خرائط الدمار، وإنما ترسم الجغرافيا الجديدة التي تنشأ داخل الإنسان حين يصبح الفقد وطنًا مؤقتًا، ويصبح الانتظار شكلًا من أشكال الحياة. ومن هنا فإن النص يتجاوز وظيفة الشهادة التاريخية إلى وظيفة الكشف الوجودي، إذ تتحول التجربة الشخصية إلى سؤال إنساني مفتوح حول معنى البقاء في عالم لم تعد الأشياء فيه تحتفظ بأسمائها الأولى.

ومنذ العنوان، «أنا وصديقي»، يختار النص أن يبدأ من علاقة تبدو في ظاهرها شخصية وعادية، لكنها سرعان ما تتسع لتصبح معادلًا رمزيًا لعلاقة الإنسان بكل ما يمنحه الإحساس بالأمان والانتماء. فالعنوان لا يقدّم اسمًا، بل يقدّم ضميرًا، وكأن الذات لا تستطيع أن تعرّف نفسها إلا بوجود الآخر. غير أن هذا الآخر لا يظل شخصًا بعينه، وإنما يتشظى داخل القصيدة إلى احتمالات دلالية متعددة؛ فهو الصديق، والرفيق، والشهيد، والوطن، وربما البراءة نفسها قبل أن تعبرها الحرب. وهنا تكمن قوة العنوان؛ إذ يبني أفقًا دلاليًا لا ينغلق على تأويل واحد، بل يسمح للنص بأن يتجاوز خصوصيته إلى أفق إنساني أشمل ولا تلج الشاعرة إلى التجربة مباشرة، وإنما تستفتح خطابها بنداء الأم: «يا أمي...»، وهو استهلال يحمل أكثر من وظيفة فنية ودلالية. فالأم ليست شخصية عابرة، وإنما هي ذاكرة جمعية، وصوت الحكمة الذي يسبق التجربة ويمنحها معناها.

ولذلك تبدو العبارة: «كنت تقولين إن الحرب لا تحرق أبناءها دفعة واحدة»، أشبه بنبوءة لا تُفهم إلا بعد وقوعها؛ إذ تتحول الحكمة إلى حقيقة وجودية، ويتحول القول القديم إلى تفسير متأخر لما حدث. بهذا الاستهلال تُنشئ القصيدة علاقة زمنية معقدة، يتداخل فيها الماضي بالحاضر، حتى يغدو الزمن نفسه شاهدًا على اتساع أثر الحرب، لا على وقوعها فقط.

وإذا كانت القصيدة تبدأ بالذاكرة، فإنها تنفتح بعد ذلك على الحركة، حين تقول الشاعرة: «سأعود... أنا وصديقي خرجنا مع الفجر». غير أن الفجر هنا لا يؤدي وظيفة زمنية، بل ينهض بوظيفته الرمزية؛ فهو صورة البداية، ووعد النور، وإعلان إمكانية النجاة. وهذا الأفق المضيء لا يلبث أن ينهار أمام واحدة من أكثر صور القصيدة كثافة: «لكن الضوء اغتيل». فالشاعرة لا تقول إن النهار انطفأ، أو إن الشمس غابت، وإنما تمنح الضوء صفات الكائن الحي الذي يُقتل عمدًا. وهذه الاستعارة لا تُحدث أثرًا جماليًا فحسب، بل تؤسس لرؤية فلسفية ترى أن الحرب لا تغتال الأجساد وحدها، وإنما تغتال شروط الحياة نفسها، وفي مقدمتها الأمل. ومن هنا يصبح الضوء رمزًا لكل إمكانية كانت قابلة للتحقق ثم انقطعت، ويغدو اغتياله إعلانًا عن انكسار العالم لا عن غياب النهار.

وتتسع دائرة الخراب تدريجيًا حتى تتحول اللغة ذاتها إلى مرآة للفوضى. فحين تقول الشاعرة: «حين ابتلع الضجيج كل شيء»، فإنها لا تصف ضوضاء المعركة، بل تشخصن الضجيج وتجعله كائنًا مفترسًا يلتهم الوجود. إنها صورة تتجاوز بعدها البلاغي إلى بعدها النفسي؛ لأن الضجيج هنا يبتلع المعنى قبل أن يبتلع الأشياء، فلا يبقى بعده سوى الدخان، وهو ليس أثرًا ماديًا للحريق فحسب، وإنما استعارة لضباب الرؤية، وللعجز عن الإمساك بالمستقبل. لذلك لا تبدو القصيدة معنية بوصف ما حدث في الخارج بقدر عنايتها بوصف ما حدث داخل الوعي الإنساني بعد أن فقد العالم وضوحه الأول.

وفي قلب هذا الخراب تومض صورة أخرى لا تقل عمقًا، حين تستحضر الشاعرة «غيمة يتيمة». وهذه الصورة تمثل انقلابًا جماليًا لافتًا؛ إذ تُسند إلى الغيمة صفة إنسانية تجعلها شريكة في اليتم الذي أصاب البشر. وهكذا تتجاوز الطبيعة حيادها لتدخل دائرة الألم، فيصبح الكون كله كائنًا جريحًا. والغيمة هنا ليست وعد المطر فحسب، وإنما وعد الحياة الذي يبحث عمن يستقبله في أرض أحرقتها الحرب. إنها الأمل الوحيد الذي لم يفقد رغبته في الهطول، وإن بدا معلقًا في سماء لم تعد تعرف أسماء أصحابها.

وتبلغ القصيدة ذروة توترها حين تتحول من البحث عن المكان إلى البحث عن الإنسان. فقولها: «كنت أفتش بين الركام» لا يعني البحث عن جسد مفقود بقدر ما يعني البحث عن بقايا المعنى

وسط أنقاض العالم. والركام في هذا السياق ليس حجارة مهدمة، بل هو صورة حضارية لانهيار اليقين، إذ تصبح الأشياء شظايا كما تصبح الذاكرة نفسها شظايا. ومن ثم فإن رحلة البحث عن الصديق ليست رحلة خارجية، وإنما هي محاولة لاستعادة جزء مفقود من الذات؛ لأن الإنسان لا يفقد الآخرين وحدهم في الحرب، بل يفقد أيضاً صورته القديمة عن نفسه.

وعندما تصل القصيدة إلى قولها: «لكن المعركة لم تنته، والأصوات تغيّرت، صارت كثيفة تكتم الهواء»، فإنها تنتقل من وصف الحدث إلى التعبير عن نتائجه الوجودية. فالمعركة لم تعد حدثًا عسكريًا، بل أصبحت حالة مستمرة، والأصوات لم تعد مجرد ذبذبات سمعية، وإنما غدت مادة خانقة تمنع الهواء نفسه من أداء وظيفته. إنها صورة تنقل القارئ من الواقع إلى تخوم الكابوس، فيتحول الاختناق إلى قدر وجودي، ويصبح التنفس فعلًا مهددًا مثل الحياة تمامًا.

ومن اللافت أن القصيدة، على الرغم من مباشرتها الظاهرة، تبني عالمها عبر شبكة رمزية متماسكة. فالأم ليست أمًا فحسب، وإنما ذاكرة وخبرة، والفجر بداية وإمكان، والضوء حياة، والدخان فقدان للرؤية، والغيمة رجاء معلق، والركام نهاية عالم قديم، أما الصديق فهو أكثر الرموز ثراءً واتساعًا؛ إذ يتجاوز حدود الشخصية إلى أن يصبح علامة على كل ما خسرته الذات في رحلتها مع الحرب. وهذه الرموز لا تعمل منفصلة، بل يدخل بعضها في حوار مع بعض، فتتولد بينها شبكة من العلاقات الدلالية تمنح النص وحدته الداخلية.

ولعل من أهم عناصر نجاح القصيدة أن لغتها لا تستمد شعريتها من الغرابة المعجمية، وإنما من الاقتصاد اللغوي وكثافة الإيحاء. فالمفردة تبدو مألوفة، لكنها تتحول داخل السياق إلى مركز إشعاع دلالي.

ولذلك فإن كلمات مثل: الضوء، والفجر، والدخان، والغيمة، لا تؤدي معناها القاموسي، وإنما تنفتح على معانٍ نفسية ووجودية تتجاوز حدود الاستعمال اليومي. كما أن الجمل القصيرة، والوقفات المتكررة، وتكرار النداء والضمير، تسهم جميعها في بناء إيقاع داخلي يعكس ارتجاف التجربة، حتى يغدو الصمت بين الأسطر جزءًا من الموسيقى، مثلما تصبح البياضات امتدادًا للمعنى لا فراغًا طباعيًا.

ويتعزز هذا البناء بما يحضره النص من تناصات ثقافية خفية، إذ تستدعي مفردات مثل الفجر والضوء والدخان ظلالًا قرآنية تمنحها عمقًا رمزيًا دون أن تقع القصيدة في الاقتباس المباشر، كما تتقاطع رؤيتها مع تقاليد الشعر العربي الحديث الذي جعل الحرب سؤالًا وجوديًا، لا سيما في تجارب محمود درويش وسعدي يوسف، غير أن الشاعرة تحافظ على صوتها الخاص، فلا تجعل الحرب قضية أيديولوجية، بل تجربة إنسانية تُرى من داخل القلب لا من خارج التاريخ.ومع ذلك، فإن القراءة النقدية لا تكتمل دون الإشارة إلى بعض الملاحظات التي لا تنتقص من القيمة الفنية للنص، وإنما تكشف عن حدوده الجمالية. فمن حين إلى آخر تميل القصيدة إلى



أ.عيشة صالح

كما أن هيمنة الحقل الدلالي للحزن، على الرغم من انسجامه مع طبيعة التجربة، تقلل نسبياً من التنوع الشعوري داخل البناء الكلي. كذلك يظل رمز الصديق مفتوحًا على تأويلات عديدة، وهو ما يمنح النص ثراءً من جهة، لكنه قد يوقع بعض المتلقين في تردد تأويلي من جهة أخرى، وإن كان هذا الانفتاح نفسه أحد مظاهر حداثة النص، لأن الشعر الحقيقي لا يقدّم أجوبة نهائية، بل يوسّع أسئلة القراءة.

في المحصلة، تنجح عائشة صالح في أن تكتب الحرب بوصفها جرحًا لغويًا ووجوديًا، لا بوصفها حدثًا سياسيًا عابرًا. إنها لا تؤرخ للخراب، بل تؤرخ لما يتركه الخراب في الذاكرة، ولا تبحث عن البطولة، بل عن الإنسان الذي يحاول أن يحتفظ بملامحه وسط الركام. ومن هنا تتجلى القيمة الجمالية للقصيدة؛ فهي تحول التجربة الفردية إلى خبرة إنسانية عامة، وتحوّل التفاصيل اليومية إلى رموز كونية، وتجعل اللغة نفسها فعلًا من أفعال المقاومة، إذ تقاوم النسيان بالكتابة، وتقيم من الذاكرة بيتًا أخيرًا للذين لم يعودوا. وفي هذا تتجاوز القصيدة حدود التعبير عن الألم، لتصبح تأملًا شعريًا عميقًا في هشاشة الإنسان وقدرته، في آن واحد، على أن يحوّل الفقد إلى معنى، والغياب إلى حضور، والقصيدة إلى وطن صغير لا تصل إليه الحرب.

هيام بالشعر، فقد الأم، صراع مع الزمن
قراءة في ديوان "وجاءت صرخاتي أشعارا" للشاعرة علية البوعناني

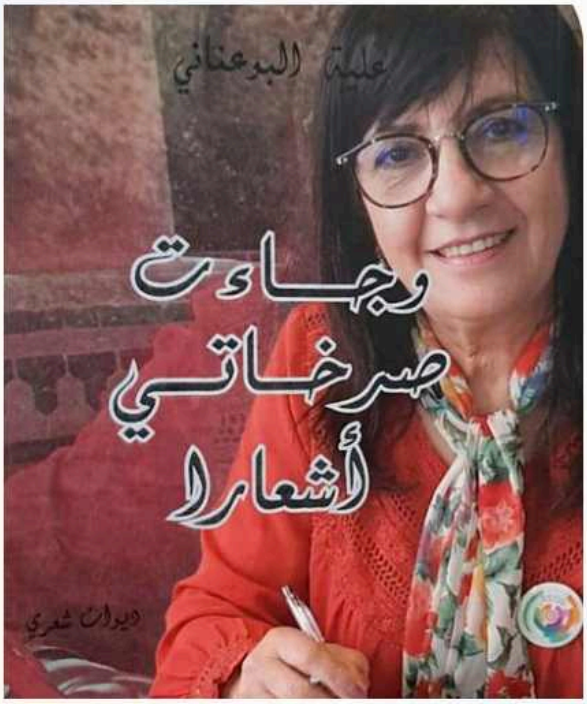


د. بوسلهام عميمر

قراءة في العتبات:
العنوان عتبته الأولى: "وجاءت صرخاتي أشعارا".

هذا التركيب وحده يحتاج إلى دراسة مفصلة دوالا ومدلولات. بمهارة جمعت فيه بين الصراخ بما يرمز إليه من ألم، إذ لا دخان من دون نار ولا صراخ دون سبب. فالصراخ عادة استجابة فيسيولوجية لا إرادية أو متعمدة للتعبير عن حالات نفسية أو جسدية كألم شديد أو خوف مفاجئ أو غضب غامر، لكن في حالة الأستاذة علية جاء أشعارًا. إنه الإبداع خرق أفق انتظارنا. فمن يظن الصراخ يجيء أشعارًا؟ حتى إذا توقفنا قليلًا مع الواو في بداية العنوان، وسواء كانت للعطف أو للاستئناف وهو الراجح، فإنها تفتح لنا الباب مشرعًا للتساؤل عما قبلها. والأكيد من خلال تصفح طبيعة نصوص الديوان، يظهر لماذا اختارت الشاعرة هذا العنوان بهذا التركيب. من المؤكد أنه كان الصمت الذي يسبق العاصفة، وكان المخاض، وكانت الأسقام، وكان الكدر، وكان الألم، وكانت اللوعة، وكان التيهان، وكان الأنين، وكان الخوف على الشرف ومن العار، وكان الخوف من الحب، وكان الخوف من ضياع الحبيب وإجهاض الأحلام وكبتها، وكان وكان. فكانت الواو عطفية أو استئنافية تشكل منعطفًا فارقًا بين بركان ظلت غازاته تتجمع وتنضغط تحت الصهارة، فتبلغ ذروتها وتندفع إلى أعلى.

فبدل الحمم والرماد، تجيء صرخاتها متحولة إلى أشعار تعكس آلامها ومعاناتها التي ظلت حبيسة النفس قبل أن تنفجر صورًا شعرية بما أنها كما تقول عنه في تقديمها لديوانها العتبة الثانية: "ولعت أكثر بالشعر وجعلته متنفسا لي، فجاء تعبيرا صادقا، نابعا



من الأعماق" وتضيف قائلة في تماه مع ما أوردناه عن البراكين في حديثها عن الشعر بأنه: "تفجير لأحاسيس تأتي كردة فعل لمعاناة عشتها، أو تقاسمتها معي بعض الصديقات، أو كتجاوب مني مع مواقف، وأحداث تثير انتباهي وتحز في نفسي" من ذلك فالشعر عندها رئتها الثالثة وتعلنها بصريح العبارة قائلة في أول نصوص ديوانها: "عذرا أيها الشعر ،، فقد همت بك ،، وملكتني تملكا"9 وأيضًا لم يكن اعتباطًا أن تختار لخلفية ديوانها العتبة الثالثة مقتطفًا من هذه القصيدة، وقد صاغت سطورها بفنية عالية: "فإن كنت شعورا ،، ضمنتك قصائدي ،، وإن كنت دموعا ،، سكبتك على ورقي ،، وإن كنت لحنا ،، غنيتك وأطربتك مجمعي".

قراءة في بعض موضوعات الديوان:

عبر فصوله الثلاثة "إلى أناي (7-31) "، إلى "إلى روح أمي (33-48)"، إلى "إليكِ أنت" (49-70). عناوين وحدها تحيل إلى توجه الشاعرة في ديوانها هذا، انطلاقًا من الذات الشاعرة "إلى أناي"، ولم يكن اعتباطًا أن تصدر بها فصول ديوانها بستة نصوص (عذرًا أيها الشعر، لحظة سعادة، قدر اللقاء، منتهى الأحلام، اعتراف، رحلة الأحلام). فالشعر قبل أي شيء آخر هو مشاعر هو شعور هو تعبير عن الذات الشاعرة، فأنا الشاعر.. هي منصة انطلاق إلى بقية الموضوعات.

فصل دشنته بالإفصاح عن ولعها بالشعر وهيامها به والاعتراف بتملكه لها. إنه رواء ظمئها وزوال كدرها ورسائلها إلى حبيبها في قصيدة جميلة "عذرا أيها الشعر" تقول في مطلعها: "عذرا أيها الشعر ،، فقد همت بك ،، وملكتني تملكا ،، ،، بك أروي ظمئي ،، وبك يزول كدري ،، بك أعبر عن ألمي ،، وعن فرحي" إلى أن تقول في نهايتها: "بك عن رضاي ،، أو عن صدي ،، يكون ردي" أجمل ما يمكن قراءته عن الشغف بالشعر. فأجمل لحظاتها عندما تكون في حضن الكتابة: "أحب الأوقات عندي ،، حين ينساب على الورق، قلمي ،، ،، أحب الأوقات عندي ،، حين يمتزج فيها على ورقي ،، حبري ...، ودمعي ،، ويحار فيها سمعي ،، لا يفرق بين أنيني ،، و أنة قلمي" لتبلغ الذروة بقولها أبلغ قول: "أظنني خلقت، وقلمي ،، أعز الرفاق وأقربهم إلى روحي ،، أنيسي هو وأنسي ،، كلما ناديته أجابني ،، وإن غبت عنه ناداني". ومن أجمل ما يمكن الوقوف عنده في هذا الديوان موضوعة الأم والأمومة بثلاثة نصوص بنحو ثلاث عشرة صفحة نقتطف منها هذه الدرر عن الحمل ألذ اللذات كما تقول: "الشعور بالحمل ،، بحياة تدب بالداخل ،، وبخفقان قلب ثان" وعن الولادة والمخاض أرهب وأمتع اللحظات، وعن ساعة الرضاعة النشوة والإشراق وعن فرحتها بأول حرف ينطقه وليدها وكذا أولى خطواته. فهي ترى نفسها دونها لا شيء، تقول: "لا تحدثيني عن الفراق ،، ولا تودعيني ،، فأنا بدونك، لا أتصور حياتي" ولفرط مكانة أمها في نفسها للتضحيات الجسيمة من أجل أبنائها، فهي تحمل حملة شعواء على كل من يتنكر لتفانيها وينسى تعبها: "يوم كانت دمعة من أعينهم ،، لكل مآسيها تساوي"46 وبعد التذكير بنكران ذاتها من أجل أبنائها لا تجد ما تختم به يوازي تضحياتها الجسام غير قولها في حقها: "فتكريمك من رب عظيم ، لك يكفي ،، حين وضع الجنة تحت قدميك" إيمانًا منها بأنه مهما قلنا في حقها، ومهما ذكرنا بمناقبها، ومهما شكرناها، فلن نوفيها حقها. ومن منا لا يذكر الأثر المعروف، إذ يذكر بفضل أمهاتنا وعظمة ما يتحملنه من مشقة وتعب؟ فأي ابن مهما حاول سعيًا منه لرد جميلها، فلن يرد لها حتى ألم ركلة واحدة وهو في بطنها، ولو قضى عمره كله في خدمتها. والموضوعة الثالثة التي عملت عليها الشاعرة "إليك أنتِ" "حواء من صنف ثان

و"صراعها مع الزمن" تؤكد على خصوصيتها وفلسفتها في الحياة وفي علاقتها بالآخر "المظهر زيف لا يغريني ،، والجوهر هو ما يعنيني"54 ردًا ربما على أحدهم كان قد أخطأ العنوان. ويبقى الشاعر أو الشاعرة لسان من لا لسان له. ليس بالضرورة كل ما يكتبه يعبر عنه بالضرورة، ولكن كما قالت عن الشعر في التقديم بأنه: "تفجير لأحاسيس تأتي كردة فعل لمعاناة عشتها، أو تقاسمتها معي بعض الصديقات، أو كتجاوب مني مع بعض مواقف، وأحداث تثير انتباهي وتحز في نفسي"5 ففي قصيدتها "صراعها مع الزمن"، والتي جاءت بأربع عشرة صفحة، تلخص فيها شعرًا معاناتها وبنات جنسها ممن يشتغلن خارج البيت طوعًا أو كرهًا، اضطرارًا أو اختيارًا. فمن الاشتغال المضني بالقيام بكل ما يلزم للأطفال وتلبية كل رغباتهم فلا تكاد تنتهي من ذلك "حتى يصيح الوالي ،، أي قميص أرتدي؟" وعينها على الساعة "تنشد عقاربها ،، الرحمة والتأني"، لئلا تتأخر عن موعد العمل حيث: "تعمل أضعافا وأضعاف ،، زملائها من الرجال ،، حتى تحظى مثلهم ،، بالتقدير والاحترام ،، وتنزع من بين المخالب ،، حقها في التنصيب والارتقاء" والأصعب على النفس عند العودة بعد المرور على الأطفال ومباشرة إلى المطبخ فيما "الزوج في الانتظار ،، يقرأ جريدة أو ينصت للأخبار" وهي تتولى السهر على راحة الزوج في فترة خلوده للراحة، وتعاني من صياح الأطفال

قراءة في البناء الفني:

ويبقى الشعر شعرًا ليس بموضوعاته، مهما كانت قوة رسائلها وحساسيتها. فالشعر فن برواء صوره الشعرية وبلغته الانزياحية وباستعاراته وتناصاته وغيرها. الديوان حافل بها ابتداء من المقابلة في عنوانه بين الصرخات بما تحيل إليه من صراخ واضطراب، وبين الأشعار بما توحي إليه من تنظيم وجمال ورقي، يضاف إليها استعمالها كلمة "وجاءت" بدل "أتت" تحيل على الآية الكريمة: "وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى" فجاءت أقوى تعبيرًا في تصوير الحركة والوصول الفعلي لترجمة الصرخات إلى أشعار، بينما (أتى) يقول البلاغيون أنها "أخف وأعم". وأجمل ما في الديوان لشغفها بالشعر هو أنها أنسنته لتهيم به وتعشقه، تقول: "عذرا أيها الشعر ،، فقد همت بك ،، وملكتني تملكا"9 ، ولنتأمل معها هذه الصورة البديعة من قصيدتها "منتهى الأحلام"، وهي تعدد مناياها ومنتهى أحلامها بأن تفك الأغلال وتكسر القيود وتهزم كل جبار مكار وتضع حدًا لكل دمار: "كان مناي ،، ومنتهى أحلامي ،، أن أطير في عنان السماء ،، أركب السحاب ،، أصافح النجوم ،، وأتربع فوق القمر"21 ومن المجازات الجميلة نقتطف هذا المقطع: "من طلعتك البهية أتملى ،، ومن نظرتك السجية أتغذى ،، ومن حنانك الوفير ،، أحتسي ،، كل جَهدي ،، لمتابعة المسير"42 من قصيدة "أغلى الناس" من أجمل ما يمكن قراءته عن الأم تختمها بما هو أجمل: "تافهة ... دنياي ،، قفص .. يخنقني ،، أغدو فيه وأمشي ،، أتفقد وأبحث ،، عن أغلى الناس ،، عن أمي". وكان للتشبيه نصيبه في الديوان لما يضفيه

على القول الشعري من جمالية يقرب المشهد من القارئ بما بين المشبه والمشبه به من قواسم مشتركة، تبث في المعاني حياة يكون لها أثرها في نفسية المتلقي. لنتابع معها هذا النموذج من قصيدة "أحب الأوقات عندي"، في سياق حديثها عن سعادتها الغامرة وهي تتحدث عن الكتابة حين ينساب على الورق مداد قلمها: "أحب الأوقات عندي ،، حين أخلو مع نفسي ،، للعنان أطلق خيالي ،، على أيادي الريح ،، أرتمي ،، كريشة في الهواء ،، أمضي ،، بين السحاب ،، تارة أغوص، وتارة أنجلي ،، أو كعروس البحر، تائهة ،، لا أدري"12. ولشغفها بالكتابة تقول: "أظنني خلقت، وقلمي ،، أعز الرفاق، وأقربهم إلى روحي ،، أنيسي هو وأنسي ،، كلما ناديته، أجابني ،، وإن غبت عنه ناداني"14. وفي قصيدة جميلة "قدر اللقاء" نادرًا ما نجد مثل هذا البوح اللطيف، نجد تشبيهًا بليغًا، تقول: "مثقلة الكاهل بالوعظ ،، كنت لا أخطو ،، وجدتني كمركب تائه ،، على سطح النهر لا يرسو ،، أو ككوكب زاغ ،، عن مداره ،، فلا هو إليه يغدو ،، ولا إلى غيره يهفو"16-17. وتبقى تقنية التكرار الفنية من أبرز الظواهر في ديوان الشاعرة علية. نجدها في أكثر من قصيدة. لم يكن اعتمادها على ذلك صدفة بالتأكيد. إنها تدرك جماليتها وفاعليتها في ترسيخ ما تود التأكيد عليه. "فكلما تكرر تقرر" كما يقال، فعددها أكثر من أن يحصر لكن لا مانع للتمثيل بعضها ببعض. فنجد "أحب الأوقات عندي" في قصيدة "لحظة سعادة" تتكرر أربع مرات، ونجد كلمة "بك" في قصيدة "عذرا أيها الشعر" و "جئت" أربع مرات في قصيدة "قدر اللقاء"15 وعبارة "كان منايا، ،، ومنتهى أحلامي" ست مرات في قصيدة "منتهى الأحلام"، وفي قصيدة الأمومة" تتكرر "تسألينني" ست مرات، وأخيرًا تكرار عبارة "تنشد عقاربها ،، الرحمة والتأني" لمرات في قصيدة "صراعها مع الزمن"58 .

وقبل الختم لا بد من التأكيد على ما أكدت عليه الشاعرة على امتداد صفحات ديوانها السبعين، ففضلا عما سبق مما تقوم به داخل البيت وخارجه تلبي كل الرغبات وهي مبتسمة، وبشوشة وجميلة المظهر تسر نظر زوجها، لكن الأشد وطأ على نفسها، كان المعتقدات الزائفة التي تحط من كرامة المرأة لدرجة تجعلها في مقام واحد مع الكلب والحمار، لا تجد معه صبرًا فتنتفض قائلة: "يا للأسف ويا للعار ،، المرأة بعد ذكرها ،، مع الكلب والحمار" بشأن إبطال الصلاة، أو ما يجري على لسان بعضهم لا يجد غضاضة لما تذكر في ترديدهم كلمة "حاشاك" المشينة. وفي أحسن الأحوال تدرج مع الأطفال وذوي الاحتياجات الخاصة، لتنهي مرافعتها الشعرية بقولها: "يا إلهي ،، يا إلهي متى سيستفيق الرجال ،، من السبات ،، ويكفون عن الايمان ،، بصور وأفكار ،، ورثوها عن الأجداد ،، فالمرأة ما خلقت للطبخ والإنجاب ،، بل مثله للعلم والبحث والعرفان ،، لها ما له من مواهب وقدرات وبيان ،، والتاريخ يشهد لها من دون نكران ،، حضورها الشامخ عبر الأزمان ،، في كل المهن وكل ميدان ،، فكفى حربا عليها بالله ،، ونعتها دوما بالبنان ،، وعرقلة مسارها باختلاق ،، أعذار ضدها بالبهتان ،، فهي مهما تلفق لها من أعمال ،، ومهما تحاك حولها من أقوال ،، تبقى هي صانعة الرجال ،، وصانعة الأجيال"70 .

الوعي الشَّقِيّ: حِينَ يُصْبِحُ الإِدْرَاكُ عِبْئًا



مجيدة محمدي

مقدمة

ليس الوعي نعمةً خالصة كما تُصوِّره النزعات التنويرية، ولا لعنةً مطلقة كما توحي بعض الفلسفات التشاؤمية، بل هو مفارقة وجودية تجعل الإنسان الكائن الوحيد الذي لا يكتفي بأن يعيش، وإنما يُدرك أنه يعيش، ويُدرك كذلك هشاشة وجوده، وحدود معرفته، واستحالة امتلاك الحقيقة كاملة. ومن هنا ينشأ ما سمّاه هيغل "الوعي الشقي"؛ ذلك الوعي المنقسم على ذاته، الذي يُدرك العالم لكنه يعجز عن التماهي معه، ويطمح إلى المطلق بينما يُقيَّد بالنسبي، فيعيش اغترابًا داخليًا لا يقل قسوة عن أي اغتراب اجتماعي أو سياسي.

ولئن كان المفهوم قد ظهر في الفلسفة الهيغلية، فإنه تجاوزها ليغدو إحدى أكثر القضايا حضورًا في الفكر الحديث، من كيركغارد ونيتشه إلى سارتر وكامو وسيوران، ومن إدوارد سعيد وعبد الرحمن بدوي إلى محمد عابد الجابري وعلي حرب، إذ أصبح السؤال الجوهري هو: هل يزداد الإنسان سعادة كلما ازداد وعيًا، أم أن المعرفة تجرّ معها أثقالًا لا يستطيع القلب احتمالها؟

الوعي بين النور والجرح:

لا يبدأ الوعي من امتلاك الأجوبة، بل من اكتشاف الأسئلة. فالإنسان البسيط يعيش داخل يقيناته، بينما يبدأ المثقف الحقيقي حين يشك في تلك اليقينات. ولذلك كان سقراط يربط الحكمة بمعرفة الجهل، وكان ديكارت يؤسس الفلسفة الحديثة على الشك، غير أن الشك، وإن كان طريقًا للحقيقة، فإنه طريق محفوف بالقلق.

يرى هيغل أن الوعي الشقي هو لحظة تاريخية في تطور الروح، تنقسم فيها الذات بين ما هي عليه وما تطمح إليه. إنها تعرف مثالها الأعلى لكنها تعجز عن بلوغه، فتدخل في صراع دائم مع نفسها. غير أن هذه الشقاوة ليست سقوطًا، بل مرحلة ضرورية في تشكّل الحرية؛ إذ لا يبلغ الإنسان المصالحة مع ذاته إلا بعد المرور بتجربة الانقسام. لكن هذه الرؤية التفاؤلية ستتغير جذريًا مع الفلسفات الوجودية،

حيث يغدو الانقسام قدرًا لا مرحلة عابرة. فكيركغارد يجعل القلق شرطًا للإيمان، بينما يرى سارتر أن الإنسان "محكوم عليه بالحرية"، أي إنه مسؤول عن كل اختياراته في عالم يخلو من الضمانات الميتافيزيقية. وهكذا يتحول الوعي إلى مسؤولية ثقيلة، لأن المعرفة تسقط الأعذار.

حين تتحول الحقيقة إلى عبء

كان نيتشه يرى أن الإنسان لا يحتمل الحقيقة كاملة، ولذلك اخترع الأوهام لكي يستطيع الاستمرار في الحياة. فالحقائق الكبرى ليست دائمًا مصدرًا للخلاص، بل قد تكون سببًا في انهيار المعنى. ومن هنا جاءت عبارته الشهيرة: "إذا حدّقت طويلًا في الهاوية، حدّقت الهاوية فيك."

وتبلغ هذه الفكرة ذروتها عند إميل سيوران، الذي يجعل الوعي مرضًا وجوديًا؛ فكلما ازداد الإنسان إدراكًا، ازداد شعوره بعبث العالم. ولذلك تبدو السعادة، في نظره، امتيازًا للأرواح التي لم تُرهقها الأسئلة.

أما ألبير كامو فقد رفض الانتحار الفلسفي، ورأى أن إدراك عبث العالم لا ينبغي أن يقود إلى الاستسلام، بل إلى التمرد. فسيزيف، وهو يدحرج صخرته إلى الأبد، ليس بطلًا لأنه انتصر، بل لأنه واصل الفعل على الرغم من يقينه بعدم جدواه. وهكذا يتحول الوعي، حتى وهو يثقل الروح، إلى فعل مقاومة.

الوعي الشقي في الثقافة العربية::

لم يكن الفكر العربي بعيدًا عن هذا الإشكال. فقد رأى عبد الرحمن بدوي أن الإنسان يعيش مأساة الحرية، وأن وجوده لا يتحقق إلا عبر القلق والاختيار. أما محمد عابد الجابري فقد اعتبر أن أزمة العقل العربي ليست نقصًا في المعرفة، بل في البنية التي تنتج المعرفة، إذ قد يتحول الوعي نفسه إلى أسير منظومات تراثية تعوق نقد الذات.

ويذهب علي حرب إلى أن أخطر أشكال الوعي هي تلك التي تظن أنها تمتلك الحقيقة المطلقة، لأن الوعي الحقيقي لا يكتمل، بل يظل يعيد مساءلة نفسه. ومن هنا فإن الشقاء لا ينشأ من كثرة المعرفة فقط، وإنما من استحالة الوصول إلى معرفة نهائية.

أما إدوارد سعيد فقد كشف أن المثقف الحقيقي محكوم بالمنفى، حتى وهو في وطنه؛ لأنه يرى ما لا يراه الآخرون، ويقول ما لا يرغب المجتمع في سماعه. وهكذا يصبح الوعي عزلةً قبل أن يكون امتيازًا.

المثقف... حامل العبء الرمزي:

كل مجتمع يحتاج إلى من يحرس ذاكرته، لكن هذا الحارس غالبًا ما يدفع ثمن يقظته. فالمثقف لا يعاني من الجهل، بل من فائض الإدراك؛ إذ يرى تناقضات السلطة، وخداع الخطاب، وانهيار القيم، بينما يواصل الناس حياتهم داخل يقين مريح.

وقد أشار أنطونيو غرامشي إلى أن المثقف العضوي لا يكتفي بتفسير العالم، بل يسعى إلى تغييره، غير أن هذا الدور يجعله دائمًا في مواجهة القوى المهيمنة. وهنا يصبح الوعي عبئًا أخلاقيًا، لأن المعرفة تفرض مسؤولية الفعل.

وفي الأدب، تكاد الشخصيات الأكثر وعيًا تكون الأكثر بؤسًا. فروايات دوستويفسكي، وكافكا،وفرجينيا وولف، ونجيب محفوظ ،تكشف أن الإدراك العميق ،لا يمنح الطمأنينة ، بل يكشف هشاشة الإنسان أمام ذاته .

هل يمكن التخفف من شقاء الوعي؟

لا يبدو أن الخلاص يكمن في العودة إلى الجهل، لأن الجهل ليس براءة، بل غياب للرؤية. كما أن الحل لا يتمثل في تضخيم الوعي حتى يتحول إلى يأس مطلق. إنما يكمن في تحقيق توازن بين العقل والحياة؛ بين المعرفة التي تكشف، والحكمة التي تمنح القدرة على الاحتمال.

لقد ميّز إدغار موران بين المعرفة المجزأة والمعرفة المركبة، مؤكدًا أن الإنسان لا يستطيع فهم العالم إلا إذا قبل تعقيده. فالوعي الناضج ليس الذي يملك أجوبة نهائية، بل الذي يتصالح مع نقص المعرفة، ويعد الشك فضيلة معرفية لا عيبًا فكريًا.

ومن هذا المنظور، يصبح الوعي الشقي ليس مرضًا ينبغي التخلص منه، وإنما علامة على حيوية العقل، شرط ألا يتحول إلى سجن وجودي يعطل الفعل.

خاتمة:

الوعي الشقي ليس انحرافًا في مسار الإنسان، بل أحد تجليات إنسانيته العميقة. فكل إدراك جديد يقتلع يقينًا قديمًا، وكل معرفة توسّع حدود المجهول. ولذلك فإن الإنسان المفكر يعيش دائمًا على تخوم الطمأنينة، بين رغبة لا تنطفئ في الفهم، وعجز دائم عن الإحاطة.

ولعل المأساة الحقيقية ليست في أن يصبح الإدراك عبئًا، بل في أن يفقد الإنسان شجاعته في حمل هذا العبء. فالتاريخ لم تصنعه العقول المطمئنة، وإنما صنعته العقول التي قبلت أن تدفع ثمن السؤال، وأن تعيش قلق المعرفة دون أن تتخلى عن الأمل. إن الوعي، مهما أثقل الروح، يظل الأفق الوحيد الذي يمنح الإنسان إمكانية تجاوز ذاته، لأن الشقاء الذي يولده التفكير أقل خطرًا من السكينة التي يصنعها الوهم.

المصادر والمراجع:

هيغل، فينومينولوجيا الروح.

سورين كيركغارد، المرض حتى الموت.

فريدريك نيتشه، هكذا تكلم زرادشت، والعلم المرح.

جان بول سارتر، الوجود والعدم.

ألبير كامو، أسطورة سيزيف.

إميل سيوران، مثالب الولادة، وتاريخ ويوتوبيا.

عبد الرحمن بدوي، الزمان الوجودي.

محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي.

علي حرب، نقد النص.

إدوارد سعيد، صور المثقف.

أنطونيو غرامشي، دفاتر السجن.

إدغار موران، المنهج.



نداء الدروبي

جهاد عقل.. ساحر الكمان

أنغام تنشر صداها

في عالم الموسيقى المدهش يقف عازف الكمان جهاد عقل ليس فقط ليعزف النوتات لنا، بل ليحيك من الأوتار خيوطًا ممزوجة بالسحر والشجن.. إنَّه فنان يُحوِّل القوس إلى ريشة ترسم أعمق المشاعر في الهواء إضافة إلى أنه

جعل آلته تنطق بأحلى الأنغام، وهو يعزف بإحساس عميق ينقل المستمع إلى حالات شعورية مختلفة بين الشجن والفرح... أمَّا عزفه فيتميَّز بإبداع نغمات صافية، غنية، دافئة وقوية حسب المقطوعة مع تحكُّم دقيق في قوة وديناميكية الصوت والمرونة والسرعة في حركة أصابع اليد وانسجام كامل مع الآلة، إذ تتحرَّك النغمات مع جسده بانسجامٍ تام، ما يوضِّح مدى تواصله الروحي مع عزفه الذي يروي من خلاله قصةً لا تُنسى، بحيث تنساب النغمات من بين يديه بمرونة فائقة ودفء آسر.

يجمع المبدع جهاد عقل في أدائه بين الدقة والتقنية المتناهية، والفيبراتو العاطفي الذي يخترق القلوب، ليخلق حالة من السحر الموسيقي الآسر.

أوَّل الطريق :

كانت آلة الكمان منذ الطفولة رفيقة الفنان جهاد عقل إذ لم يكن لديه ألعاب، لذلك أصبح يعمل منه أدوات للعب أو يحوِّلها بين يديه إلى عود أو كيتار أو هدَّاف.. وهكذا كلَّما كبر تزيد معه أدوات الابتكار، وكان يستلهم من والده علم الموسيقا الكلاسيكية والشرقية والغناء والكتابة والسرعة في مرحلة الطوارئ، فعندما ينقطع فجأة أحد الأوتار كان يعمل بثلاثة يغير من الميزات أي الدرجات الموسيقية حتى نهاية الحفل

ومع مرور الأيام أصبح لديه علاقة خاصة مع الكمان دونًا عن بقية العازفين. فعندما يريد أن يُحلِّق عالياً يحملها ويطير بها،

وحينما يغضب يجعلها تصرخ وتخرج كل قساوته في الكمان حتى يخرج الشعر من أوتارها وتتقطع نتيجة لعنفوانه وغضبه مع الآلة.

العوائق:

واجه فناننا صعوبات كثيرة من بدايه رحلته الفنية، بدءًا من عدم قبول الآخرين بوجوده كعازف متمكِّن، حيث رأوا في إمكاناته طاقة قويَّة.

فلم يسعهم إلا أن يحطُّوا من معنوياته؛ ولكنه تحدَّاهم بالمحبَّة وانتصر عليهم بالإخلاص، وجعلهم ينبهرون بأدائه ويتأقلمون معه وبطيب معشره، فهو يرى أنَّنا ننتصر بالمحبَّة ونقوى ونصل إلى قمة النجاح؛ أما بالكراهيَّة والحقد فلن نجني ثمار النجاح وهذا أهم انتصار في الحياة.

جهاد والحرب :

لم يكن يوماً يحبُّ الحرب نظرًا إلى أنه إنسان مسالم.. وقد رأى أنَّ الحرب أثَّرت على الحياة الاجتماعية، إذ كان الناس يعيشون بأمان فجاءت الحرب وعكرت صفوهم، وأصبحوا يعيشون في مرحلة الخطأ حتى بات يوصل رسائل حبٍّ وصفاء وأمان وثقافة وتهذيب من خلال معزوفاته.

ويرى أنَّنا بحاجة ماسَّة إلى فن اجتماعي ينشر الحبَّ بين الناس ويبعد الخلافات. كما أراد أن يوصل من خلال الكمان تعابير الإخلاص والمحبَّة والسَّلام بعيدًا عن الاحتلال الذي شهده وطنه الغالي فلسطين، فعندما ذهب إلى العقبة شعر بالحنين لأرضه، ونظم قصيدة خرجت من قلبه وصار يعزفها بشجنٍ كبير فهو من (بلدة صفوري قضاء الناصرة)، المعروفة بعاداتها الفلسطينية الجميلة حيث الألفة والمحبَّة والودّ والتعاطف والأسرة الواحدة بين الفلسطينيين.

وإذا خيَّروا جهاد عقل بزيارة المدن الفلسطينية فسيختار أولًا مدينة القدس لأنَّها تجمع كلَّ أديان العالم، ثمَّ يزور ضيعته التي حدَّثه عنها والده الذي خرج منها وعمره عشر سنوات وهو يحمل في جعبته ذاكرة قويَّة وحنينًا للأرض لا ينقطع..! وكم بحث عن بيته عبر الإنترنت فوجد الشجرة التي كانت تُظلِّل منزلهم الدافئ هناك .

وخلاصة القول: إن الإبداع الذي رأيناه في أدائه الاستثنائي يجسد شغفًا حقيقيًا وتفانيًا لا نظير له. لقد أخذنا في رحلة رحلة ساحرة بين النغمات، ليؤكد لنا مجددًا أن الموسيقى هي غذاء الروح.



أثر الغياب

ريم محمد درويش



كان صباحُ هذا اليوم غائمًا، وكنتُ أقف عند النافذة أحدق في الأفق، كأنني أفتِّش بين الغيوم عن شيءٍ فقدته منذ زمن. وما إن ارتسمت على شفتي ابتسامةٌ شاحبة، حتى اجتاحني شعورٌ غامض أثقل قلبي، ثم لم تمضِ سوى لحظاتٍ يسيرة حتى انهمر المطر، واكتسى المكانُ بردًا عذبًا وجمالًا ينعش الروح.

عدتُ إلى مقعدي الوثير، والتقطتُ قلمي، ثم فتحتُ المدوَّنة المستقرة على الطاولة المجاورة، وبدأتُ أخطُّ إليك ما عجز القلب عن البوح به.

لقد هطل المطر اليوم، يا غاية العُمر...

والجو كما عهدناه في موسمه؛ باردًا، رقيقًا، يغسل الأرواح قبل الطرقات. وأسمع الآن ضحكات الأطفال تتعالى في الأزقة، يركضون تحت المطر بقلوبٍ لا تعرف سوى الفرح، تمامًا كما كنتُ أفعل يومًا، حين كان للمطر طعمُ الطفولة، وكانت السماء تُهدي الأرض بهجتها.

وها هي أم سليم قد خرجت كعادتها، تحمل بطاطها الساخنة التي يتصاعد منها عبقٌ يألفه الحي، وتنادي الصغار بحنانٍ تخفيه خلف صرامة كلماتها، وتوصيهم أن ينتبهوا لأنفسهم وهم يلهون تحت المطر.



ثم ترفع بصرها نحو نافذتي، كأنها ما تزال تأمل أن تراني أهبط إليهم، أشارك الأطفال لعبهم، وأشتري منها بطاطها، ثم أُغدق عليها من كلمات الثناء ما يملأ قلبها سرورًا، فتبتسم، وتزيدني قطعةً أخرى مكافأةً لذلك الكلام العذب، ثم نتقاسمها أنا وأنت، كما اعتدنا.

لكن... ها قد مضت ثلاثةُ أعوام، وأنا أسكن هذه الغرفة أكثر مما أسكن العالم، ولم أغادرها إلا حين كانت الضرورة أقوى من الرغبة.

لقد غدا كلُّ شيءٍ باهتًا؛ أنا، وقلبي، وهذا الحي الذي كان يعجُّ بالحياة إلا قلمي.

فقلمي وحده يستيقظ كلما أمسكتُه، ويُشرق بالحياة كلما بدأ يكتب عنك، وعن أيامي التي تمضي، وعن المسافات التي لم تستطع أن تُطفئ حضورك في داخلي.



من أعلام الشعر الشعبي في الضالع



الأستاذ والشاعر
محمد أحمد الحبيشي

صالح المشرقي

محطات في رحلة حياة حافلة بالتعليم والشعر والوفاء

حين نتتبع سير أعلام الشعر الشعبي في محافظة الضالع، فإننا لا نقف أمام أسماء مرت في الذاكرة مروراً عابراً، بل أمام شخصيات أسهمت في تشكيل الوعي الاجتماعي والثقافي، وحفظت للبيئة المحلية لغتها وصورها وقيمها ومواقفها. ومن بين تلك الشخصيات يبرز اسم الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي، الذي جمع في شخصيته بين رسالة المعلم وموهبة الشاعر وحكمة الرجل الذي خبر الحياة والناس، فترك أثراً في مجالس الأدب مثلما ترك أثراً في حجرات التعليم.

لم يكن الحبيشي شاعراً ينظم الكلمات فحسب، بل كان ابن بيئته وذاكرتها الحية؛ حمل في شعره انتماءه إلى الأرض، ووفاءه للناس، وحبه للوطن، كما حمل في حياته رسالة التعليم والتنوير، حتى غدا واحداً من أولئك الرجال الذين تتقاطع في سيرتهم الثقافة الشعبية بالتربية، والشعر بالموقف، والذاكرة الفردية بتاريخ مجتمع كامل.

من الصفيرى بدأت الحكاية

في عام 1916م وُلد الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي في قرية الصفيرى بمديرية دمت، في زمن كانت فيه فرص التعليم محدودة، وكان طلب المعرفة يحتاج إلى إرادة وصبر ورحلة لا تخلو من المشقة.

المعلامة تلقى الحبيشي مهارات التعليم الأساسية الأولى، ثم انتقل إلى منطقة جبلة لمواصلة تعليمه وحفظ القرآن الكريم، واستطاع وهو في الخامسة عشرة من عمره أن يصبح حافظاً لكتاب الله.وكان لهذا التكوين المبكر أثر عميق في شخصيته اللاحقة؛ فالقرآن واللغة والتعليم التقليدي منحته رصيداً لغوياً وثقافياً أسهم فيما بعد في صقل تجربته الشعرية وقدرته على التعبير، كما أسسا في داخله احتراماً للكلمة والمعرفة ظل ملازماً له طوال حياته.

من دمت إلى الشعيب... والجذور لا تغيب

في عام 1935م انتقل الحبيشي مع أسرته للعيش في منطقة الشعيب، فبدأت بذلك مرحلة جديدة من حياته امتدت عقوداً طويلة.غير أن انتقال المكان لم يكن بالنسبة إليه انقطاعاً عن الجذور؛ فقد ظل يحمل مسقط رأسه وأهله في وجدانه، ويعبّر عن اعتزازه بانتمائه الأول وحرصه على صلات القرابة والوفاء.

وقد عبر عن هذا المعنى في أبيات واضحة الدلالة:

لا حد يقول اني نسيت اهلي غلط
ولا معي شي على أهلي شروط
اسمي حبيشي بالحبيشية ارتبط
ونا محافظ عالروابط والخيوط

هذه الأبيات ليست مجرد دفاع عن الانتماء، وإنما إعلان أخلاقي عن قيمة الوفاء في شخصية الحبيشي؛ فالإنسان عنده يستطيع أن يسكن أرضاً جديدة ويحب أهلها ويصبح جزءاً منها، من دون أن يتنكر للمكان الأول أو ينسى جذوره.

في منتصف الثلاثينيات اختار الحبيشي وأسرته قرية بخال في الشعيب مكاناً للسكن والاستقرار.

وفي بخال تزوج الحبيشي، وأنجب أبناءه، وتشكل جزء كبير من تفاصيل حياته الاجتماعية والإنسانية ولم يكن ارتباطه بالقرية ارتباط إقامة فقط، بل أصبح ارتباط محبة وانتماء واعتزاز بأهلها وقيمهم وما عرفه فيهم من الكرم والشجاعة والنخوة.

وقد عبّر عن ذلك بقوله:

حليت وادي قفل مفتاحه عجي
الجود شرعه والشجاعة منهجه
لتقابلت لوجاه محد يحتجي
عيب أن سكانه تقف متفرجه.

وفي هذه الأبيات يرسم الشاعر صورة أخلاقية للمكان قبل أن يرسم صورته الجغرافية؛ فبخال في شعره ليست بيوتاً وطرقاً فحسب، وإنما مجتمع يقوم على الجود والشجاعة والتكاتف.

وهذا أحد أهم ملامح شعر الحبيشي: تحويل المكان إلى قيمة إنسانية.

العوابل... مكانة خاصة في القلب...

وكما أحب الحبيشي بخال، فقد أحب أيضاً العوابل التي عاش فيها سنوات طويلة معلماً ومربياً، وارتبط بأهلها وطلابها وذاكرتها.

ياعالية بالقلب لش أعلى محل

ياروضة الرحمن ياتاج العروس

لش عز طول العمر وإن قالوا رحل

أبو محمد راجعي بعض الدروس

وفي هذه الأبيات يتداخل الحنين بالمكان مع الوفاء لسنوات العمر التي عاشها الشاعر بين الناس معلماً ومربياً، حتى تبدو العوابل وكأنها جزء من سيرته الشخصية لا مجرد محطة في حياته.

الحبيشي... فنار للتنوير ورائد للتعليم في الشعيب

إذا كان الشعر قد منح الحبيشي شهرة واسعة في المجتمع، فإن التعليم كان رسالته الكبرى التي أفنى فيها جانباً مهماً من عمره.ففي عام 1937م بدأ الحبيشي ومعه أخواه العمل في المعلامة لتعليم أبناء الشعيب، واستمر في أداء هذه المهمة لمدة عشر سنوات.وكانت تلك المرحلة ذات أهمية خاصة، لأن التعليم آنذاك كان يعتمد بدرجة كبيرة على المبادرات التقليدية وجهود المعلمين الذين حملوا مسؤولية تعليم القراءة والكتابة والقرآن والمعارف الأساسية في ظروف بسيطة ومحدودة الإمكانات.

وفي عام 1948م، ومع دخول التعليم الرسمي إلى الشعيب، عُيّن الحبيشي معلماً رسمياً في مدرسة العوابل.

ومن هناك بدأت رحلة طويلة أخرى، تنقل خلالها بين عدد من المدارس، جامعاً بين تعليم الأجيال وإدارة المؤسسات التعليمية، وظل يؤدي واجبه التربوي لأكثر من أربعين عاماً.ولعل القيمة الكبرى لهذه الرحلة لا تقاس بعدد سنوات الخدمة فحسب، وإنما بعدد الأجيال التي مرت بين يديه، وتعلمت منه الحرف والكلمة والانضباط والقيمة.

لقد كان المعلم في ذلك الزمن أكثر من ناقل معرفة؛ كان قدوة ومرشداً ووجهاً اجتماعياً يحظى بالاحترام، وكان الحبيشي واحداً من أولئك المعلمين الذين ارتبط اسمهم ببدايات التعليم وانتشاره في المنطقة.

أربعون عاماً في صناعة الأجيال

في عام 1989م وصل الحبيشي إلى سن التقاعد بعد رحلة طويلة من البذل والعطاء.

غير أن التقاعد من الوظيفة لم يكن تقاعداً من الحضور؛ فقد بقي أثره في ذاكرة طلابه وفي المجتمع وفي الشعر الذي تناقلته المجالس.وفي عام 1990م تم تكريمه بـ وسام التقدير، تقديراً لما قدمه خلال سنوات خدمته وفي يوم 11 يناير 1994م انتقل الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي إلى رحمة الله بعد رحلة حياة كان فيها معلماً وشاعراً وصاحب موقف، تاركاً وراءه سيرة عطرة، وأثراً إنسانياً وثقافياً وتربوياً ظل حاضراً بعد رحيله.لقد غاب الجسد، لكن المعلم بقي في ذاكرة تلاميذه، والشاعر بقي في أبياته، والرجل بقي في المواقف التي حفظها له الناس.

الحبيشي... فارس المساجلات الزواملية:

تمثل المساجلات الشعرية واحداً من أكثر ميادين الشعر الشعبي إثارة وحيوية، فهي ليست مجرد تبادل للأبيات بين شاعرين، وإنما ميدان تظهر فيه سرعة البديهة، والقدرة على التقاط المعنى، وحسن الرد، وقوة الصورة، والتمكن من اللغة والإيقاع.

وكان الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي من أبرز الشعراء الذين خاضوا هذا الميدان وأجادوا فيه، حتى أصبحت المساجلات جزءاً مهماً من تجربته الشعرية ومن حضوره في الذاكرة الشعبية.المساجلة... منافسة أدبية وحوار شعري.

المساجلة لغة مأخوذة من معنى المباراة والمفاخرة والتبادل؛ فيقال: ساجله، أي باراه وفاخره، وتساجلوا أي تباروا.أما اصطلاحاً، فيمكن النظر إليها على أنها مباراة شعرية شعبية يتنافس فيها الشعراء في إظهار قدرتهم على صياغة المعنى والرد على الخصم أو المحاور، والدفاع عن مواقفهم أو القضايا التي يتبنونها.وقد تكون المساجلة اجتماعية أو سياسية أو ساخرة أو شخصية أو وطنية، لكنها في جميع حالاتها تحتاج إلى شاعر يمتلك حضوراً ذهنياً سريعاً وقوة في التعبير.الزامل... كثافة المعنى في مساحة قليلة

أما الزامل، فهو من أكثر أشكال الشعر الشعبي اليمني حضوراً في المناسبات والمواقف الاجتماعية والسياسية.

وغالباً ما يتكون الزامل من بيتين، وقد يأتي أحياناً في أربعة أبيات، وهنا تظهر قدرة الشاعر الحقيقية؛ إذ يتعين عليه أن يختصر موقفاً أو فكرة أو صورة كاملة في مساحة شعرية محدودة.ولهذا فإن جودة الزامل لا تقاس بكثرة الأبيات، بل بقدرة الشاعر على أن يضع في القليل من الكلمات أكبر قدر من الدلالة.

وهذا الفن تحديداً كان ميداناً مناسباً لقدرات الحبيشي، لما عرف عنه من سرعة البديهة والقدرة على تركيب الصورة والرد بما يناسب الموقف.

شجرة الشعر التي قصدها الشعراء

كان الحبيشي، في حضوره الشعري، أشبه بشجرة أصيلة مثمرة؛ يقصدها الشعراء لا رغبة في خصومة، وإنما لاستثارة طاقتها الإبداعية.

فلم يكن كل من أرسل إليه زاملاً أو قصيدة يريد إثبات تفوقه عليه، بل كان كثير منهم يرغب في دفع الحبيشي إلى الرد؛ لأن جواب شاعر بحجمه كان يمنح المساجلة قيمة وانتشاراً، ويجعل القصيدة الأولى نفسها أكثر حضوراً في مجالس الناس.وكان الشعراء يعرفون أن إثارة موهبة الحبيشي تعني استنطاق مخزون من الصور

والحكمة والسخرية واللغة الشعبية الثرية.ولهذا كثرت مساجلاته مع عدد من شعراء عصره.ومع التأكيد أن البيئة الشعبية في الضالع والشعيب عرفت شعراء كباراً ومبدعين، فإن الحبيشي احتل مكانة متقدمة بينهم، حتى عده كثيرون أحد أبرز رموز الشعر الشعبي في المنطقة.ولأن المساحة لا تسمح بعرض كامل نتاجه الشعري، فإن هذه الصفحات تكتفي ببعض النماذج التي تكشف جانباً من شخصيته الشعرية.

الحبيشي والمقبلي... مباراة الشعر والذكاء

من الشعراء الذين خاض معهم الحبيشي عدداً من المساجلات الشاعر صالح قاسم مقبل «المقبلي».

وتكشف هذه المساجلات قدرة كل شاعر على التقاط صورة الآخر والرد عليها بصورة أكثر حدة أو طرافة.

يقول بادع لو تروا ما لا نرى
باتكرهو ا الدنيا ثرى يا عابدين
قل للحبيشي ليت علمه لا درى
يرجع ورى يمشي على ديرة ونون*

جواب الحبيشي:

قولوا. لصالح ساري الليلة سرى
شوقه لما نسقيه كاسات المنون
شخب* البرد في جانب الوادي جرى
ذي بايدقدق له ضروسه والسنون

وفي

مساجلة أخرى قال صالح قاسم:

يا الله سألك باللطوف الساترة
لحد يطبل بي على هذا الشراع
يوم الحبيشي شفت نفسه ناترة *
ماشي قدر ينجد معي رأس الذراع

فأجابه الحبيشي:

قولوا لصالح ذي صفاته فاترة
لايطلع المشطاة* يجلس بالوقاع
باسرحه مجلوب سوق النادرة *
المشتري موجود والبياع باع

ويستمر التحدي الشعري:

بدع صالح قاسم:

ياحيد ضمأة ياحدود الظاهرة
ياذي مكثتي بين عولات* الشعيب
بالجوية صبي قنابل باهرة
لايوم فيه الشمس بالمغرب تغيب

جواب الحبيشي:

يازوة المضياف* مانتي قادرة
لليد ذي لاتحلب الضرة حليب
ماهمني غيمة تجيني عابرة
مامنها يختافشي ذيب ابن ذيب

ثم يقول صالح قاسم:

لا شفتها طارت قفاها بانطير
لما نصل للأرض ذي حلت بها
وبعد مانوقف لهم موقف خطير
لو ردت نفتح قفلها وأبوابها

وفيرد الحبيشي:

قولوا لصالح أين مني با يسير
لما تطاير فرقته واصحابها
قد هو مواطن بعدما ظلا أمير
ولا يقل لي كيف قد سوى بها

غير أن ما يكشف الجانب الإنساني الجميل في شخصية الحبيشي هو أن المساجلة، مهما بلغت حدتها، لم تتحول عنده إلى خصومة شخصية. ففي ختامها قدم اعتذاره في أبيات تحمل روح التسامح والوفاء:

سلام مني كلما الماطر هبط
للمقبلي مشهور جوده والعطاء
باقدم اعذاري على بعض النقط
لو ظن تعبيري على قوله خطأ

وهذه الخاتمة تلخص أخلاق المساجلة في صورتها الأصيلة: منافسة في الشعر، لا عداوة بين الرجال.

البعد الوحدوي والسياسي في شعر الحبيشي

لم يكن شعر الحبيشي معزولاً عن قضايا عصره، بل كان مرآة لاهتمامات المجتمع ومواقفه وتطلعاته.وقد احتلت القضايا الوطنية والسياسية مساحة واضحة في بعض زواملة ومساجلاته.

وكان موضوع الوحدة اليمنية من الموضوعات التي حضرت افي شعره بقوة، خاصة أن تجربته الشخصية جعلته يعيش علاقة وجدانية مع الجغرافيا؛ فجذوره في دمت، بينما قضى جانباً كبيراً من حياته في الشعيب.ولهذا حملت فكرة الوحدة عنده بعداً عاطفياً وشخصياً إضافة إلى بعدها السياسي وفي أحد نصوصه قال:

ساعة على يدي تأخر وقتها
لكن عقاربها على الساعة تدور
عاد اللقاء بين الصبية وأختها
يشتي سفر من عصر لاتالي سحور
حد جاء من اعلاها وحد من تحتها
ذي تحت يحفرها ولعلى ياحرور
حتى انهكوها وافقدوها صيتها
من بعدما كانت روائحها عطور

وقد رد عليه الشاعر قاسم سعيد بلعيد قائلاً:

ساعة يدك مذهب ذهب يلعب بها
سكروب فيها قد ربخ يشتي زرور
لا البنت راضي خاف ماترضى امها
وان رضت شف عادها تشتي طهور

وتكشف المساجلة كيف كان شعر الزامل وسيلة لمناقشة القضايا العامة بلغة رمزية شعبية يفهمها الناس ويتداولونها.

الوحدة في مساجلة الحبيشي والجعفري

وفي مساجلة أخرى بين الحبيشي والشاعر قاسم يحيى أحمد الجعفري بدأ الجعفري قائلاً:

سلام جم ما اتلاجبة من كل يم
وما تلمم واسقت الوادي طروش
نحنا نبا الوحدة ومامنها ندم
فيها ندم لأهل الكراسي والعروش

فأجابه الحبيشي:

حيا وتسلم كلما الراعد زجم
يابادع أقواله كما صرف القروش
الشعب ملزم مثلما سقى بدم
بانقاذها من وسط غابات الوحوش

وهنا يظهر الخطاب الشعبي الوطني في أوضح صوره؛ فالوحدة في هذه الأبيات ليست قضية نخب سياسية فقط، وإنما حلم شعبي، والشعر وسيلة للتعبير عنه.

شاعر الموقف لا شاعر الانتماء الحزبي

كان الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي، وفق سيرته ومواقفه، شخصية وطنية مستقلة، ولم يكن مرتبطاً بانتماء حزبي محدد.

وكان موقفه من الأحداث والأحزاب والجهات السياسية مرتبطاً بما يراه صواباً أو خطأ؛ يؤيد ما يراه سليماً وينتقد ما يراه خللاً.وهذا البعد منح شعره مساحة أكبر من الحرية، وجعل الزامل عنده وسيلة لقول الرأي ومناقشة الموقف، لا مجرد ترديد لموقف تنظيمي جاهز.ومن النماذج الدالة مساجلة سياسية جرت بينه وبين الشاعر مطهر مسعد علي «فراش»، الذي كتب زاملاً على لسان سعيد صالح مصلح المغترب في الكويت قائلاً:

بوفهد سمعني أناشيد الحمس
أهل المخمس بندوا عجاتها
لاشك قد ولى دشبكم واللمس
راحت سفينتكم مع موجاتها

لكن الحبيشي أدرك، وفق الرواية، هوية صاحب الزامل الحقيقي، ورد قائلاً:

الثوب عارة بأن لي حين التبس
كل المصانع واضحة نسجاتها
دامت سفينتا وطاقمها حرس
كانت تهز البحر من رجاتها
لكن مجراكم لمجراها عكس
ماشي تركها تنتهج نهجاتها
ساعة يقول امشي وساعة قال بس
لما حرمها من قضى حاجاتها
عاد الشجر في قاعة الوادي غرس
لابد ماتاتيك منتوجاتها

وتكشف هذه الأبيات جانباً آخر من قدرته الشعرية؛ فالصورة السياسية تتحول إلى سفينة وبحر واتجاهات متعاكسة وشجر ينتظر ثماره، وهي صور شعبية قادرة على تقريب المعنى السياسي إلى المتلقي.

النقد الاجتماعي والسياسي عند الحبيشي

ومن المساجلات التي تكشف عمق رؤيته تلك التي جرت بينه وبين الشاعر مانع أحمد مانع.

قال مانع:

ليس المهم وضع البرامج والنظم
عاد الأهم من باينفذ محتواه
كم ناس من بعض النظم لا تنظلم
النقد غايب والمزايد في غواه

فرد الحبيشي:

رعيانها محد ظلمها غيرهم
زاد الألم بالجسم وانهارت قواه
مادام رد الفعل من ذرات سم
ما مرفق الا علته داخل شواه
ياهوين ياجمالها شد الخطم
من له عنية* هم وأحكم مانواه
أعمل وحاسب لأجل تحقيق الحلم
وجاز من يعمل وحسن مستواه
ماشي معانا خير والفوضى تعم
والناس تفهم ماروى عنه الرواه

وفي هذا النص لا يكتفي الحبيشي بالتشخيص، بل ينتقل إلى الدعوة إلى العمل والمحاسبة والانضباط وتحمل المسؤولية.فالبرنامج وحده لا يكفي، والشعار لا يغير الواقع إذا غاب التنفيذ.

وهذه الفكرة تمنح شعره بعداً يتجاوز اللحظة التي قيل فيها، لأنها تتصل بمفهوم الإدارة والمسؤولية والعدالة والنظام.

الحبيشي... ذاكرة شاعر وسيرة معلم

حين تُقرأ حياة محمد أحمد الحبيشي كاملة، يصعب الفصل بين المعلم والشاعر والإنسان.فالمعلم منحه القرب من الناس والأجيال.والشاعر منحه القدرة على تحويل تجارب الناس إلى لغة.أما الحياة فقد منحته التجربة والحكمة والموقف.ولهذا فإن إرثه لا يتمثل في أبياته وحدها، كما لا يتمثل في سنوات التدريس وحدها، وإنما في التقاء الكلمة بالرسالة.لقد عاش جزءاً كبيراً من القرن العشرين شاهداً على تحولات اجتماعية وتعليمية وسياسية كبيرة، وانتقلت معه القصيدة الشعبية من مجلس القرية إلى فضاء النقاش العام، بينما انتقل هو من «المعلامة» إلى التعليم الرسمي، ومن طالب يحفظ القرآن في شبابه إلى معلم تتخرج على يديه أجيال.

وبين البداية والنهاية بقي وفياً لما آمن به: للعلم، وللأرض، وللأهل، وللكلمة، وللوطن.

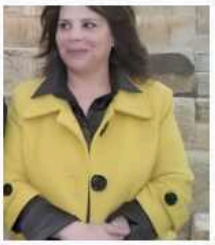
رحل الأستاذ والشاعر محمد أحمد الحبيشي في 11 يناير 1994م، لكن بعض الرجال لا تقاس حياتهم بما بين الميلاد والوفاة، بل بما يتركونه بعدهما.

والحبيشي ترك معلماً في ذاكرة تلاميذه، وشاعراً في ذاكرة المجالس، وصاحب موقف في ذاكرة الناس.

ولهذا يستحق أن يُقرأ لا بوصفه اسماً من الماضي فحسب، وإنما بوصفه صفحة من صفحات التاريخ الثقافي والشعبي والتعليمي لمحافظة الضالع والشعيب.



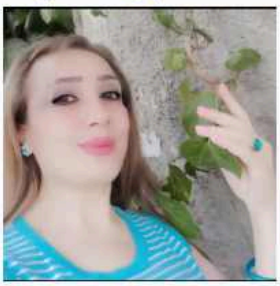
موت مؤجل



ضحى بوترعة.تونس

هذا المساءُ .....
النّومُ يركضُ فوق وسادتِي له شأنٌ آخرُ
قد أُكملُ يَقْظتِي بصعوبةٍ
وأعتذرُ لحلمٍ جميلٍ
وأعترفُ .....
أن اليأسَ
هو المنفى
وأن للزمنِ قبضةً دمويّةً
تتخفى كقتيلٍ في حلقِ الجسدِ
وللذاكرةِ صوتَ العودةِ
لكنها لا تصلحُ للأملِ.
وهذا رأسي العارِي إلّا من قطعةِ فكرةٍ تقبَعُ في آخرِهِ .
هذا المساء
اللغةُ تسيءُ معيَ التّصرّفَ
وأنَا أحاولُ أنْ أُقفلَ النافذةَ المطلّةَ على يومٍ
قد أُغْلِق قميصُهُ على ليلٍ بلا قمرٍ
الزّمنُ مكيدةٌ ...
والذاكرةُ واللغةُ توأمان في الوجعِ
وأنا كنت أتَشَهَّى
أن أكونَ ميراثًا لمنْ يَشتهيهِ القلبُ
و أنثى تَعبَقُ بعتيقِ شوقِها
كنت أضحَكُ والفرحُ من صنيعِ بكائِي
لم يكنِ الّذِي يرتّبُ رجُفاتِ القلبِ رجلًا ولا يدًا آثمةً تقطِفُ زهرةً.
كنت الأعمقَ منَ الرّواياتِ القديمةِ
ومنْ وطنٍ جريحٍ.
ولأنّنِي كنتُ أظنُّ أن الوقت أمسيةٌ موسيقيةٌ تدومُ
صحوتُ ..... تذكرتُ
أنَّ كُلّما نَضِجتِ الذاكرةُ يكونُ كلُّ شيءٍ على ما يرامُ
ولأنّ في دمِي عصافيرَ مخبوءةً
فقط .....
أحتاجُ إلى سماءٍ تعيدُ إليّ ما تبقّى من انتباهِ القلبِ.

سَأخبركَ شيئًا



ميَّادة مهنَّا سليمان/ سورية

سَأُخبركَ ... حَبيبِي...
أنَّ تنُّورَ الحَنينِ ... يامَنْ طَرَّزتُ اسمَكَ
قدْ فاضَ في قَلبي ... عَلى قُمصَانِ الغَيمِ
ولاعاصمَ لي سِوى وفائِكَ ... عَلى فَسَاتينِ الشَّمسِ
فأينَ سفينةُ حُبِّكَ؟ ... يامَنْ خَبَّأتُكَ
تعالَ أنقِذني منْ ... بَينَ نَبضاتِ القَلبِ
طُوفانِ الاشتِياقْ ... فِي بُؤبؤِ العَينِ
تَعَالَ ... وَفِي الأحدَاقْ
يابَسمتِي ... أينَ أنتَ؟
ياوردتِي.. ... أَلَنْ نَلتقِي؟
ياعطرَ قَصائِدي ... تعالَ اخطِفني
ياجَنَّتي ... وامضِ بِي بَعيدًا
تَعَالَ ... تعالَ بَسِمني
يَاسَمَاءَاتي الرَّحبةَ ... مِنْ سِياطِ القَهرِ
يابدرَ لَيالِيَّ ... تعالَ خَلِّصني
يانَجمَتِي ... مِن أسرِ هَواكَ
وشمسَ صَباحاتِي الَّتي ... تَعَالَ أطلِقْ سَراحَ خَافِقي
تُوقظُ الآفاقْ ... فقدْ أدْمَاهُ الفُراقْ

الورد إن عشق



ناديم فرحات

أتحبني قالت بلهفة عاشق
والشوقُ يخفي في العيون عتابا

أتقنتُ حبكَ واجترحتُ مواهبي
قل لي أحبكِ كي نتم جوابا

إن كان ذا يرضي معابدَ عاشق
فاليكِ حبي حاضرا وغيابا

لا تعذلي شغفي فسحركِ معبدٌ
ما ذنب قلبي إن هفا وأنابا؟

يا صدقَ ومض قد أصاب جوارحي
من رمش عاشقة أذاب وذابا

قدرُ البراعم إن تفتح عريها
سُكبت على العري الجميل فطابا

فتحت رؤى العطرِ النبي معارجا
وحيا يعيد الى السماء كتابا

زيدي لعل الوحي يرجع عاشقا
يلقي على حلك الضباب خضابا

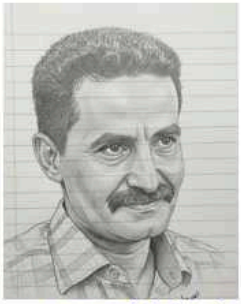
تغريدة للوطن



بقلم: الجزائرية طيغة تركية

وطن يضيء على المدى أنوار
وبه تشيد للعلا الأسوار
في كل شبر من ثراه كرامة
ولكل نفس في رباه شعار
مهما تكالبت الخطوب فإنه
يبقى على طول المدى منار
مرت عليه من المحن عواصف
لكنه ما انحنى بل زاده إصرار
كم حاول الأعداء طمس ضيائه
فإذا الضياء يزيده استبصار
والظلم مهما طالت عهوده
فالحق يمحو ظلمة الأشرار
تبقى البلاد وإن تعاقب ليلها
فلها مع الفجر الجميل نهار
من يزرع الإحسان يحصد عزه
ولكل صبر في المدى أثمار
والله يحفظ أرضنا وسماءنا
وبه نعيش وحسبنا الغفار

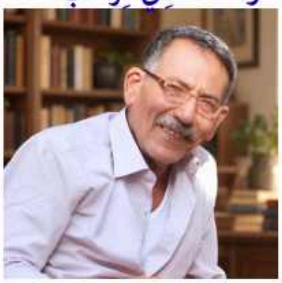
تراتيل الوجد في محراب الأماني



حافظ الشجيفي

أزهرت زهر الروابي أزهرت
ها هي الأجفان تغزو منزلي
في نسيمات غصون ارقصي
وتغني واصدحي في محفلي
ليلة راقت لعيني وانجلت
ساقها الحظ تناجي مأملي
بين ارتعاشات الأماني أقبلي
بشراع لا تخافي واعتلي
أقبلي نحو العيون واغرقي
ليلة فيها سهادي عجلي
رتلي للقلب ألحان الصفا
وارتوي نخب جنوني المذهل
يا سحابات خيالي أبحري
في مسارات انتظاري هلهلي
نهر آهات تراتيل الهوى
ذاك قلبي فيه هيمي واعدلي
لو أنني تعويذة في أسطر
من رقيق البوح تحييه إلي
يا مرام الروح أحلام الصبا
ها هنا الآهات تتلى فاقبلي
صبي عطر أزاهير المنى
كأسك الشافي من الوجد اغزلي
كأسك الشافي من الثغر اسكبي
فتنة للصدر فيه مدخلي
عبر أجيج يحتوينا أوقدي
أضلعا مادت هنا لا تخذلي
ريح عصف يعتليني ما بها
أيقظتني من جنون مذهل
عاكف في معبدي كنت أنا
فتهاديت رؤى من مرسل
أنت أغوار خيالي فاعبري
في حنايا الصدر يهمي جدولي
صوت قلبي برنين مر بي
فتنة الحب تداني واشعلي
يا لها أنسام عشق فارتوي
من سلاف الحب كأسي واثملي
يا لعمر سافري في ركبه
وامتطي رحل المنى لا تجهلي
يا رجيعا من ندائي غرّدي
وانثريني ذاك قلبي فاحملي
نظرة ألقاك في سفر الغد
لمح خفق في عيون المبتلي
بين تباريح شغافي انظري
ها هنا نجمك مري واهطلي
في ارتعاش الحب نحيا آهة
وهج لقيا ليس فيها عذلي
جنة السحر بقلبي ليتها
تغرق الوهم تساقي مجمَلي
يا مدارات جموحي أقبلي
ظامئ إني هنا لا ترحلي
أرتجي عينيك يرتد الكرى
ويجافي العين إن لم تعدلي
ها هنا صفو أمانينا بها
واحة تشدو بلحن أجمل
أقبلي بين غوايات دمي
وتشظي بين صدر مقبل

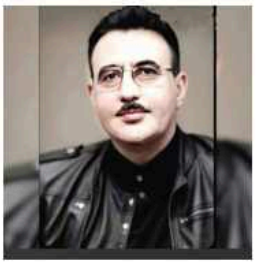
تَعَالْ رَجَّع سَنِيـــــنِي وَحْـــدِي تِرَقَّبْ



علي المحلتي

تَعَالْ رَجَّع سَنِيـــــنِي
وَحْـــدِي تِرَقَّبْ تِجِيـــنِي
شُو صَارْ بَيـنَكْ وُبَيـــنِي
تَعَـالْ يَا نُور عَيـــــنِي
فَرَشْتِ رَوض المَحَـــبَّهْ مِنْ
كُلّ شِـــي انتَ تِحِـــبَّهْ
وُاسْقَيتَه مُهْجَةْ حَنِيني
قِدْ ذِبْتَ انا أيـــشْ بَاذوب لك
شِي هُنا شُوفْ مِرْيُـــوبْ
قلبي سَكَبـــتَه بِصِيـــنِي
بَاعْطِيكِ صَوفَرْ وُبَغْدَادْ
وُشِلّ زَحْلَـــــهْ وُتُوبَـــادْ
تَعَال بَسْ لا الحِسِيـــنِي
تَعَال بَيـنِ الخَضِـــيرَهْ
حَيثِ الزَّرَاعــه النَّضِيـــرَهْ
بِكِرْ غِربْ صَيفْ بَيـنِي
عِنَبْ وُعَمْبَا وُرُمَّـــانْ
رُطَبْ سَفَرْجَلْ خُمَيـــسَانْ
وُفِـــلْ وُكَاذِي حُمَيـــنِي
وُارْقُصْ مِرَكَّحْ وُزَفْـنَهْ
بَتْحِـسّ أنَّكْ بِجَنَّـــــــهْ
سَكَّـتْ بِوَصْلَكْ أنِيـــنِي
صَافِي لَبَنْ دُوبِ مِحلوبْ وُالاَّ
عَسَلْ مَـــرْحِ مِسكُوبْ
بَتْقُولْ وَينْ كُنتِ وَيـــنِي

لا تنتظرني



فضل الحجيلي

لا تنتظرني أحبك في ظرف لحظه وغفله
من دون ترضي شعوري كلام حالي وقبله
وفي ضميري والإحساس صادق بقوله وفعله
فضلتكم خيرة الناس من بين الأجناس جمله
وألقيتكم تاج عالراس عالي مقامه وأصله
وفيك أشواق قلبي أضعاف عنتر وعبله
وتزورني آخر الناس في بعض الأحيان مره
وأحيان تجزع مقفي بخيل حتى بنظره
لا تنتظرني أحبك في ظرف لحظه وغفله
من دون ترضي شعوري كلام حالي وقبله
والقلب مشتاق وصلك ونعيش لحظه جميله
فيها الهناء والمسره من ألف ليله وليله
وأنته هوائي والأنفاس ونبض روحي وعقله
وجنتي في عيونك فيها السعاده بكله
وإطلالتك والبهيه كالبدر مشرق ضيائه
وإن غاب عنا في ليله يكفي حضورك بديله

حبيب الروح



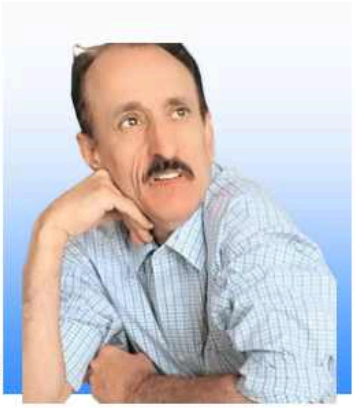
محمدعبدالملك العريقي

حبيب الروح اتعبني غرامك
حياة الروح ما اقسى خصامك
أغني لك وتعزف لي ملامك
وكم شاصبر على نار الغرام
ولي سهدي وتهنئ في منامك
وكم روحي تقسم في سلامك
أغاني الحب وأنغامه هيامك
ضياء صبحي وأشواق الحمام
تشاغلني ويجرحني كلامك
تُشي وصلي وتحرمني هيامك
علامك يا منى روحي علامك
ظلمت الحب وزيدت الملام
ترفق بي فما أحلي وئامك
تصدق بي وتظلمني حرامك
ضياء روحي اصابتني سهامك
على عيني تجمل بالسلام
هوى فلي تعطر من خزامك
هناء عمري تغنى به يمامك
وأشواقي تعرس في تمامك
وأنا منك يسافر بي الهيام
وأنا كلي واحساسي مقامك
وعطر الحب رشرشته أمامك
وقربك ضوء مجور من ظلامك
متى قُلي يفارقنا الخصام

من أوراق الولد الجنوبي



عبدالسادة البصري.العراق



لوحتان بريشة الفنان:
عبدالحكيم يحيى الشعيبي

على مقربةٍ من الماء
وجدتني أحيا ،
وفي الماء أرتّل بعض
مافي جعبتي من كلام
كان الماء أميناً للسر
يحفظ عني كل ما أقول
ويُسِرُّني أشياء وأشياء
لم أحفظها ،
لكنّني أعيدها الآن
حرفًا.....حرفًا !!!

،،،،،

نخلةٌ ، وساقيةٌ ، وعينان شدّهما
الاندهاش
هي رؤياي الأولى ....
فكان الحرفُ والورقة
وقربهما قلمُ الرصاص
لم يكن أبي عارفًا بها
وأمي لم تتقنها أيضًا !!!!

،،،،،،

تلفّعتُ البردَ ، ونمتُ تحت الشمسِ
طويلًا
كان الليلُ صديقي ،
والعصافيرُ ،
ووشوشةُ الماء
وزوارقي الورقيّة
ومعها أحلام صبي تكبر !!

،،،،،،

هل أعطتني القرية بعض مالديها ؟؟!!
سؤال ظل يجوب خاطري ،
مرةً وأخرى وأخرى !!!

،،،،،،،

لأنني الجنوب..
سأحتفظ بالمسك الذي
يضوع مني ،
وأنشرُ قميصي للريح !!!





ناظير»: حكاية أُمّ حوّلت حب القراءة» إلى مشروع حلم

بقلم: أرياف حسين التميمي

أن يكون لي مشروعي الخاص، حلم تمنّيت لو يتحقق منذ سنوات طويلة، لكن بسبب انشغالي مع أسرتي وأبنائي كُنت أؤجل تحقيق هذا الحلم في كلّ مرة...

وفي كلّ مرة أتذكّر أنّي أُريد إنشاء مشروع أتساءل: ماذا سيكون هذا المشروع؟ وأوّل ما يخطر في بالي هو أي مشروع له علاقة بالكُتب؛ متجر كُتب، دار نشر، منصة تدقيق وتنسيق وترجمة... لكنّي كنت أقتل هذا النوع من الأفكار في رأسي بسرعة، عندما أتذكّر أنّ عدد القراء قليل، وأتساءل: ماذا لو بعت الأكل أو الملابس والمكياج، ألن يكون ذلك مُجديًا أكثر؟ وهُنا لا أقتل الأفكار فقط، بل أقتل فكرة إنشاء المشروع ذاتها، حيثُ أنّي لا أجد لدي الرغبة في الدخول في هذه المجالات، لأنّها ليست مما أهتم وأستمتع به، فأنا لستُ من عُشّاق الطبخ وصنع الحلويات، ولستُ ممن يتابعون باستمرار الموضة ويترددون على الأسواق، لذلك بعد كل عملية تفكير، أعود مُجددًا إلى فكرة مشروع الكُتب.

وقد كُنت أُحب بين كل فترة وأخرى زيارة المكتبات التي تبيع قصص أطفال، لأقتنيها لأبنائي، لا زلتُ أتذكّر استغراب من حولي منّي عندما كُنت أقرأ لابني البكر وهو لا يزال في عمر الأشهر، متسائلين: كيف تقرأين له وهو لا يفهم؟ فاجيبهم بأنّه مستمتع بالقراءة، وهذا بالفعل ما كُنت أراه في عينيه أثناء تتبعه للصور في القصص التي أقرأها له.

وهكذا كُنت أحرص على قراءة القصص لأبنائي قبل النوم، وفي السنوات الأخيرة كُنت أجد قلّة وتراجع مستوى قصص الأطفال في السوق وتراجعها.. لكن على الرغم من ذلك لم أُفكّر في إنشاء متجر لقصص الأطفال، وإنّما استمريت في هوايتي المفضّلة وهي الكتابة.

وفي عالم الكتابة، تعوّدت أن أُطوّر من نفسي فيها وأخوض تجارب متعددة في الأجناس الأدبية المختلفة، فقد بدأت بكتابة الخواطر، وانتقلت بعدها إلى كتابة الروايات وأصدرت روايتين، ثمّ تعلّمت كتابة القصص القصيرة وأصدرت مجموعتي القصصية، وفي كل خطوة من خطوات الكتابة تلك، أرى أدب الطفل يلوّح لي، ولكنّي أُؤجل تجربته إلى أجل غير مُسمّى، إلى أن رأيت على الفيسبوك إعلانا لجائزة حزاوي لأدب الطفل، فأدركت أنّ الفرصة قد حانت لأكتب هذا النوع من الأدب الجميل. قبل البدء بالكتابة فكّرت كأُم ماهي الموضوعات التي أتمنّى أن أحكيها لأطفالي على شكل قصص، وأخذت دورة في كتابة قصص الأطفال، وحللّت القصص التي قرأتها مسبقاً، وقرأت الكثير من القصص، ثمّ حوّلت أفكاري إلى قصص مكتوبة وشاركت في المسابقة وفازت مجموعتي القصصية: (قوقعة زرقاء بلون السماء)..

استمتعت بكتابة القصص واستمتعت بعد ذلك برؤيتها مرسومة، ومن هُنا بدأت أُفكّر في إنشاء دار نشر يمنية متخصصة بقصص الأطفال، وهو ما لا يوجد لدينا في اليمن بطولها وعرضها، وغزارة مُبدعيها. قبل أن أخطو هذه الخطوة، توقّفت، وقررت أن أبدأ بخطوة أقل جهدًا منها، وهي استيراد قصص جاهزة وبيعها في السوق، ثمّ إذا نجحت هذه الفكرة، أقوم بما هو أكثر تعقيدًا ألا وهو إنشاء دار نشر يمنية متخصصة في قصص الأطفال، مع استمرار بيع القصص المستوردة، حرصت بعدها على البحث عن أفضل دُور النشر العربية، وأفضل القصص لأستوردها وأبيعها في السوق اليمني.

أضفت فيما بعد بعض الكُتب والقصص المتوافرة في السوق اليمني بجودة ممتازة، وكان لي الفخر بتوفير (مجلة عمّار) في المتجر، وهي المنتج اليمني الوحيد المتوافّر لدينا، وأسعى إلى توسيع نطاق الإصدارات المحلّية إذا توافّرت فيها الجودة العالية.وهكذا افتتحت متجر ناظير لقصص الأطفال، و(ناظير) هي كلمة دارجة في لهجة حضرموت الوادي وتعني (الدفتر أو الكتاب) واستخدمت هذا الاسم في البداية لمدونتي الالكترونية، ثمّ استخدمته بعد ذلك لمتجري..

قبل إنشاء المتجر قالت لي صديقة عزيزة بأنّه لكي أبيع قصص الأطفال في اليمن، لابد أن أسعى من خلال المتجر إلى تشجيع النّاس على القراءة لأبنائهم، وتوعيتهم بأهميتها، وهذا ما أُركّز مجهودي عليه حاليًا، موقنة بأنّه وإن لم يشتر النّاس مني، إن اقتنعوا بأهمية القراءة وفائدة الكتب الورقية لأبنائهم فهذا سيكون أعظم إنجاز لي، إنجاز أعظم من الربح المادي نفسه..

وكم تكون سعادتي عظيمة عندما تُعبّر لي الأُمهات عن سعادتهنّ وسعادة أبنائهنّ بالقصص عند استلامها، وهذا ما يدفعني للاستمرار في المتجر، والحرص على انتقاء الكتب والقصص بعناية، والعمل على نشره والترويج له بأقصى ما أستطيع.

لازال المتجر في أشهره الأولى فهو لم يُكمل السنة بعد، وكُلّي أمل أن يُسهم المتجر في غرس حُب القراءة في أبنائنا الأعزاء، ولن يحدث ذلك إلا إذا كانت القصص والكُتب المتوافرة بجودة رائعة، تحمل أفكارًا إبداعية ومحتوى مفيدًا، وهو ما لا أتنازل عن وجوده في جميع القصص التي أوفّرها.



هيا نرسم

شعر للأطفال/
كمال محمود اليماني

هاكَ القلـــمَ وهاكَ الدفتـرْ
اِرسمْ بيتًـــا حلو المنظـرْ

اِرسمْ شمسًـــا نجمًا.. قمـــرًا
اِرسمْ حامـــــيا لوطنِ الأسمرْ

اِرسم طـــــيرً ايرقصُ طربًـا
اِرسم حقـــــلًا شجرًا أثمـــرْ

ارســـــم قاربَ حلـــــمٍ آتٍ
ها هو ذا القاربُ قـــد أبحـــرْ



اِرسم وطنًـــــا اِرسم علمًـــا
اِرسم حلمـــًا ينمو.. ويكبـــرْ

هـــاكَ القلـــمُ وهاكَ الدفتـــرْ
اِرسم وطـــــنًا لعـــربِ الأكبرْ

طفلي يكذب ... ماذا أفعل؟



إعداد: هدى زياد

ليس الكذب عند الطفل سيئًا بالضرورة، فالطفل يلجأ إلى الكذب لإغناء خياله الخصب، إذ يبقى حتى سن الخامسة تقريبًا غير قادر على فصل الحقيقة عن الخيال، ولذلك فإن إطلاق صفة كاذب على طفل صغير هو ظلم له.

والكذب هو أمر خاص بالتطبع غالبًا، ولأن التطبع يمكن تكوينه بالتربية، فإن وظيفة الأهل تربية أطفال محبين للحقيقة، إضافة إلى ضرورة التزام الأهل للصدق، كي لا يلجأ الطفل إلى التقليد، فيصبح الكذب مقصودًا بعد أن كان استجابة لدوافع بريئة.

لماذا يكذب طفلي؟

يكذب الطفل للأسباب التالية:

- الخوف من رد فعل الأهل ومن العقاب القاسي -
- الرغبة في لفت الانتباه أو التباهي وجذب الاهتمام والشعور بأهمية الذات.
- تقليد الكبار-
- الهروب من الوقوع في المشكلات

وهي قصص بريئة يرويها الطفل دون قصد الخداع، بل بقصد التباهي والظهور أو حب الشهرة... مثلًا : لدينا منزل كبير جدًا ... يمتلك أبي الكثير من المال.....

- كذب الدفاع: وهو محاولة الطفل الهروب من مشكلة أو عقوبة.. مثلًا : لم أكتب وظيفتي بسبب المرض .. هو من فعل ذلك ولست أنا ...
- الكذب التقليدي: وهو انطباع يكتسبه الطفل من رؤية الكبار يكذبون أمامه... فالكذب ليس وراثيًا.
- كذب الاستعطاف: يلجأ إليه الطفل للحصول على شيء ما.
- كذب التعظيم: يكذب الطفل لجذب إعجاب الآخرين نتيجة ضعف ثقته بنفسه.
- الكذب المرضي: يصاب به بعض الأطفال نتيجة سوء المعاملة من شخص ما، أو نتيجة الإهمال العاطفي، فيقوم الطفل بتغيير الحقائق دون تعمد الكذب.
- كذب الأنانية وحماية الذات: يلجأ إليه الطفل لنيل كل ما يريده على حساب الآخرين، وهو نوع خطير من أنواع الكذب.
- الكذب بهدف الرغبة في إلحاق الضرر بالآخرين: وهو أخطر أنواع الكذب، إذ يصبح الطفل عدوانيًا.

البدائل التربوية الفعالة؟

- العواقب المنطقية: اجعل طفلك يتحمل نتيجة فعله.
- فرصة التراجع: امنحه فرصة " فكر مرة أخرى " هل أنت متأكد؟ وذلك لجعله يقول الحقيقة دون خوف.
- الاعتذار والتصحيح: اطلب من طفلك الاعتذار لمن كذب عليه، أو إصلاح الضرر المادي والمعنوي الناتج عما ارتكبه.

حبل الكذب قصير :

مثل شائع ومهم ... يجب على الأهل شرحه لطفلهم الذي يلجأ إلى الكذب، موضحين له أن المرء لن يتمكن من تحقيق النجاح عبر الكذب، حتى لو نجح لفترة قصيرة، مع ضرورة التأكيد عدم معاقبة الطفل، فإن ذلك قد يؤدي إلى محاولته اختراع كذبة أكثر دقة في المرات القادمة.

بل يجب عليهم مساعدة الطفل عندما يعترف بما كذب، حتى لا يشعر أنه قد تمت معاقبته بسبب صدقه.

-هل أعاقب طفلي عندما يكذب ؟

الكذب وسيلة يهرب بها الطفل من العقاب أو الخوف ... والعقاب يزيد الأمر سوءًا، لذلك يجب على الأهل القيام بما يلي:

- حفاظ الأهل على الهدوء وعدم الانفعال.
- منح الطفل الأمان، ليشعر أن قول الحقيقة سيحميه من العقوبة.
- الفصل بين الخطأ الذي ارتكبه الطفل واعترافه بالصدق، وتشجيعه على قول الحقيقة.
- شرح أضرار الكذب وأهمية قول الحقيقة، مع ضرورة مدحه كلما أجابك بصدق، حتى لو أزعجتك الإجابة.

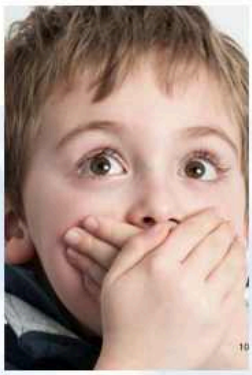
-الانخراط في نشاطات إيجابية، وعرض موهبة طفلك، وجعله يعبر عن نفسه من خلال المنافذ الإبداعية وتوجيه طاقاتهم.

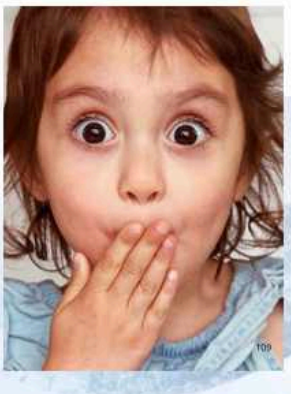
- الأهل قدوة لأطفالهم الذين يقومون بمحاكاة أساليبهم، فيجب تعزيز مفاهيم الصدق لدى الطفل عبر مراقبة سلوك المحيط.

هل يمكن علاج الكذب؟

يجب معالجة الكذب في حال شعر الأهل أن الأمر بات مرضيًا، وفشلوا في إقناع الطفل بالتوقف عن ذلك. هنا يجب عليهم التوجه إلى طبيب أو معالج نفسي للتأكد من تشخيصه للكذب المرضي والقيام بالعلاج.. وعادة ما تكفي جلسات قليلة للتخلص من هذه العادة.

وهكذا فالطفل يولد على فطرة نقية بيضاء.... يحب الصدق ويكره الزيف ولكن يأتي الكذب نتيجة أسباب ... إن ليس مجرد خطأ عابر ... بل هو صدع صغير يهدم بناء الثقة ويحرم الطفل من طعم الأمان النفسي، ليكون بذرة سيئة في حال لم نعالج الأسباب ونغرس مكانها بذور صدق وفضيلة.









راكان وسؤاله الأول

قصة: جمال صلاح

كانت القرية ترقد عند حافة البحيرة كأنها نسيت نفسها هناك منذ زمن بعيد. بيوتها بيضاء، وطرقها ضيقة تفوح منها رائحة التراب والتين، أما البحيرة فكانت زرقاء في الصباح، رمادية عند الغروب، ساكنة في ظاهرها، عميقة مثل الأشياء التي لا يقولها الناس.

كان راكان في الثامنة، هادئًا إلى حد أن أهل القرية كانوا يمدحون صمته أكثر مما يمدحون كلامه. يقولون:

— ما أشد أدبه!وكان يخفض رأسه، بينما تمتلئ داخله الأسئلة.

لماذا يختفي أثر البط فوق الماء؟ كيف تعرف الطيور طريقها؟ ولماذا لا يذهب بعض أطفال القرية إلى المدرسة؟لكن أباه كان يقول:

— لا تتعب رأسك.وكانت أمه تردد:— الناس يحبون الفتى المطيع.

فجمع راكان أسئلته في صندوق صغير تحت سريره، كأنها مخلوقات لا يجوز أن ترى الضوء.

وفي صباح كثير الريح، جاء حسام، ابن الجيران الجديد. كان سريعًا، كثير الكلام، ينظر إلى كل شيء كأنه يراه للمرة الأولى. سأل عن لون البيت، وعمق البحيرة، وسبب زرقة الماء، ثم دعا راكان إلى التنزه.

عند الضفة، أخذ حسام يسأل بلا خوف. أدهشت راكان سهولة خروج الأسئلة من فمه، كأن حسام يفتح نوافذ في الهواء.

مرّا قرب عشب كثيف، فتذكر راكان اليرقات المضيئة. تردد، ثم قال بصوت خافت:

— أين تختبئ في النهار؟نظر إليه حسام وقال:

— لا أعرف. لنبحث عنها.لم يجدا شيئًا، لكن راكان وجد ما هو أهم: يمكن للإنسان أن يسأل من غير أن يعرف الجواب.

في اليوم التالي، انقطع الماء عن حوض القرية. قال الرجال إن النبع جف، أما راكان فرأى التراب مبتلًا قرب شجرة الرمان.

صعد السؤال إلى حلقه، ثم كاد يبتلعه. وقف حسام إلى جواره صامتًا.

قال راكان:— إذا كان النبع قد جف، فلماذا التراب مبتل هنا؟

حفر الرجال، فوجدوا الأنبوب مكسورًا. عاد الماء إلى الحوض، وعاد صوت الخرير إلى الساحة.

في المساء، جلس أبوه قربه وقال:

— حين كنت صغيرًا، مُنعت أنا أيضًا من السؤال. ظننت أن الصمت يحميك، لكنه ربما كان خوفي، لا حكمتي.وأعاد إليه الصندوق من غير أن يفتحه..ليلًا، جلس راكان وحسام قرب البحيرة. ظهرت بين الأعشاب نقاط خضراء صغيرة، واحدة ثم أخرى.فكر راكان أن اليرقات كانت موجودة طوال النهار، لكنها انتظرت الظلام لتضيء.وكانت أسئلته مثلها تمامًا..فتح دفتره وكتب:لماذا نخاف من السؤال؟

قال حسام:— لا أعرف.

ابتسم راكان.لم يصبح صاخبًا، ولم يختفِ خجله كله، لكنه تعلم أن الأدب لا يعني أن يخفي الإنسان عقله، وأن السؤال الصادق لا يفسد هدوء العالم.إنما يفتح فيه نافذة.



عن قصة (صديقي المختلف)
لماذا يحتاج أطفالنا إلى قصص عن الاختلاف؟

مروة علوي/ السيدة شمس
كاتبة ورسامة في أدب الطفل

يولد الأطفال بقلوبٍ منفتحة وفضولٍ كبير لاكتشاف العالم، لكنهم يتعلمون مع مرور الوقت كيف ينظرون إلى الاختلاف من خلال ما يرونه ويسمعونه حولهم. ولهذا تصبح القصة وسيلةً جميلة لنزرع فيهم قيم التقبّل والرحمة قبل أن تتكوّن لديهم الأحكام المسبقة.

من هذه الفكرة وُلدت قصة «صديقي المختلف»؛ قصة طفل يلتقي بصديقٍ مصابٍ بالمهق، فيلفت اختلاف ملامحه انتباهه في البداية، لكنه يكتشف مع مرور الأحداث أن الاختلاف في اللون لا يعني اختلافًا في الأحلام أو المشاعر أو القدرة على أن يكون صديقًا مخلصًا. وهكذا تتحول الدهشة إلى معرفة، والمعرفة إلى صداقة حقيقية.

أؤمن أن أدب الطفل لا يقتصر على التسلية، بل يمتلك القدرة على غرس القيم بلطف وصدق. فالطفل الذي يقرأ قصة عن تقبّل الآخر قد يكبر وهو أكثر رحمةً، وأقل ميلًا لإطلاق الأحكام على من يبدو مختلفًا عنه.

من هنا جاءت «صديقي المختلف»؛ محاولة بسيطة لأقول للأطفال إن اختلاف المظهر لا ينتقص من الإنسان، وإن أجمل الصداقات قد تبدأ عندما نتجاوز ما تراه أعيننا لنرى ما تحمله القلوب.

أتمنى أن تكون هذه القصة نافذةً صغيرة تفتح باب الحوار بين الأطفال وأسرهم حول قيمة التقبّل، وأن تسهم، ولو بقدر يسير، في بناء جيل يرى التنوع جزءًا طبيعيًا وجميلًا من الحياة.





الكلمة الطيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ...والقراءة غذاء الروح ...والكتابة سلاح...

من هنا ... ومن حيث تصدر مجلة " القشم الثقافية " كان لنا هذا الحوار مع المشرف عليها الأستاذ الدكتور محمد الشعيبي، لنسأل ويجيب عما تقدمه المجلة، وعن مستقبلها في ظل التغيرات الكثيرة المتلاحقة.

بداية يسرني أن أرحب بكم دكتورنا العزيز للرد على تساؤلات قرائنا.

أهلًا وسهلًا بكم ... في مقر مجلة " القشم الثقافية" هذا المشروع الثقافي الذي هو للصحافة والحوار والمعرفة والأفكار الخلاقة والكلمة الهادفة.وأنا على استعداد للرد على أية تساؤلات

بداية نود لو تقدمون لنا لمحة موجزة عن الفكرة الأولى لنشوء مجلة " القشم الثقافية" كيف بدأت؟ ولماذا نشأت؟

إيمانًا من الأستاذ الجليل محسن ناصر القشم ـ مؤسس منتدى القشم الثقافي التنموي بأن الكلمة أقوى من الزمن ... وأن نشر المعرفة هو رسالة يجب أن تكون بيد أمينة... وأن احترام لغتنا العربية الخالدة هي مسؤولية تقع على عاتق كل فرد منا... وأن حب الوطن فعل وعمل وليس قولا... انبثقت فكرة إصدار مجلة ثقافية تسلط الضوء على الثقافة والتنمية وتعنى بالتراث والدراسات النقدية، وتضم إبداعات أدبية من شعر ونثر وقصة قصيرة، إضافة إلى بعض الترجمات، دون أن ننسى أدب طفلنا العربي الغالي.وقد نجحنا بالفعل في إصدار الأعداد الثلاثة الأولى، واستطعنا بتوفيق من الله أن نحصل على الترقيم الدولي (ISSN) من المكتبة الملكية السويدية، وهو إنجاز يعزز مصداقية مسيرتنا، ويفتح آفاقًا للتواصل مع القراء.

تحمل مجلة " القشم الثقافية " رسالة تتجلى في نشر المعرفة وحماية الهوية ودعم الإبداع، يرجى التحدث عن رسالتكم الثقافية، وما ترونه في مستقبلها القادم.

اعتمدت المجلة في نموذجها التحريري نموذجًا من البساطة والرصانة، مع أبواب مرنة تتسع لموضوعات متنوعة، بهدف إتاحة مشاركة أوسع للكتاب والأدباء والباحثين، وإيلاء الترجمة دورًا محوريًا بوصفها جسرًا للتواصل الثقافي والإنساني. وفي سياق وضع هذه السياسات ارتأت هيئة التحرير ـ برئاسة المشرف العام ـ اعتماد نموذج ديناميكي يدعم توسع الأبواب، إذ كلما ازداد حجم المشاركات، يتم استحداث ملحقات خاصة لاستيعاب كم المواد الواردة في أي من الأبواب. ويأتي هذا التوجه في إطار البناء على التراكم المعرفي، ومن ثم الاستجابة للحاجة الملحة للنشر الرقمي بتجربة مميزة، الذي يشكل فضاء أرحب، مع الموازاة بين النشر الورقي (بوصفه ركيزة أساسية) والنشر الإلكتروني، بما يحقق تكاملًا وتوازنًا بينهما.

يرجى التحدث حول فضاءات النشر في مجلتكم، وكيفية ترجمة رسالتكم الثقافية.

تعكس فضاءات النشر المحتوى الكلي المتنوع، والذي يترجم الرسالة الثقافية. فقد اختارت مجلتنا فضاءً يتجاوز الجغرافيا المحلية إلى الفضاء العربي، ثم الإنساني.

وتخاطب المجلة بتنوعها هذا فضاءات متعددة تجمع بين البساطة والرصانة كما أشرت، وتعنى بإشراك مثقفينا وأدبائنا، وإبراز تراثنا للآخر. وهي تسعى في الوقت نفسه إلى توفير عوامل الاستدامة للمشاركة الأوسع، بما يخدم رسالتها الثقافية في استيعاب القديم والجديد معًا.

مازالت مجلتكم في أعدادها الأولى ...فمن غير المنصف أن نقوم بتقييمها من خلال ثلاثة أعداد فقط...فهي مازالت تحبو... ولكن البداية تشير إلى أنها تمثل مشروعًا ثقافيًا يستحق المتابعة... فما هي رؤيتكم؟

تقدم مجلتنا محتوى معرفيًا يهدف إلى بناء الوعي ونشر الإبداع، ودعم الباحثين والأقلام الشابة، عبر مقالات رصينة وطرح موضوعات تعمق الفكر حول قضايا التراث واللغة العربية، ونشر القصص والقصائد الشعرية، وإجراء حوارات مع المفكرين والباحثين، وتغطية أحدث الكتب.

ولكننا مازلنا في البداية وطموحنا لن يتوقف، وسنسهم من خلالها في زيادة الوعي والثقافة لدى مختلف فئات المجتمع. ونأمل أن تصل مجلتنا إلى كل قارئ في أرجاء الوطن العربي.

هل مازالت المجلة الثقافية المطبوعة برأيكم قادرة على المنافسة وجذب القراء في ظل هذا التدفق الهائل للمعلومات من المنصات الإلكترونية وعبر وسائل التواصل الاجتماعي؟

لا أنكر أننا في سباق صعب، ولكننا نعمل جميعًا بجهد متواصل لا يتوقف، وهي تجربة نستحق أن نعمل من أجلها لتحقيق أهدافنا.

إنها نقطة استمرار صادق في زمن صرنا نشعر فيه بالغربة، ونحتاج أن نعمل لنثبت تفوقاً ونجاحًا... وسنثبت أن عصر الكلمة المكتوبة والمطبوعة لم ينته، ومازالت الكلمة المطبوعة تجد مكانًا لها في الساحة الثقافية.

من هم جمهوركم اليوم؟ وماهي خططكم التطويرية؟

أصبح اليوم لمجلتنا جمهور ليس بالقليل، ولاسيما القراء الذين يهتمون بنشر ما يرتبط بمجالات الأدب والشعر والنثر والقصص القصيرة والخواطر وكل ما يرتبط بالكتابات الأدبية، فهم يستمتعون بالخيال الخصب والحس المرهف، بما فيها من صياغة أدبية مميزة بتشبيهاتها واستعاراتها وصورها.كما أن هناك قراء تدعم المقالات ذات المصداقية والموثوقية التي تقدمها أسماء لامعة في عالم الثقافة.وسنعمل على إضافة بعض الأبواب الأخرى لتصبح أكثر شمولًا وأقرب تناولًا من القراء كافة على اختلاف ثقافاتهم وتنوع مشاربهم.

هل سيستمر إصدار مجلتكم ورقيًا في ظل ضعف التمويل في العالم عامة وفي ظل النشر الإلكتروني لمعظم المجلات؟

يشهد مستقبل المجلات في أنحاء العالم تحولًا جذريًا نحر النشر الإلكتروني للتغلب على تكاليف الطباعة وعلى أزمة التوزيع وارتفاع نسبة المرتجعات... ولذلك ينظر للمجلات المطبوعة على أنها مهددة بالانقراض.

وعلى الرغم من أنها لم تعد تحظى بشعبية كبيرة كما كانت في السابق، إلا أننا نسعى جاهدين لضمان الاستمرار بإيجاد وسائل تمويل جديدة من إعلانات وغيرها لتبقى حاضرة بين يدي القراء الأوفياء

هناك مساحة كبيرة في مجلة" القشم الثقافية" لدعم المواهب ... كيف تقيمون دور الأقلام الجديدة في الساحة الثقافية؟ وهل سيكون للجيل الجديد برأيكم دور في بناء ملامح المشهد الثقافي القادم؟

نحن نؤمن أن الأقلام الجديدة تقوم بدور حيوي في الساحة الثقافية من خلال ضخ دماء إبداعية وأفكار معاصرة تكسر التقليد.

ولذلك نعمل جاهدين على تمكين الطاقات الشابة من إيصال أصواتهم، وتعزيز تفاعل القراء معهم، فمجلتنا تراهن على استعادة دور الكلمة من خلال رعاية المواهب.

إن دور الشباب مهم لبناء مستقبل أكثر إشراقًا، فهم طليعة التغيير وبوصلة الوعي نحو بناء إعلام هادف يوازن بين الأصالة والانفتاح.

وما أحوجنا اليوم إلى أن نكون مع جيل الشباب يدًا واحدة، فنحصن أنفسنا بتفعيل الثقافة وتوظيف الوعي وإعمال العقل... فالثقافة إنما هي نمط حياة ومصدر قوة.

وستبقى مجلتنا فضاء مفتوحًا لإبداعات الجيل الجديد.

يحتل التراث مكانًا كبيرًا في المجلة يتيح للجيل الجديد التعرف على هويتهم التي غابت عنهم. يرجى التحدث عن هذا الموضوع.

إن التراث الثقافي في عصرنا الحالي يحتل مكان الصدارة، فهو الركيزة المهمة في تعزيز الانتماء، وهو الجسر الرئيس الذي يربط بين الأجيال، ويقوم على نقل القيم والعادات والتقاليد، ويرسخ الشعور بالفخر والانتماء وتعزيز الثقة بالنفس.

ومن هنا كان لابد لنا من تحديد مساحة واسعة في المجلة لموضوع التراث من خلال التعريف بالمواقع الأثرية القديمة، وعرض الطقوس الاجتماعية والاحتفالات الشعبية، والعمل على دعم الانسجام بين أطياف المجتمع كافة.

هل تجدون أنفسكم في هذا العصر قادرين على استقطاب الجيل الجديد وجذبه إلى القراءة؟

إن التطورات التكنولوجية المتلاحقة وتعدد أجهزة الاتصال واهتمام جيل الشباب بكل ما هو جديد، جعل هذا الجيل أكثر استخدامًا للوسائط الرقمية وقراءة الأخبار عبر الانترنيت أكثر من محاولتهم الحصول على المعلومات عبر الكلمة المكتوبة والمطبوعة.

إلا أنه لابد من توعية شبابنا إلى أن الكلمة المكتوبة تحمل المصداقية وتوفر المعلومات الموثوقة، ولذلك كان هذا الهدف أحد الأهداف التي نسعى لها.

هناك من أشار إلى أن النصوص الأدبية التي وردت في الأعداد الأولى تمتلك لغة جميلة، لكنها تفتقد لحظة الذروة من أجل البقاء، ولا يوجد النصوص التي تهز القارئ... فماذا تقولون؟

إن مستوى النصوص التي تعرض ليس واحدًا، فهناك ما هو متميز، وهناك ما هو أقل تميزًا، وذلك يعود إلى الموهبة وسلامة اللغة... وهو الأمر الذي ينطبق على النصوص التي ترد في المجلات عامة... ونعمل اليوم على تشجيع الشباب على الكتابة وتنمية المواهب، ولكن نأمل مستقبلًا اختيار النص المتميز بل المتميز جدًا فقط.

إن المواد التراثية التي تعرضها المجلة ـ على الرغم من قوتها وأهميتها ـ تبدو أقرب إلى الدرس كما قيل، وتحتاج إلى إضافة ما يجعلها أقرب إلى القارئ ... فما رأيكم؟

إن المقالات التراثية تحمل معلومات قيمة قدمها أساتذة مختصون، ولها جمهورها الذي ينتظر هذه المعلومات القيمة، ولا يمكننا الإضافة لها، نظرًا لأنها محدودة الصفحات.

هناك من يقول إن بعض المقالات في المجلة تفتقر إلى الإقناع بسبب قلة الأرقام والمقارنات والمصادر ... فما رأيكم؟

إن مستوى النصوص التي تعرض ليس واحدًا، فهناك ما هو متميز، وهناك ما هو أقل تميزًا، وذلك يعود إلى الموهبة وسلامة اللغة... وهو الأمر الذي ينطبق على النصوص التي ترد في المجلات عامة... ونعمل اليوم على تشجيع الشباب على الكتابة وتنمية المواهب، ولكن نأمل مستقبلًا اختيار النص المتميز بل المتميز جدًا فقط.

يفتقر إخراج المجلة إلى بعض التجديد الذي يجعل من الشكل وسيلة لجذب القارئ، فهناك تزاحم في الموضوعات وقلة الفراغات وقلة الصور التي تقوم بشرح الأفكار...فهل ترون ضرورة لتعديل الشكل العام للإخراج؟

إن الإخراج مقبول وجيد في الوقت الحالي، ونحن نضع الصورة المناسبة المعبرة، ولا نضع الصورة لمجرد لفت النظر والتلوين، وهذا لا يعني أننا لن نعدل في طريقة الإخراج، بل سنعمل على التطوير ضمن خططنا اللاحقة.

هناك جهد واضح في المواد المقدمة، ولكن هناك من يشير إلى أن الكثير منها يحتاج إلى النبض، كما يفتقد الكثير منها إلى الجرأة، فكل كلمة تكتب بحذر.
ما هو ردكم؟

إن مجلتنا تتميز بطابعها الرصين، وبالموضوعية، وتعبر مقالاتها عن آراء أصحابها ثم إن ما يحسب للمجلة هو أنها موجهة في قسم منها إلى المثقفين، وموجهة في قسم آخر إلى أنصاف المثقفين، وموجهة في قسم من نصوصها إلى الهواة، وهذا برأيي يعد تميزًا.

وستقدم الأعداد المقبلة كل ما هو جديد بإذن الله وسترسم ملامح جديدة، فمازلنا في البداية ... وسترسخ حضورها في الساحة الثقافية.

وجدنا أن المقالات لديكم في قسم كبير منها، ولاسيما في ملف العدد لا تكتفي بنقل الخبر، بل تقوم بالتحليل والإجابة على الأسئلة وإثراء الحوار الثقافي.كيف تختارون موضوعاتكم في هذا المجال؟

في هذا الباب الموضوعات الموثقة علميًا، مع الإشارات المرجعية من اسم الكاتب وعنوان المصدر ومكان النشر وسنة النشر ورقم الصفحة أي اعتماد الدقة الكاملة ودرجة التوثيق.

ونعنى بالأسماء المتميزة والمتخصصة التي تخاطب العقول المتفتحة والنفوس التواقة إلى المعرفة، والأساتذة الذين يقدمون بخبراتهم موسوعة من المعارف.

هل من شروط للنشر لديكم في المجلة؟

عم هناك شروط للنشر لدينا أهمها:

ـ أن يكون العمل من مقال أو شعر أو نثر أو قصة قصيرة أصيلًا من إبداع صاحبه، ولم يسبق له نشره في وسيلة أخرى (ورقية أو الكترونية).

ـ أن يتناسب المحتوى مع الخط التحريري الثقافي للمجلة ويحقق الموضوعية والمستوى العلمي والدقة، مع عدم مخالفة القوانين والآداب العامة.

ـ يحبذ إرسال المقالات مدعمة بالصور المناسبة إن وجدت.

ـ سلامة اللغة وتحقيق شروط التنسيق المعتمدة من حيث عدد الكلمات وحجم الخط.

يرجى منكم توجيه كلمة أخيرة إلى القراء

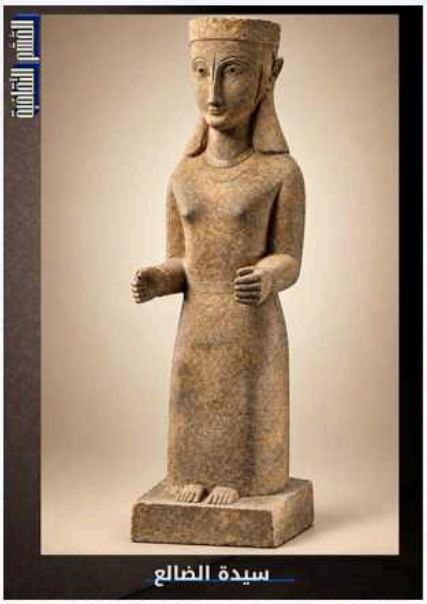
إن مجلتنا تعيد دور الكلمة المكتوبة في زمن الأخبار التي لا تتوقف من وسائل التواصل الاجتماعي والمنصات الرقمية، وهي تختلف عن منصات التواصل في أنها ليست وسيلة لنقل الخبر، بل هي وسيلة للقراءة المتأنية وتحليل الخبر.

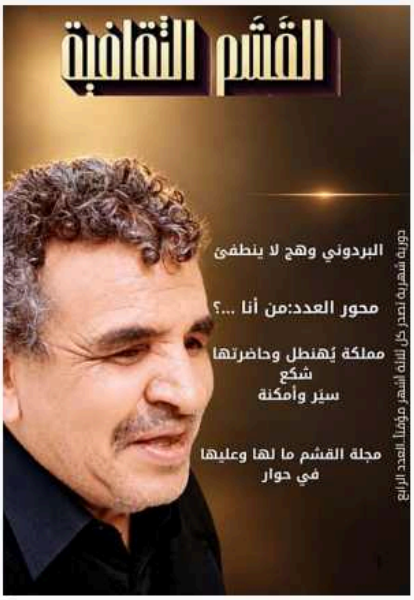
وفي النهاية أجد أن الكلمة المقروءة ستبقى الأكثر أهمية بين الكلمات المسموعة أو المرئية، بسبب أثرها الذي يستقر ويثبت في تفاصيله، وستبقى المجلة المطبوعة ذات أهمية خاصة بين وسائل الإعلام الأخرى...

آملًا أن تبقى قنوات الاتصال مع القراء مفتوحة... وأن تتعزز ثقتهم بالمجلة.

أشكركم أستاذي على هذه المعلومات القيمة ... وأتمنى لكم النجاح والتوفيق والتألق.وأعد القراء أنه سيكون لنا لقاء قادم معكم، سنعقد فيه مقارنة بين الواقع الذي صار شاهدًا علينا، والطموح الذي نأمل بلوغه ... بين ما وعدنا به قراءنا وما استطعنا تحقيقه بالفعل.
نودعكم على أمل اللقاء القادم.


القَشَم الثقافية
العدد (1)


القشم الثقافية
سيدة الضالع


القَشَم الثقافية
البردوني وهج لا ينطفئ
محور العدد:من أنا ...؟
مملكة يُهنطل وحاضرتها شكع سيَر وأمكنة
مجلة القشم ما لها وعليها في حوار


القَشَم الثقافية
العدد (2)


القشم الثقافية


القَشَم الثقافية

الإبداع في كل الجوانب



إعتدال السقاف

الإبداع ليس مجرد موهبة فنية أو قدرة على الرسم والكتابة، بل هو أسلوب حياة ينعكس في تفاصيلنا اليومية كلها. إنه الطاقة التي تدفع الإنسان إلى تجاوز المألوف، والبحث عن حلول جديدة، وصياغة أفكار مبتكرة تجعل العالم أكثر جمالًا وفاعلية.

الإبداع في الفكر:

الإبداع الفكري هو القدرة على رؤية الأشياء من زوايا مختلفة، وطرح الأسئلة التي لم يجرؤ الآخرون على طرحها. المفكر المبدع لا يكتفي بالإجابات الجاهزة، بل يسعى إلى إعادة صياغة الواقع بما يتناسب مع طموحاته ورؤيته المستقبلية.

(الإبداع هو أن ترى ما لا يراه الآخرون، وتحوّل الفكرة الصغيرة إلى إنجاز كبير)

الإبداع في العمل:

في بيئة العمل، يظهر الإبداع في ابتكار طرق جديدة لإنجاز المهام، وتطوير أساليب تزيد من الإنتاجية وتقلل من الهدر. الموظف المبدع لا يكرر ما فعله بالأمس، بل يبحث عن تحسينات مستمرة تجعل عمله أكثر قيمة وتأثيرًا.

الإبداع في الفن:

الفن هو المرآة الأوضح للإبداع، حيث يترجم الفنان مشاعره وأفكاره إلى لوحات، موسيقى، أو كلمات. لكن الإبداع الفني لا يقتصر على المحترفين؛ فكل إنسان قادر على التعبير عن ذاته بطرق جمالية، سواء عبر الكتابة أو التصوير أو حتى الطهي.

الإبداع في الحياة اليومية:

حتى في أبسط تفاصيل حياتنا، يمكن للإبداع أن يكون حاضرًا! في طريقة تنظيم المنزل، إعداد الطعام، أو التواصل مع الآخرين. الإبداع هنا يعني أن نعيش الحياة بوعي وابتكار، وأن نضيف لمساتنا الخاصة التي تجعل كل يوم مختلفًا ومميزًا.

الإبداع ليس رفاهية، بل ضرورة. إنه ما يمنح الإنسان القدرة على مواجهة التحديات، وتحويل الصعوبات إلى فرص، وجعل الحياة أكثر إشراقًا. فلنحرص جميعًا على أن نكون مبدعين في الفكر، والعمل، والفن، والحياة، لأن الإبداع هو سر التميز والتفرد.

.....

الإبداع حياة

فصلتني بعد أن تركتني

ملاك الشعيبي

فصلتني بعد أن تركتني عاطلًا
وجعلتني كيانًا يعيش إفلاسًا حاصلًا
فآذيت مساري الوظيفي بعدما كان كاملًا
وأحرقت كل أرباحي فبات النماء زائلًا
والآن يا هزائم المشاريع وخيبة الآمال
ويا خذلان المؤشرات في تحليل الأعمال
ويا كلوم العجز وحطام الأصول والأموال
يا قائد الخسائر الفادحة في كل ميدان
ويا غريم الميزانية التي فقدت الاتزان
وساري الديون التي أثقلت الوجدان
يا ألم الهيكلة بعد التسريح والنفي والتجني
ولعنتي الأزلية التي لم تجد استقرارًا يكفي
أهديتني عقدًا ادعيت أنه استثمار طويل الأجل
في الاجتماع الذي قطعت فيه مخصصات الأمل
فهل يهدي الشريك زقومًا من الالتزامات والعلل؟!
كيف لي أن ألتمس لك عذرًا والنقص فيك شامل
وكيف لي نسيان صرخة عيني حينها كالسلاسل؟!
ألا زلت تأمل في تجديد عقد مات وانقضى أجله؟
كلا ما عاد في ميزانيتي سيولة للمجاراة والهبات
لقد امتشقت استقالتي وحل بالمؤسسة الإفلاس
وباتت شركتي مفلسة تعصف بها الهموم والإفلات
بات البستان الذي زرعنا فيه مشاريعنا الواعدة مقبرة سوداء
من الديون الهالكة الراكدة الباطلة
تلك التي كان يعبق منها أريج الأرباح والتشغيل غدت اليوم
تعاني من التصفية ورائحة الرحيل
أذقتني كل أنواع الضربات والخسائر الرأس مالية
ونسيت كل ما جرى حتى في القوانين الضريبية
هرعت إليك بطلب تمويل لينقذ كياني المتخلي
ففصلتني وتمادى مجلس إدارتك في إيذاء أرباحي
والآن بعد الخراب تلوذ بي لتسوية العهد في ثواني
هيهات لدفاترنا هيهات كفاك كذبًا ولا تعاتب
فما عادت تخدعني تلك الأقاليم والمناصب
لست أنت من خسر
أنا من كنت الضحية في الميزانية والحساب
لست أنت من أفلس
أنا من دفنت حية في الديون المتداولة والعذاب
لست أنت من حاول
أنا من بحثت عن جدوى اقتصادية تغلق الأبواب
قتلت مسيرتي المهنية بلا رحمة ولا ملة
وأنا التي وهبت لك رأس المال والمنحة
وصلاحية التوقيع على كل سند وعلة
ملاك الشعيبي

جريح حرب

✍ ابنة الأستاذ
حسن حيدره سعد

في إحدى ليالي يناير الشتوية، وقد صنفت بأنها الليلة الأشد برودة ..! اجتمعت عائلتي في ردهة المنزل. لم نملك مدفأة فقد كانت قلوبنا دافئة بما فيها الكفاية لنخمد الصقيع الذي أدركنا من وراء الباب. ،استعدنا ذكرياتنا الجميلة، وسرحنا بالخيال حتى كاد أحدنا يغشى عليه من كُثرة الضحك ،أطلت النظر في عينيّ أبي ، فقد كان يتأملنا بصمت بينما لم تغادر محياه الابتسامة، وكأن عينيه تخبرنا أنها ممتنة لتلك الجمعة التي أذابت جليد النوى ..

فليخبرني أحدكم بتاريخ اليوم" علمت أن أختي لم تكن تريد التاريخ بل ماجرى في هذا التاريخ. مكنون السؤال كان عميقًا حتى أجابها أخي الذي يكبرني بأعوام ..." اليوم الثالث عشر من يناير" لتصرخ أختي الأخرى: "أووووه إنه العام الأسوء بالنسبة إلينا "

صمت الجميع فجأة، كنت أعلم ماذا حدث في ذلك العام، لكن معلوماتي كانت مقتصرة على حكايات والدتي. لم أعلم التفاصيل الدقيقة من والدي، ولم أتجرأ لأفتح معه موضوعًا كهذا، حتى وإن مضى عليه ٣٧ عامًا .وقفت ليتجه نظري إلى أبي: "فليصمت الجميع إذن ، هذه المرة أود سماع الحكاية من فم الحكاية ، فقد سمعتها مرارًا وتكرارًا من أمي، أود أن تخبرنا تفصيلًا بما جرى يا أبي، حتى لو كانت أمي قد حفظت الحادثة عن ظهر قلب لكنها لم تعشها، فأود سماعها منك " ..

ابتسم أبي وأغمض عينيه وكأنه بدأ يشاهد الأحداث أمامه ويستعيدها بكل دقة: "لا أعلم كيف أبدأ الحكاية ومن أين سأبدأها ؟!"

نظرنا جميعًا إلى أبي وكأننا نخبره: ابدأ بأي حدثٍ شئت فكلنا آذان صاغية ..سرح بفكرهِ بعيدًا ثم قال : كانت تلك الليلة قارسة البرودة وقاسية الأحداث ، الأكثر دموية والتي إن طال بي العمر ، سأظل أتذكر تفاصيلها بدقة ولن يغيب عني شيء،

أنصتنا جميعًا ..وبدأ أبي يستهل الحكاية

عندما نقلت ابنة اختي لإحدى المستشفيات القريبة منا، بالمصادفة في ذلك اليوم لم يتواجد طبيب واحد لإنقاذ حياتها.

الأجواء كانت مشحونة ، لكن لم أدرك ماذا كان يحدث ؟ ازدادت حالتها سوءًا. كان صدرها يعلو ويهبط وتزداد التشنجات. كنت أعلم بقرب أجلها، لكن كما كنت أعدّها إحدى بناتي، لم أستطع تركها هكذا ولم أستطع فعل شيء لها وهي بتلك الحالة ، كان عليّ أن أعود بها إلى المنزل، ثم أعود بها في وقت لاحق ..حملتها وأنا أخطو ببطء خوفًا عليها من اشتداد الرياح ، بينما لا تضع على رأسها سوى وشاحها الذي تستر به رأسها .كانت الشوارع خالية تمامًا من البشر. لم يكن بها سوى تلك الأصوات المنذرة ببرودة الشتاء القارس ونباح الكلاب المنتشر على طول الطريق ..

عندما وصلت إلى المنزل كان وقت الظهيرة ، استقبلتنا والدتكم التي كانت بانتظارنا، لتسألني عماحدث و أخبرتها بعدم وجود الأطباء، وبما أشعر به من أن هناك شيئًا مريبًا يحدث !

دخلت إلى حجرتي باحثًا عن زيي العسكري حيث تركت ابنة أختي ملقاة على السرير وحالتها تزداد سوءًا في كل دقيقة مع هبوب الرياح الباردة وكان في صوتها أنين من قسوة الشتاء .

وقفت والدتكم والأولاد خارجًا في فناء المنزل ينتظرون أن أملي لهم ماحدث، لكني لم أزد لهم كلمة واحدة عما قلته ..!

بعد بضع دقائق دخلت والدتكم عليّ وأنا لازلت أرتدي زيي العسكري : " أين ستذهب ؟!" قالتها بتهكم ! صمت لم أجبها كما اعتدت دائمًا ..

لتعد لي السؤال مرة أخرى: "أين ستذهب أخبرني !؟"

خرجت بعدها، لتقف في بوابة المنزل محاولة منعي من الخروج ..

" قد رأيت أن هناك شيئا ما يحدث، لماذا تود المخاطرة بنفسك ؟ "

وقفت وقد لمحت بعينيها لمعانًا ، كنت أعلم يقينًا أن عينيها ستمطر لا محالة "سأذهب حيث أقسمت أن أفي بوعدي لهذا الوطن" أبعدت يديها ومضيت.

كنت أسمع صراخها، لكن كان هناك شيء ما بداخلي يخبرني بالمضي دون أن أسمعها .

استوقفت سيارة لتقلني إلى مكان عملي، كانت الأماكن خاوية تمامًا. و لو لم أشاهد الغربان في أعلى البنايات لأدركتُ أني في مدينة أشباح ..!

وصلت إلى مكان عملي، ليخبرني القائد أني وبرفقة آخرين بجانبي سنقف في منطقة ما للحراسة ، بعد أن علمت ماحدث ..

لم أخف ولو لثوانٍ، فقد أدركت منذ طفولتي طالما أني اخترت طريق التجنيد فلابد أن أستبعد الخوف والهلع من قاموس حياتي، فأنا في يوم ما.. في ساعة ما.. سيأتي أجلي لا محالة سواء برصاصة عمياء، أو بلغم مدسوس في الأرض، أو بصاروخ عدو اشتهى جسدي ..وقفنا في تلك المنطقة النائية ..كانت جرداء ..بدأ الليل يسدل ستاره، والظلام كلما اشتد اشتد معه تترسنا بالعدو .كنت أكبر زملائي الاثنين الذين يتناوبان معي، ويجب عليّ حرصًا أن أشد أزرهما فهما لايزالان جديدين على المهنة .

كلما سمعت قرع ركبتي أحدهما تغاضيت وبدأت أسرد لهما القصص لأشرح لهما ما يحدث وما سنلاقيه ..

لم تستر المعاطف العسكرية التي فوقنا ماظهر علينا من طقطقة الأسنان لشدة البرد ، ولم تكفنا القلنسوات أزيز الرياح القاسية، لكن كل شيء لم يزحزحنا عما قدمنا عليه ، كنا نعلم أن المجند في هذا الوطن هو مشروع شهيد لا محالة، فعلينا الالتزام ولو أكلت الرياح أجسادنا .بعد كم القصص التي ألقيتها عليهم ، أخبرتهما اني أود قضاء حاجتي ، و أخبرتهما أني سأنطلق من هذه الجهة ليهزا برأسيهما موافقين.

بعد ان أكملت قضاء حاجتي في مكان ناء عن منطقة الحراسة ،عدت لهما من الوجهة نفسها التي أخبرتهما بها ..

عندما اقتربت منهما لم أشعر سوى بذخيرة كاملة اخترقت جسدي في جميع الأماكن خصوصًا الشق الأيسر منها ..

أحسست بدخول الرصاصات إلى جسدي كوخزة إبرة، أو كلسعة نحلة. وكأن جسدي سرى به خدر كي لا أشعر بشيء..! "

أصابنا الذهول من شدة وصفه شعور الإصابة بالطلقات النارية.

انتبه لجحوظ أعيننا وبعض من لا يعرف هذهِ القصة تبادل النظرات مع الآخر حتى أعدنا النظر إليه جميعاً ، وكأننا نخبره أكمل ..!!!بتسم لهول ماظهر على ملامحنا ، أخذ فنجان الشاي الذي أمامه وارتشف رشفة ثم أعاده إلى مكانه ليسترسل بالحكاية من حيث انتهى.

"نعم لا أعلم عدد الرصاصات التي اخترقت جسدي ، كانت أكثر الإصابات في الفخذ الأيسر وماتحته وبعضها الآخر اخترقت يدي اليسرى وما أعلاها .

حاولت رفع يدي لأشير لهم بكفي أني صديقكما ولست العدو مع صوت بدأ واهنًا باهتًا جريحًا يخبرهما بكمية الجراح التي بي، فلم يصل إليهما صوتي فأطلقا بالرصاصات اتجاهها حتى أحدثوا فجوة في وسط كفي .سقطت على الأسفلت ، ركضا باتجاهي ليسقط أحدهما وهو يتراجع بقدميه إلى الوراء باكيا من هول ما حدث ..!

أما الآخر فقد كان يصرخ بشدة من الخوف واضعًا يديه على رأسه: " لقد أصبنا رفيقنا ، يا الله لقد أصبنا رفيقنا !!!

كنت مرميًا على الأرض منكبًا على وجهي أسمع اصواتهما فلازلت أعي مايحدث ..

رفعني زميلي الذي كان يصرخ واضعاً رأسي على حجره ويصرخ على الجندي الجديد الذي لازال مذهولًا مما حدث "أحضر الماء !"

ركض مسرعًا وكأنه بدأ يستوعب مايجري وأحضر ، الماء.

شربت الماء ، ولازلت متمددًا على فخذيه ، منتظرين أية أداة نقل لإسعافي.

كانت الطريق توحي بانعدام المواصلات، وخُلُوّها من أي عابر.

بقيت على حالتي تلك ردحًا من الوقت، حتى مرت سيارة سوداء بها رجلان توحي ملامحهما أنهما خائفان منا.

قال أحدهما: " ماذا هناك؟ " بعد أن اشتدت نبرة صوته ..!

ليرد الذي بقيتُ مستلقياً على فخذيه : "هناك شخص مصاب ، أرجوكما حاولا نقله إلى أي مشفى قريب.

التتمة:العدد القادم .

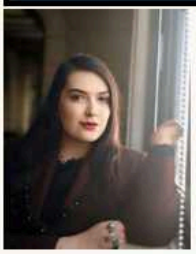
من أنا؟ ...

سؤال في مآلات الهُوية الذاتية، بين جدلية الجذور الحتمية الموروثة، والتطعيمات المكتسبة.

ليس من أهداف هذا السؤال الدعوة إلى التفكيك أو التنكّر أو الجفاء لجذور الأنا، إنما للحثّ على تعديل خوارزميات الانحراف التي أصابتها، وعلى صنع التغيير، وإضافة علامة التميّز على البصمات الثابتة، بتوظيف المكتسبات الثقافية الطارئة، التي ترفع صاحبها من هامش اللوحة الإنسانية إلى صدرها.

كيف ننسج قماشة هذه الإجابة؟





أنا العربية أنا هنا الآن

د . وفا نسيب المهتار



مَنْ أَنَا؟ أَمْ مَنْ صِرْتُ؟حين تلتقي جذورنا بما نكتسبه من العالم

تغريد بومرعي



ما الذي أصبح أجمل لأننا مررنا من هنا؟

بدور عبدالباقي العطار



نحتُ البصمة لا نفي الجذور

وليد المزارع الشعيبي

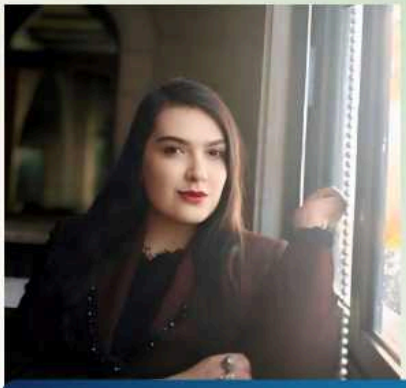


من أنا؟

محمد وليد السبعي

محور العدد

أنا العربية أنا هنا الآن



د.وفا نسيب المهتار

أنا هنا الآن، أقف على تخوم الكلمة، أبحث عن المعرفة الّتي تمنح "أناي" مساحة الوجود الحَقّ في عالم لا يُخلّد إلّا أصحاب الأثر، ولا يعترف إلّا بالبصمات الّتي تحفر مجراها في صخور الزمان. أقف الوقفة الّتي تتأمل فيها الذّات صيرورتها، لتُعلن انحيازها الكليّ للإنسان العربيّ وهو يخوض جدليته الخالدة بين أصل يُناديه من الأعماق، ووافد يزاحمه على حلبة الوعي.

أنا هنا الآن، أفتح النّوافذ على مداها الفسيح، علّنا نبصر كيف تتشكّل هويتنا في هذا الفضاء المُتلاطم؛ حيث تستوي العروبة جوهرًا ثابتًا لا ينال منه التحوّل، ويتلألأ الشّعر في منازله الذهبيّة شاهدًا على إشراقة الرّوح العربيّة وصوغها للعالم بوزن ثابت لا يحيد عن قواعده الخليليّة.

أنا هنا الآن الباحثة على دروب الحقيقة لأنّ ذاتي أبت إلّا أن تنتقي من عصر العولمة ما يُلائم فطرتها، وتتخيّر من قطرات المطر العالميّ الوافد ما يُنعشها ويزيدها حياة، دون أن تفقد بوصلة الانتماء، بتمسّكها بالإرث الشّعبيّ، وبالجذور الّتي تغوص في عمق التربة التاريخيّة، مُعلنةً رفض الانفصال عن حكايات الأمهات، وأمثال الآباء، وعِبَر الأجداد.

أنا هنا الآن لأُحصّن اللّغة والكلمة، وأضعها في مسكنها الوجوديّ الحقيقيّ برؤية معرفيّة تُدرك أبعاد الزوايا العلميّة؛ لتُطعم الحاضر بوعي الجذور، وتستشرف المُستقبل بثقة الانتماء.

أنا الشّعر في منازله الذّهبيّة-

أقف على أطلال القصيدة العربيّة الكلاسيكيّة لا لأبكي غيابها، لأنّها لن تغيب ما دُمنا نتذكر فيها جوهر الوزن الإبداعيّ على إيقاع أنغام النُّظم الّتي جعلت العقل البشريّ يتفتح وعيًا، ليكون هذا النظم "ميزان الشّعر"(1)، والميزان الحاكم لفطرة الكلمة الّتي هيأت لها البيئة العربيّة العقول الصّافية قولًا وحفظًا وإبداعًا، ولذا ما زلنا نُحب فيها ارتباطا بماضٍ شكّلت فيه القصيدة المعيار الذّهبي للتطور العربيّ في البادية.وهذه الهندسة الصوتيّة الأولى صاغت وجدان الأمّة، وشيّدت منازل العطاء الذهبيّ على أركان التفعيلة لتبقى القصيدة الحارس الأمين لسر والسّبائك النّحوية المُتماسكة الّتي تقاوم التفتت اللّغويّ، والّتي لقيت "اهتمامًا كبيرًا من اللّغويين لكونها الدّعامة الأولى لهم" في وضع القواعد(2). ولذلك نجد كتب الشّواهد تحوي شعر الأقحاح، ولا غنى لنا عن هذه الدّرر النّفيسة لضبط اعوجاج الألسن مع غزو العربيزيّة يومياتنا..

ولذا أدعوكم لأن نكون جميعًا هنا الآن، نتغنى بعقولنا الحديثة بشعر القدماء، لتتجدّد الدّماء في شرايين الحياة العربيّة، لكون القصيدة كالنهر السّرمدي الّذي يغسل عن أردية العصر هجنة المفردات، واهتراء المعاني، وبهذا نُعيد للذائقة العربية طهارتها الأولى بطاقة شعورية خالدة، تُجدّد العهد بين بلاغة الماضي وإشراقة الحاضر؛ وهو ما نعوّل عليه في تعزيز البرامج الثّقافيّة.

أنا في عصر العولمة-

صاحبة الثّقافة الانتقائيّة

أنتقي؛ لأنّ في الانتقاء وعي الاختيار القائم على عنصر المُلائمة بين ما تقبله الثّقافة الموروثة في طينتها وجوهرها، وبين وافد قد يُناسبني وقد لا يُناسبني؛ إذ تُشكّل هذه الغربلة الحصن الفكريّ المنيع الّذي يمنع الذّات من الذوبان في القوالب الجاهزة. وفي هذا الفضاء المفتوح، أدعو إلى التّعامل مع أدوات العصر بوعي؛ فلنتخذ من منصات التواصل كـ "الفيسبوك"، و "تليغرام"، وتيك توك" جسورًا لنشر الفكر العربيّ، وتعميق الأثر الإنسانيّ، ولنستدعي تقنيات الذّكاء الاصطناعيّ في التصحيح والتنقيح كخادم يصقل النّص، ويُهذّب الصّوغ دون أن يسطو على روح الكاتب أو يُلغي طابعه الوجدانيّ.

دعوتي لكي لا نكون مُنخرطين في العصر أكثر من الانخراط في وعينا الّذي يُوجه هذا العصر، ويضبط إيقاعه؛ إذ يكمن الرّهان الحقيقيّ في أن نتحكم بابتكارات الزّمن ونُسخّرها لخدمة قضايا الرّوح، لا أن تتحكم هي بنا وتستنزف أعمارنا، فتشغلنا عن ذواتنا وأنفسنا. وبهذا السّلوك الانتقائيّ، تُصبح العولمة مساحة للإثراء لا للاندحار، وتتحول التقنيّة إلى خادمة في محراب الهوية، ليظلّ العقل العربيّ هو السّائد على أدواته، والحارس لخصوصيته الوجدانيّة في وجه طوفان التنميط العالمي.

-أنا عاشقة الإرث الشّعبيّ والمتمسّكة بالجذور والهويّة

لا بدّ من فهم أدبنا الشّعبي فهمًا ينصفه بدلًا من النّظر إليه نظرة قاصرة لا تُشبه جوهره؛ لأنّ فيه مخزوننا المعرفيّ الموثق لإرثنا الحضاريّ، وهو الأقرب إلى ذواتنا بتفاصيله الدّقيقة وحكاياته الّتي تختزن طينتنا الأولى. والعبرة الحقيقية في صون هذا الأدب تكمن في كونه صونًا مباشرًا للهوية ذاتها؛ إذ يُمثّل صوتها الحيّ النّابض الّذي لا يزول، والصّادح بالحقيقة في وجه رياح المحو؛ فجذوره أنفاس سرمديّة تسري في أوصال التراث رابطةً شتات الوعي المعاصر بأصله، ومانحةً الفرد حصانة وجدانية تقيه الاغتراب؛ لتبقى الحكاية الشّعبيّة والمأثورة القادمة من صدق البسطاء قولًا وفنًا وفكرًا(3) هي المرآة الّتي تُبصر فيها الأمة وجهها النّاصع، وتستمد منها قوة البقاء واستقامة المسار عبر العصور، مُتحدّية بذلك الانهيار القيميّ(4)

-أنا اللّغة والكلمة الجوهريّة

قداسة العربيّة تكمن في أنّها لغة القرآن الكريم الّذي أُنزل عربيًا على العقل العربي لِيَعْقِلَهُ؛ إذ خاطب الله -عزّ وجل- الإنسان بالكلمة، وعلّمه بالقلم ما لم يعلم، مُكرسًا القيمة الوجودية للبيان كوسيلة كبرى للمعرفة والإدراك. و"إن اختيار لغة العرب لينزل بها آخر كتب الله تعالى للإنسان، على تعدد لغات البشر واختلاف ألسنتهم، يشير إلى فضيلة بيانيّة جامعة امتاز بها اللّسان العربيّ على كل لسان" (5).

ولذا تبرز حاجتنا العميقة إلى لغة القرآن الكريم الّتي تُهذب النّفوس، وتوجّه البشر نحو الخير بكلّ ما أمر به تعالى، وتنهاهم عن الشّر بوعي يقينيّ، يربط القول بالفعل البيانيّ للغة هي الأكثر قدرة على تهذيب الرّوح وصقل الوجدان، عَبْر الكلمة الجوهريّة الّتي تُمثّل حصنًا حصينًا يعصم الفكر من الشّتات، ويثبت أركان الهوية في أنقى تجلياتها الإيمانيّة والإنسانيّة.

-أنا الإضافة العلميّة والزاوية المعرفيّة

أنا هنا الآن أتطوّر، وأطوّر ذاتي ببحثي عن المعرفة الّتي إن بقيت جامدة أدخلتنا قبور الفناء، وإن ارتوينا بمرتكزاتها لنواكب التجديد جعلتنا الأحياء المنافسين في هذا العالم؛ إذ يكمن جوهر البقاء الحضاري في حركة العقل المستمرة، وقدرته على تجديد دماء الفكر دون تنكر للأصول الّتي لا بدّ من العودة إليها في بحوثنا، مُعتمدين منهجًا يصقل الذّات عبر الإقبال الصّادق على العلم؛ إقبال المُشتهي لوجبة طعام شهيّة، يأخذ منها الفكر مقدار ما يحتاجه كي ينمو باعتدال مُتزن، فلا يُنهكه الحرمان المعرفي، ولا تصيبه تخمة الفائض العشوائيّ من وافد الأفكار. إنها الزاوية المعرفية الّتي تزن الابتكار ببدائع الموروث، لتقديم إضافة علميّة تجعل من الذّات الفاعلة رقمًا صعبًا في معادلة الحاضر، وحاضرة بوعي يُتقن الأخذ والعطاء دون ذوبان وجمود.

لائحة المصادر والمراجع

حسب ورودها في المتن:

1-عبد العزيز عتيق، علم العروض والقافية، بيروت: دار النهضة العربيّة، د.ت.، ص 7.

2-أحمد مختار عبد الحميد عمر، البحث اللّغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب، ط8، 2013، ص 43.

3-فاروق خورشيد، عالم الأدب الشّعبي العجيب، القاهرة: دار الشّروق الأولى، ط1، 1991، ص 8.

4-ينظر: مرسي الضّباغ، دراسات في الثّقافة الشّعبيّة، الإسكندريّة: دار الوفاء، 2000، ص 7.

5-عدنان محمد زرزور، مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، بيروت: دار القلم، ط2، 1998، ص11.



مَنْ أَنَا؟ أَمْ مَنْ صِرْتُ؟ حين تلتقي جذورنا بما نكتسبه من العالم

تغريد بو مرعي

ثمة سؤال يبدو قصيرًا حين ننطقه، ثم يتسع كلما حاولنا الإجابة عنه: من أنا؟

قد نجيب باسمنا، ثم نكتشف أن الاسم لا يكفي. وقد نذكر وطننا، فنكتشف أن الوطن جزء من الحكاية. وقد نتحدث عن لغتنا، وثقافتنا، وديننا، وذاكرتنا، وأسرتنا، فنجد أن كل واحدة من هذه الأشياء تفتح بابًا جديدًا للسؤال.

فمن أنا إذن؟

هل أنا الإنسان الذي وُلد في مكان محدد، ونشأ في أسرة محددة، وحمل لغة لم يخترها، وورث ثقافة سبقت وجوده؟ أم أنا الإنسان الذي صنعته السنوات، وشكلته التجارب، وغيّرت ملامحه المعرفة، ووسّعت رؤيته أسفارٌ وأشخاصٌ وكتبٌ وأمكنةٌ لم تكن موجودة في حكايته الأولى؟ أم أنني كل ذلك معًا؟ربما لا توجد هوية تبدأ من الصفر، كما لا توجد هوية تتوقف عند نقطة البداية. نحن نأتي إلى الحياة محمّلين بجذور لم نخترها. نولد في وطن، وبين أهل، وفي لغة، وداخل ثقافة لها ذاكرتها الخاصة. نرث أسماءنا، وملامح من عاداتنا، وطريقة أولى في النظر إلى العالم. نسمع الحكايات التي سبقتنا، ونحمل في وجداننا شيئًا من تاريخ العائلة والمكان، حتى قبل أن نعرف معنى التاريخ.هذه هي الجذور.... الجذور التي تمنحنا أول تعريف لأنفسنا. الجذور التي تقول لنا: من أين جئت؟ لكن الإنسان لا يعيش داخل جذوره وحدها. فما إن يبدأ وعيه بالنمو حتى يبدأ العالم من حوله في إضافة خيوطه إلى نسيج هويته. المدرسة تضيف خيطًا، والكتاب يضيف آخر، والصداقة تفتح نافذة، والسفر يغيّر زاوية النظر، واللغة الجديدة توسّع مساحة التفكير، والحب يترك أثرًا، والفقد يعيد ترتيب الأشياء، والمعرفة تهدم أحيانًا جدارًا أقامه الجهل سنوات طويلة. وهنا تبدأ التطعيمات المكتسبة. تلك التي لا تأتي معنا إلى الحياة، بل نلتقي بها في الطريق. قد تكون فكرة، أو لغة، أو ثقافة، أو تجربة، أو معرفة، أو إنسانًا، أو مكانًا.

وقد تكون لحظة واحدة غيّرت مسار العمر كله.لهذا، فإن الهوية ليست حجرًا صلبًا نولد به ونظل نحمله كما هو حتى النهاية. إنها كائن حي، يتشكل وينمو ويتغير، مع احتفاظه بشيء عميق من أصله.

وقد شغل سؤال الذات والهوية الفكر الإنساني منذ العصور القديمة. ففي الفلسفة اليونانية ارتبطت الحكمة بمعرفة الإنسان لنفسه، وجاءت العبارة الشهيرة المنسوبة إلى سقراط: «اعرف نفسك»، لتصبح مفتاحًا لرحلة طويلة نحو الداخل.

فالإنسان الذي يعرف العالم ولا يعرف نفسه، قد يمتلك الكثير من المعلومات، لكنه يظل غريبًا عن أكثر الأشياء قربًا منه: ذاته.

وعند أفلاطون، احتلت النفس مكانة مركزية في فهم الإنسان، وارتبطت معرفة الذات بالبحث عن الحقيقة والخير والعدالة. أما أرسطو فقد نظر إلى الإنسان بوصفه كائنًا عاقلًا واجتماعيًا، يتشكل وجوده داخل علاقاته بالمجتمع والمدينة والقيم.

ثم جاء ديكارت ليضع الوعي في قلب سؤال الذات، حين جعل التفكير طريقًا إلى اليقين بالوجود. فالإنسان، في لحظة الشك، يكتشف أنه موجود لأنه يفكر، وأن وعيه بذاته يمثل نقطة انطلاق في رحلة معرفة الحقيقة.

أما ديفيد هيوم فقد دفع السؤال إلى منطقة أكثر تعقيدًا، حين رأى أن الإنسان حين يبحث داخل ذاته لا يعثر على «أنا» ثابتة منفصلة عن التجارب، بل يجد مجموعة متتابعة من الأحاسيس والانطباعات والأفكار والذكريات.

وكأن الذات، وفق هذا التصور، ليست صورة واحدة معلقة على جدار الزمن، إنما سلسلة من الصور التي تتغير باستمرار، مع وجود خيط خفي يجعلنا نشعر أننا الشخص نفسه.

وفي العصر الحديث، ارتبط مفهوم الهوية عند إريك إريكسون بالنمو النفسي والاجتماعي، ورأى أن الإنسان يمر بمراحل متعددة يعيد خلالها تشكيل صورته عن نفسه وعن علاقته بالآخرين والمجتمع.

وهكذا، يبدو أن الفلسفة وعلم النفس، كل علم من زاويته، يلتقيان عند فكرة أساسية: الإنسان مشروع يتشكل عبر الزمن.

وهذا المعنى يجد صداه أيضًا في القرآن الكريم، حيث يحضر مفهوم النفس حضورًا عميقًا، ويُدعى الإنسان إلى النظر في ذاته ومسؤوليته عن مساره.

يقول تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾.[1]

إنها دعوة إلى الوعي بالنفس، وإلى إدراك أن الإنسان يحمل في داخله إمكانات متعددة، وأن له دورًا في تهذيب ذاته والارتقاء بها.

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.[2]

في هذه الآية مساحة واسعة للتأمل في قدرة الإنسان على التغيير. فهناك ما نولد به، وهناك ما نكتسبه، وهناك ما نختاره، وهناك ما نستطيع أن نعيد تشكيله.والهوية، في هذا السياق، ليست قدرًا مغلقًا.

إنها مسؤولية أيضًا. فأنا لا أختار أين ولدت، ولا أختار اللغة التي سمعتها أول مرة، ولا العائلة التي فتحت لي باب الحياة، ولا التاريخ الذي سبقني. هذه كلها بدايات أُعطيت لي. غير أنني، مع مرور الوقت، أبدأ في اختيار أشياء أخرى. أختار ما أقرأ، أختار ما أتعلم، أختار الأشخاص الذين أسمح لهم بالدخول إلى عالمي، وأختار الأفكار التي أحتفظ بها، وتلك التي أتركها بعد أن أكتشف أنها لم تعد تشبه الإنسان الذي أصبحت عليه.

وهنا تبدأ المسافة بين الهوية الموروثة والهوية التي نصنعها.

ولعل هذه المسافة هي أكثر المناطق حساسية في حياة الإنسان. فالجذور تمنحنا الانتماء، والمكتسبات تمنحنا الاتساع. الجذور تقول لنا: من أين جئت؟ والمعرفة تسألنا: ماذا فهمت؟ والتجربة تسألنا: ماذا تعلمت؟ والزمن يسألنا: ماذا أصبحت؟

وقد يكون الإنسان في حاجة إلى هذه الأسئلة كلها كي يصل إلى صورة أكثر صدقًا عن نفسه.

فالإنسان الذي يرفض جذوره كلها قد يفقد جزءًا من ذاكرته، والإنسان الذي يرفض كل ما يأتي من خارج جذوره قد يحرم نفسه من النمو. بين الطرفين توجد مساحة رحبة اسمها الوعي. هناك، يستطيع الإنسان أن يحب جذوره دون أن يتحول إلى أسير لها، وأن ينفتح على العالم دون أن يفقد نفسه.ولعل تجربتي في الحياة بين أكثر من مكان، وأكثر من ثقافة، وأكثر من لغة، تجعلني أرى سؤال الهوية من زاوية مختلفة.

حين يعيش الإنسان في وطنه، قد يظن أن هويته واضحة وبسيطة. لكن حين يغادر المكان الأول، ويحمل ذاكرته إلى مكان آخر، يبدأ في اكتشاف طبقات جديدة من ذاته. يأخذ وطنه معه، يحمل لغته معه، يحمل رائحة البيوت الأولى، ووجوه الذين تركهم خلفه، وأسماء الشوارع، وأصوات الطفولة، وذاكرة الأمكنة. ثم يدخل إلى عالم جديد.هناك، يتعلم أن ينظر إلى نفسه من الخارج. يكتشف أن لغته التي كانت طبيعية في وطنه أصبحت جسرًا يحتاج إلى العبور. ويكتشف أن العادات التي كانت بديهية في طفولته قد تبدو غريبة في مكان آخر. ويكتشف أن الإنسان قادر على أن يعيش أكثر من حياة ثقافية في قلب واحد. وهنا لا تعود الهوية سؤالًا عن وطن واحد فقط. تصبح سؤالًا عن القدرة على حمل أكثر من وطن في الذاكرة.

قد يكون الإنسان لبنانيًا ويعيش في البرازيل، وقد يكون عربيًا ويكتب بلغة أخرى، وقد يحمل ثقافة نشأته ويضيف إليها ثقافة المكان الذي احتضنه. قد يتحدث العربية، ويتعلم الإيطالية، ويتعامل مع البرتغالية، ويقرأ بالإنجليزية، ثم يجد نفسه قادرًا على رؤية العالم من أكثر من نافذة .هل يعني هذا أنه فقد هويته؟ أم أنه اكتشف أن الهوية أوسع مما كان يعتقد؟

أنا أميل إلى الاعتقاد بأن الإنسان لا يفقد نفسه حين يتعلم من العالم، ما دام يعرف جذوره ويعي قيمه ويختار بوعي ما يضيفه إلى كيانه. فاللغة الجديدة لا تمحو اللغة الأولى.

والوطن الجديد لا يلغي الوطن الأول. والثقافة التي نكتسبها لا تستدعي بالضرورة طرد الثقافة التي نشأنا عليها.

يمكن للإنسان أن يضيف دون أن يمحو. أن يتسع دون أن يتلاشى. أن يتغير دون أن ينكر بدايته. وهنا تشبه الهوية شجرة تُطعَّم بأغصان جديدة. الجذر واحد، غير أن الأغصان قد تمتد في اتجاهات كثيرة.

وقد تحمل الشجرة ثمارًا لم تكن موجودة في بدايتها. فهل أصبحت شجرة أخرى؟لا. لقد أصبحت شجرة أكثر غنى.

وهكذا الإنسان. قد يحمل في داخله وطنين، وثلاث لغات، وذاكرة متعددة، وتجارب لا تشبه بعضها الآخر. ومع ذلك يستطيع أن يكون أكثر صدقًا مع ذاته من شخص لم يغادر حدود المكان الذي ولد فيه، لأن الهوية ليست عدد الأوطان التي عشنا فيها، ولا عدد اللغات التي نتحدث بها، ولا عدد الثقافات التي عرفناها. الهوية هي الطريقة التي نجمع بها هذه العناصر كلها داخلنا، ونمنحها معنى.وهنا يأتي سؤال آخر أكثر عمقًا: هل نحن أبناء ما ورثناه، أم أبناء ما اخترناه؟ ربما نحن الاثنان. نحن أبناء البداية، وأبناء الطريق، أبناء الذاكرة، وأبناء التجربة، أبناء المكان الذي فتح لنا باب الحياة، وأبناء الأماكن التي علمتنا كيف نرى الحياة من جديد. لقد ورثنا جزءًا من أنفسنا، ثم بدأنا نكتب الجزء الآخر. وربما هنا تكمن مسؤوليتنا الكبرى. أن لا نعيش حياتنا بوصفنا نسخة مكررة من ماضينا وأن لا نرمي ماضينا كله في البحر بحثًا عن مستقبل مجهول.

أن نعرف ما الذي يستحق أن نحمله معنا، وما الذي يحتاج إلى مراجعة، وما الذي يستحق أن نضيفه. فالهوية الناضجة لا تخاف من السؤال ولا تخشى المعرفة ولا ترى في الاختلاف تهديدًا.

إنها تعرف أن الإنسان يستطيع أن يلتقي بالآخر دون أن يفقد نفسه، وأن يتعلم من ثقافة أخرى دون أن يتخلى عن ثقافته، وأن يعيش في وطن جديد دون أن يمحو وطنه الأول من قلبه.

وقد يكون أجمل ما في الهوية أنها لا تكتمل. كلما ظننا أننا عرفنا أنفسنا، جاءت تجربة جديدة لتكشف لنا جانبًا لم نكن نعرفه. كلما ظننا أننا وصلنا، اكتشفنا أن الطريق ما زال طويلًا. فالطفل الذي كنتُه ما زال يعيش في داخلي، والمرأة التي أصبحتُها تحمل شيئًا من ذلك الطفل، والأماكن التي عشت فيها تركت ظلالها على روحي، واللغات التي تعلمتها غيّرت طريقة رؤيتي للعالم، والكتب التي قرأتها أضافت أصواتًا جديدة إلى صوتي، والناس الذين التقيتهم تركوا علامات متفاوتة في ذاكرتي.

كل ذلك صنعني. ومع ذلك، لا أستطيع أن أقول إنني انتهيت. فأنا ما زلت في طور التشكل، وما زالت هناك أشياء لم أتعلمها، وأماكن لم أصل إليها، وكتب لم أقرأها، وأفكار لم أكتشفها. وربما هذا هو أجمل ما في الإنسان: أنه يستطيع أن يواصل صناعة نفسه.

من هنا، قد يكون سؤال «من أنا؟» أقل أهمية من سؤال آخر:

«من أريد أن أصبح؟»

فالسؤال الأول ينظر إلى الماضي، أما الثاني فيفتح نافذة على المستقبل. أنا لا أستطيع أن أختار الجذور التي بدأت منها، لكنني أستطيع أن أقرر كيف أنمو. لا أستطيع أن أكتب الصفحة الأولى من قصتي، لكنني أستطيع أن أختار ما أكتب في الصفحات التالية. لا أستطيع أن أغير كل ما ورثته، لكنني أستطيع أن أقرر ما الذي سيبقى مني للأجيال القادمة.

وهنا، في رأيي، تتجلى قيمة «التطعيمات المكتسبة»، فهي ليست زينة نضيفها إلى الهوية من الخارج، وليست محاولة للهروب من الجذور، إنها عملية نمو واعية تجعل الإنسان قادرًا على تجاوز حدود ما وُضع فيه منذ البداية.

المعرفة تطعيم، اللغة تطعيم، السفر، الحوار، القراءة، الحب والتجربة تطعيم. وكل مرة نخرج فيها من قوقعة المألوف لنرى العالم بعين جديدة، نضيف غصنًا إلى شجرة ذواتنا. لكن هذا الغصن لا يعيش طويلًا إذا لم تكن له جذور. لهذا، فإن الهوية الأكثر توازنًا هي التي تجمع بين العمق والاتساع، بين الجذر والغصن، بين الذاكرة والمستقبل، بين ما ورثناه وما اخترناه، بين الوطن الذي يسكننا، والعالم الذي نسكنه.

وهكذا، حين أسأل نفسي اليوم: من أنا؟ لا أجد إجابة واحدة. أجد وطنًا أولًا، وأجد أوطانًا أخرى احتضنتني، أجد لغة ولدت معي، ولغات جاءت لاحقًا. أجد ثقافة زرعت في داخلي بذورها الأولى، وثقافات أخرى أضافت إلى روحي ألوانًا جديدة. أجد ماضيًا لا أريد أن أنكره، ومستقبلًا لا أريد أن أخشاه. أجد جذورًا تمتد عميقًا في الذاكرة، وأغصانًا تحاول الوصول إلى الضوء.

وعند هذه النقطة، أدرك أنني لست فقط ما ورثته ولست فقط ما اكتسبته. أنا المساحة التي التقى فيها الاثنان. أنا الحكاية التي بدأت قبل أن أولد، ثم أخذت قلمي لأكتب فصولها التالية. لذلك، ربما لا يكون السؤال الحقيقي: من أنا؟ بل: ماذا صنعتُ بما ورثت؟ وماذا سأصنع بما اكتسبت؟

فقد لا يملك الإنسان اختيار جذوره، لكنه يملك فرصة أن يجعل منها أرضًا صالحة للنمو، وقد لا يملك اختيار نقطة البداية، لكنه يستطيع أن يختار الاتجاه، وقد لا يستطيع أن يكتب أول سطر في حكايته، لكنه يستطيع أن يترك في السطور التي تليه علامة تميّزه. وفي النهاية، ربما تكون الهوية أجمل حين لا تكون قفصًا يحبسنا في الماضي، ولا قناعًا نرتديه لنشبه الآخرين.

ربما تكون الهوية شجرة، جذورها في الأرض وأغصانها في الهواء، وثمرتها في المستقبل. فمن أنا؟

أنا كل ما ورثته، وكل ما تعلمته، وكل ما قاومته، وكل ما أحببته، وكل ما اخترته.

أنا جذوري التي لا أنكرها، وأغصاني التي لا أخاف أن تمتد. أنا ذلك الكائن الذي بدأ من مكان، ثم اتسع حتى صار يحمل في داخله أكثر من مكان.أنا ما كان وما هو كائن وما أطمح أن أصبح.فما دمت أتعلم، وأتغير، وأراجع نفسي، وأفتح قلبي للمعرفة، وأحفظ لجذوري مكانها دون أن أمنع أغصاني من النمو، فإن هويتي ليست نهاية وصلت إليها.

إنها رحلة مستمرة، رحلة تبدأ من الجذور... وتتجه نحو الضوء.

الهوانش والمراجع

[1] القرآن الكريم، سورة الشمس، الآيات 7-10.

[2] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11.

[3] القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13.

[4] أفلاطون، الجمهورية، ترجمة فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ضمن مباحث النفس والعدالة وطبيعة الإنسان.

[5] أرسطو، في النفس، ترجمة أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية.

[6] رينيه ديكارت، تأملات في الفلسفة الأولى، التأمل الثاني، حول الذات المفكرة واليقين بالوجود.

[7] ديفيد هيوم، مبحث في الطبيعة البشرية، الكتاب الأول، مباحث الهوية الشخصية.

[8] إريك إريكسون، الهوية: الشباب والأزمة، من الأعمال الأساسية في دراسة الهوية النفسية والاجتماعية ومراحل تشكلها.

[9] القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية 11، في سياق التغيير المرتبط بما في النفس.

[10] القرآن الكريم، سورة الحجرات، الآية 13، في سياق التنوع الإنساني والتعارف بين الشعوب والقبائل.



ما الذي أصبح أجمل لأننا مررنا من هنا؟

بدور عبد الباقي العطّار
خاص: مجلة منتدى القشم الثقافي
العدد الرابع

من أنا؟

لعلّ أكثر الأسئلة حضورًا في حياة الإنسان، هو السؤال الذي ظنّ أنه يعرف إجابته قبل أن يطرحه.

من أنا؟

يبدو سؤالًا بسيطًا، لكنه ما إن يُطرح بصدق حتى تتوارى الإجابة. فنحن نذكر أسماءنا، وأوطاننا، ولغاتنا، ومعتقداتنا، ومهننا، ثم نظن أننا عرّفنا أنفسنا، بينما لا نكون قد وصفنا سوى العالم الذي خرجنا منه. أما الإنسان نفسه، فيبقى أبعد من مجموع الصفات التي يحملها.

ومن هنا يبدأ الالتباس.

فالهوية ليست حقيقةً جاهزة نولد بها، بل بناءٌ يتشكّل باستمرار. نحن لا نولد حاملين الإجابة عن سؤال «من أنا؟»، بل نولد حاملين الشروط الأولى التي ستجعل تلك الإجابة ممكنة.

وهذا يقود إلى سؤالٍ يسبق سؤال الهوية:

هل يرث الإنسان هويته، أم يرث بدايتها فقط؟

للإجابة عن هذا السؤال، لا بد من التمييز بين الجذر والهوية.

فالجذر ليس النسب، ولا الأرض، ولا اللغة، ولا الدين، وإن كان يتجلّى في جميعها. إنه البنية الأولى التي يستقبل بها الإنسان العالم، والعدسة التي يرى من خلالها الخير والشر، والأمان والخوف، والانتماء والغربة، قبل أن يمتلك القدرة على المراجعة والاختيار.

ولهذا لا يرث الإنسان الماضي كما وقع، بل كما وصل إليه. فهو لا يتلقى الوقائع وحدها، بل تأويلها أيضًا؛ يرث ذاكرة الجماعة بقدر ما يرث أحداثها، ويرث الطريقة التي تنظر بها إلى العالم قبل أن يصنع نظرته الخاصة. فالموروث لا ينتقل بوصفه أحداثًا فحسب، بل بوصفه معنى.

لكن الاعتراف بعمق الجذر لا يعني أنه يفسّر الإنسان كله. فلو كان الأصل وحده يصنع المصير، لما اختلف الإخوة الذين نشؤوا في البيت نفسه، وتقاسموا اللغة والطفولة والذكريات ذاتها، ثم خرج كل واحد منهم إلى حياة لا تشبه حياة الآخر.

فمن أين يأتي هذا الاختلاف؟

هنا تبدأ التجربة.غير أن التجربة ليست ما نعبره، بل ما يبقى فينا بعد العبور. فالحدث الواحد قد يصنع مئات المعاني، لأن الذي يغيّر الإنسان ليس ما يحدث له، بل الطريقة التي يفهم بها ما حدث.ولهذا لا تضيف التجربة صفحةً جديدة إلى حياتنا، بل تعيد قراءة الصفحات السابقة. فقد يعود الإنسان إلى طفولته بعد سنوات، فيرى ما كان يقينًا سؤالًا، وما كان جرحًا بابًا للفهم، وما كان نهايةً بدايةً لم يكن يراها. الماضي لا يتغير، لكن الإنسان الذي يعود إليه لم يعد الإنسان نفسه.وهذا ما عبّر عنه الفيلسوف الألماني «هانس غادامير» حين رأى أن الفهم ليس نتيجةً نهائية، بل أفقًا يتسع مع كل تجربة جديدة. فكل خبرة، لا تمنحنا معرفةً جديدة بالعالم فحسب، بل تعيد تشكيل علاقتنا بما ورثناه. والتأويل، بهذا المعنى، ليس قطيعةً مع الجذر ولا خضوعًا له، بل حوارٌ

دائم بين الإنسان وماضيه.

غير أن التجربة لا تقود بالضرورة إلى النضج. فقد يزيد العلم الإنسانَ انغلاقًا، وقد تمنحه خسارة واحدة اتساعًا لم تمنحه سنوات من الطمأنينة. ليست القيمة في كثرة ما نعيش، بل في قدرتنا على تحويل ما عشناه إلى وعي.

وهكذا لا يعود السؤال: ماذا ورثت؟ وماذا عشت؟ بل: كيف حوّلني ما ورثته وما عشته إلى إنسان لا يشبه سواه؟

هنا تبدأ الهوية. فالهوية ليست اسمًا، ولا انتماءً، ولا سيرةً ذاتية، بل المعنى الذي ينتظم فيه كل ذلك. إنها الصيغة التي تتآلف فيها الجذور والتجارب والاختيارات، لتمنح الإنسان إحساسه باستمراره، رغم كل ما يتبدل فيه.

ولهذا لا تولد الهوية مكتملة، ولا تبقى ثابتة. إنها تُكتب طوال العمر، لكنها لا تُكتب على صفحة بيضاء. يحمل الإنسان لغته الأولى وذاكرته الأولى ومخاوفه الأولى، ثم يعيد ترتيبها كلما اتسع وعيه، فيكتشف أن ما كان يظنه تعريفًا نهائيًا لذاته لم يكن إلا مرحلة في رحلة أطول.ولعل الفيلسوف الفرنسي «بول ريكور» اقترب من هذا المعنى، حين ربط الهوية بالسرد. فالإنسان لا يعرف نفسه من خلال الوقائع وحدها، بل من خلال الحكاية التي يمنحها لتلك الوقائع. إنه لا يغيّر ماضيه، لكنه يغيّر فهمه له، وفي هذا التأويل المستمر تتشكل حريته الحقيقية.

ومن هنا لا تكون الهوية حفاظًا أعمى على الماضي، ولا ذوبانًا كاملًا في الجديد، بل قدرة الإنسان على أن يتغير دون أن يفقد صوته، وأن يتسع دون أن يقتلع جذوره. فالثبات المطلق جمود، والتحول بلا ذاكرة ضياع، أما النضج فيولد من الحوار بين الاثنين.

وهنا تتجاوز الهوية معنى الانتماء إلى معنى الفرادة.

فالناس قد يشتركون في الوطن، واللغة، والدين، والذاكرة، لكن كل هذه المشتركات لا تصنع الإنسان نفسه. وما يميّز كل فرد ليست العناصر التي يحملها، بل الطريقة التي يعيد بها تركيبها. ومن هذه المسافة بين المشترك والخاص، يولد ما يجعل كل إنسان نسخة لا تتكرّر.

لكن الأفكار لا تُختبر في الكتب، بل في الحياة.

ولعل التجربة السورية كانت من أقسى الامتحانات التي وُضع فيها سؤال الهوية أمام واقعه الإنساني. ففي سنوات قليلة، فقد كثيرون بيوتهم، ومدنهم، ويقينهم، واكتشفوا أن الوطن ليس جغرافيا فحسب، بل شبكة من الذكريات والعلاقات والمعاني.

كشفت هذه التجربة أن الجغرافيا لا تكفي لصنع الانتماء، كما أن الغياب لا يمحو الجذر. فقد بقي بعض السوريين أكثر التصاقًا بوطنهم وهم بعيدون عنه، بينما شعر آخرون بالغربة وهم فيه. وهكذا بدا الوطن علاقةً تُبنى في الوعي بقدر ما تُبنى على الأرض.

كما كشفت أن الألم لا يصنع الإنسان وحده، بل طريقة استجابته للألم. فمن الخسارة خرج من ازداد رحمة، ومن ازداد قسوة. ومن الهجرة خرج من اتسع أفقه، ومن انغلق على خوفه. لم تكن التجربة وحدها هي التي صنعت الفارق، بل المعنى الذي وُلد منها.

وهكذا غدت سوريه أكثر من حدث تاريخي أو حالة سياسية؛ أصبحت مثالًا حيًا على هشاشة التعريفات التي نظنّها نهائية. فقد يفقد الإنسان بيته ولا يفقد انتماءه، وقد يعود إلى بيته ولا يجد نفسه فيه. عندها ندرك أن الجذر لا يسكن الأرض وحدها، بل يسكن اللغة، والذاكرة، والعلاقات، والطريقة التي ننظر بها إلى العالم.

لكن الهوية، مهما بلغت من العمق، تبقى ناقصة إذا بقيت معرفةً داخلية.

فالسؤال عن الذات لا يكتمل عند حدود الوعي بها، بل ينتقل إلى سؤال آخر: ماذا تفعل هذه الذات بما عرفت؟

فالهوية لا تُقاس بما يقوله الإنسان عن قيمه، بل بما تفعله تلك القيم حين تُختبر. فالرحمة التي لا تحمي ضعيفًا تبقى شعورًا، والعدالة التي لا تواجه ظلمًا تبقى فكرة، والانتماء الذي لا يصون إنسانًا أو مكانًا أو ذاكرةً يبقى ادعاءً لم يُمتحن.

عند هذه النقطة تتحول الهوية إلى مسؤولية.

ومن المسؤولية تولد البصمة.

والبصمة ليست شهرةً، ولا منصبًا، ولا أثرًا ماديًا يتركه الإنسان وراءه، بل الصورة الفريدة التي تتجسّد بها هويته في أفعاله. قد يقوم شخصان بالفعل نفسه، لكن لكل منهما بصمة مختلفة، لأن البصمة ليست الفعل ذاته، بل الإنسان الذي ظهر من خلاله.

لهذا لا تُعرف قيمة الإنسان بما امتلكه، بل بما غيّره. فقد تكون بصمته فكرةً حرّرت عقلًا، أو كلمةً أعادت أملًا، أو مدرسةً أعادت مستقبلًا إلى أطفال، أو شجرةً حمت ذاكرة مدينة، أو موقفًا أعاد لإنسان كرامته.

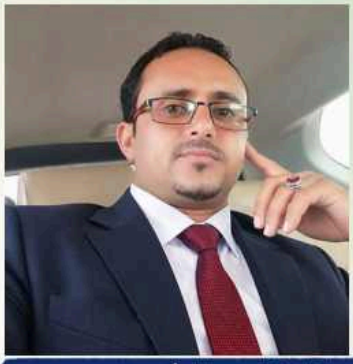
وربما لهذا لم يكن سؤال «من أنا؟» سؤالًا يبحث عن تعريف، بل سؤالًا يبحث عن معنى.

فنحن لا نختار جذورنا، ولا نملك أن نمنع الحياة من تغييرنا، لكننا نملك أن نختار المعنى الذي سنمنحه لما ورثناه وما عشناه، وأن نحوّل ذلك المعنى إلى بصمة لا تشبه سوانا.

وعند نهاية الطريق، قد لا يكون أهم ما يُقال عنا من أين جئنا، ولا ماذا امتلكنا، بل:

ما الذي أصبح أجمل، أو أعدل، أو أكثر إنسانية، لأننا مررنا من هنا؟.

نحتُ البصمة لا نفي الجذور



أ.وليد المزارع الشعيبي
رئيس الدائرة الثقافية -
منتدى القَسَم الثقافي التنموي

في ترويض الوعي بين حتمية الطين وحرية الأفق

حين يُطرح السؤال: «من أنا؟» تبدو الإجابة، للوهلة الأولى، سهلة. يكفي أن أقول اسمي، ومكان ولادتي، والبيئة التي أنتمي إليها، وما أحمله من تاريخ العائلة والمجتمع واللغة والثقافة. لكن هذه الإجابة، مهما بدت مكتملة، لا تخبرني إلا عن من أين جئت؛ أما السؤال الأصعب فهو: ماذا فعلت بما جئت به؟

فثمة فرق بين أن يرث الإنسان هويةً، وبين أن يصنع منها كينونةً واعية. وبين أن يكون امتدادًا لماضٍ سبقه، وأن يكون امتدادًا حيًا قادرًا على إضافة شيء إلى المستقبل.

نحن نولد في أماكن لم نخترها، وبين أناس لم نخترهم، ونرث لغةً لم نختر مفرداتها الأولى، وذاكرةً لم نشارك في كتابة صفحاتها، وتقاليدَ لم نسأل قبل ولادتنا إن كنا نريدها أم لا. ندخل العالم وفي أيدينا إرث كامل تقريبًا، ثم تبدأ رحلتنا في التعامل معه.

وهنا تبدأ مسؤولية الإنسان.

الجذر ليس سجنًا

الجذور ليست عبئاً ينبغي التخلص منه كي نبدو أكثر حداثة، كما أنها ليست قيدًا ينبغي أن نبقى أسرى له كي نثبت وفاءنا للماضي.

الجذر يمنح الشجرة قدرتها على الوقوف، لكنه لا يحدد وحده اتجاه أغصانها.

وهذه حقيقة تتجاوز الشجرة إلى الإنسان.

فنحن أبناء بيئاتنا الأولى، شئنا أم لم نشأ. فينا شيء من أصوات آبائنا، ومن أمثال أجدادنا، ومن عادات مجتمعاتنا، ومن الأمكنة التي كبرنا فيها، ومن الحكايات التي سمعناها قبل أن نمتلك القدرة على نقدها. هذه الأشياء لا تختفي بمجرد أن نفتح كتابًا جديدًا أو نتعرف إلى ثقافة أخرى.لكن المشكلة لا تبدأ من وجود الموروث؛ بل تبدأ حين يتحول الموروث من ذاكرة إلى سلطة مطلقة على العقل.

فليس كل قديم صالحًا لمجرد أنه قديم، كما أن الجديد ليس صحيحًا لمجرد أنه جديد.

وهنا يصبح الوعي هو الفاصل بين إنسان يرث ماضيه، وإنسان يفهم ماضيه.

فالتراث الذي لا يسمح لنفسه بالسؤال يتحول، مع الزمن، من مصدر للهوية إلى عائق أمامها. أما التراث الذي يقبل المراجعة والنقد وإعادة القراءة، فإنه يظل حيًا؛ لأن الحياة ليست في الجمود، وإنما في القدرة على التجدد دون فقدان الأصل.

لا تقديس للموروث ولا عبودية للوافد

أمام الإنسان طريقان سهلان، وكلاهما خطر.

الأول أن يغلق أبوابه أمام العالم، ويعامل كل وافد بوصفه تهديدًا، وكل اختلاف بوصفه خطرًا، وكل فكرة جديدة بوصفها اعتداءً على الأصل.

والثاني أن يفتح الأبواب دون وعي، فيستقبل كل ما يأتي من الخارج كما لو كان أكثر قيمة لمجرد أنه وافد، حتى يصل به الأمر إلى النظر إلى ذاته بعين الآخر، وإلى ثقافته باعتبارها شيئًا ينبغي تجاوزه أو إخفاؤه.

في الحالة الأولى يصبح الإنسان سجيناً لماضيه.

وفي الثانية يصبح غريباً عن نفسه.

والهوية الناضجة لا تحتاج إلى أي من الطرفين.

إنها لا تقول: «لا أريد أن أتغير»، ولا تقول: «أريد أن أصبح شخصًا آخر».

بل تقول: أريد أن أتغير دون أن أفقد نفسي.

وهذه، في تقديري، هي المسألة الأهم في العلاقة بين الجذور والمكتسبات.

ماذا نفعل بما نتعلمه؟

ليس السؤال الحقيقي: ماذا أخذنا من العالم؟

فالبشر، منذُ فجر التاريخ، يتبادلون الأفكار والمعارف والفنون والخبرات. والحضارات نفسها لم تنشأ في جزر معزولة، وإنما نمت من خلال التفاعل والتأثير والأخذ والعطاء.

السؤال الأعمق هو:

ماذا صنعنا بما أخذناه؟

فالكتاب الذي نقرأه لا يصبح جزءًا من هويتنا بمجرد أن ننهي صفحاته، والمعرفة التي نحفظها لا تتحول تلقائيًا إلى وعي، والثقافة التي نستوردها لا تصبح إضافة حضارية لمجرد أننا استعملنا مفرداتها.

القيمة تبدأ عندما تتحول المعرفة الوافدة إلى رؤية خاصة.

عندما نأخذ الفكرة ثم نعيد إنتاجها بلغتنا وتجربتنا وواقعنا، وعندما نستفيد من منجز الآخر دون أن نفقد القدرة على إنتاج منجزنا.

وهنا يمكن أن نفهم معنى التطعيم على نحو مختلف.

فالتطعيم لا يعني اقتلاع الشجرة واستبدالها بشجرة أخرى؛ بل يعني أن تمنح الشجرة فرصة جديدة للإثمار.

وهكذا ينبغي أن يكون انفتاح الإنسان على العالم.

نحن لا نحتاج إلى نسخ الآخرين، وإنما إلى أن نتعلم منهم كيف نصنع نسختنا الأفضل من أنفسنا.

من الهوية الموروثة إلى الهوية المصنوعة، ثمة هوية يرثها الإنسان، وثمة هوية يصنعها.

الأولى تبدأ قبل أن يولد؛ أما الثانية فتبدأ عندما يبدأ في التفكير.

قد يرث الإنسان اسمًا عريقًا، لكنه لا يرث تلقائيًا قيمة ذلك الاسم.

وقد يولد في أرض ذات تاريخ طويل، لكنه لا يصبح بالضرورة صاحب أثر في تاريخها.وقد يكون ابن ثقافة عظيمة، ثم يكتفي بترديد ما قاله السابقون، فلا يضيف إلى عظمتها شيئًا. وفي المقابل، قد يولد إنسان في ظروف عادية، دون إرث شخصي استثنائي، لكنه يقرأ ويتعلم ويسأل ويبدع ويعمل، فيترك أثرًا يتجاوز حدود المكان الذي ولد فيه.

لذلك فإن الانتماء بداية، وليس إنجازًا. والنسب عنوان، لكنه ليس مضمونًا.والجذور تمنحنا نقطة الانطلاق، لكنها لا تكتب لنا الطريق.

نحن نرث الأرض، لكننا لا نرث الطريق.نرث الاسم، لكننا لا نرث المجد.

نرث الذاكرة، لكننا لا نرث المستقبل. المستقبل هو الجزء الوحيد من الحكاية الذي لم يُكتب بعد، ولذلك فهو الذي تقع علينا مسؤولية كتابته. البصمة: حين يصبح الإنسان إضافة، ربما هنا تحديدًا يكمن الفرق بين الإنسان الذي يعيش، والإنسان الذي يترك أثرًا فالبصمة لا تعني أن نكون مختلفين لمجرد الاختلاف، وإنما أن تكون لنا إضافة حقيقية.أن نقول شيئًا لم يُقل بالطريقة نفسها.ان نرى ما اعتاد الآخرون المرور بجانبه دون انتباه أن نعيد قراءة الموروث بعين جديدة. أن نحول التجربة الشخصية إلى معنى يتجاوز صاحبها.

أن نجعل الثقافة وسيلة لصناعة الوعي، لا مجرد زينة لغوية.

وهنا تتضاعف مسؤولية الكاتب والأديب والمثقف. فالمثقف ليس موظفًا لدى الماضي، ولا خصمًا للمستقبل. ليس دوره أن يحرس الأبواب القديمة من كل جديد، ولا أن يهدمها كي يثبت أنه متحرر.

دوره الحقيقي أن يكون جسرًا واعيًا بين الأزمنة.

أن يعرف ما الذي ينبغي أن يبقى، وما الذي ينبغي أن يتغير، وما الذي ينبغي أن يولد من جديد. فالكاتب الذي يكتفي بتكرار ما قيل لا يصنع ذاكرة جديدة، والمثقف الذي يخاف من السؤال لا يحمي الهوية، بل يحولها إلى مادة جامدة. أما الثقافة الحقيقية، فهي التي تمنح الإنسان القدرة على أن ينظر إلى ماضيه باحترام، وإلى حاضره بوعي، وإلى مستقبله بشجاعة.

حين نراجع أنفسنا دون أن ننكر أنفسنا،إن مراجعة الذات ليست خيانة للذات..والنقد ليس جحودًا.والتغيير ليس بالضرورة انقلابًا على الأصل.،أحياناً يكون أكثر أشكال الوفاء للجذور هو أن ننقيها مما علق بها، وأن نفرق بين جوهرها وبين ما تراكم حولها عبر الزمن. فكما أن النهر يظل نهرًا على الرغم مما قد يمر في مجراه من طمي، فإن الثقافة لا تفقد هويتها لمجرد أنها تراجع بعض مكوناتها.بل ربما يكون الخطر الحقيقي هو أن نخاف من تنقية ما ورثناه، فنترك الرواسب تتكاثر حتى نحسبها جزءًا من

النهر نفسه.لهذا فإن سؤال «من أنا؟» ليس سؤالاً عن الاسم والأصل فقط.

إنه سؤال عن وعي الإنسان بما ورث، وقدرته على التمييز، وشجاعته في الاختيار.

أنا لا أختار جذري، لكنني أختار ماذا أفعل به. لا أختار الماضي الذي ولدت فيه، لكنني أختار الطريقة التي أقرأ بها ذلك الماضي.

ولا أستطيع أن أكتب الصفحة الأولى من حياتي، لكنني أملك، إلى حد بعيد، مسؤولية ما سأكتبه في الصفحات التالية.

الهوية مشروع مفتوح

في النهاية، ربما تكون الهوية أقل شبهًا بجدار، وأكثر شبهًا بشجرة.

الجدار يحفظ شكله لأنه لا يتغير.

أما الشجرة فتحافظ على أصلها لأنها تنمو.

وهذا هو المعنى الذي نحتاجه للهوية: ألا تكون قفصًا نغلقه على أنفسنا، ولا قناعًا نرتديه أمام الآخرين، بل تكون مشروعًا مفتوحًا يجمع بين الذاكرة والإرادة، بين الجذر والأفق، بين ما ورثناه وما اخترنا أن نصبحه.

وحين يعود السؤال الأول:

من أنا؟

فلست مجرد اسم ورثته، ولا مكان ولدت فيه، ولا تاريخ سبقني.

أنا ابن تاريخ لا أنكره، ووارث جذور لا أتنكر لها، لكنني لست أسيرًا لها.

أنا ما تعلمته، وما راجعته، وما اخترت أن أضيفه.

أنا ذلك الإنسان الذي يحاول أن يحول ما ورثه إلى معنى، وما تعلمه إلى إضافة، وما عاشه إلى أثر.

فالجذور تمنحني الثبات، لكنها لا تمنعني من التحليق.

والطريق الذي بدأه الذين سبقوني لا يلزمني أن أنتهي عند النقطة التي انتهوا إليها.

أنا الجذر الذي لم يُقتلع، والغصن الذي اختار أن ينمو، والبصمة التي لا تريد أن تمحو ما قبلها، بل تريد أن تضيف إليه ما يستحق أن يبقى بعدها.

وربما تكون الإجابة الأصدق عن سؤال «من أنا؟» ليست جملة نقولها، وإنما أثرًا نتركه.

فما نرثه يفسر بدايتنا، وما نختاره يكشف حقيقتنا، أما ما نضيفه إلى العالم، فهو الذي يمنح وجودنا معناه.

من أنا؟



محمد وليد السُبْعي

هناك سؤال لا يشيخ، مهما ظن الإنسان أنه تجاوزه. يرافقه في بداياته حين يبحث عن مكانه في العالم، ويعود إليه في منتصف الطريق حين يراجع ما أنجزه، ثم يجلس إلى جواره في آخر العمر، لا ليسأله عمّا امتلك، بل عمّا أصبح عليه. ذلك هو سؤال الهوية؛ السؤال الذي يبدو بسيطًا حتى نحاول الإجابة عنه.

اعتدنا أن نجيب عنه بعجلة، كأننا نحفظ جوابًا قديمًا لا يحتاج إلى تفكير. نذكر أسماءنا، وأوطاننا، ومهننا، وربما انتماءاتنا، ثم نمضي مطمئنين إلى أننا عرّفنا بأنفسنا. غير أن هذه الإجابات، على ضرورتها، لا تقول إلا القليل. فهي تصلح لتملأ استمارة، لكنها تعجز عن أن تحكي إنسانًا.ولطالما راودني شعور غريب كلما وقفت أمام استمارة تطلب بياناتي الشخصية. كنت أملأ الخانات واحدةً تلو الأخرى، ثم أنظر إليها فأشعر أن كل ما كتبته صحيح، لكنه لا يشبهني كاملًا. فالاسم لم أختره، وتاريخ الميلاد لم أصنعه، والمدينة التي أبصرت فيها النور سبقتني إلى الوجود. كانت تلك كلها بدايات منحتها لي الحياة، لكنها لم تكن أنا، بل كانت الصفحة الأولى فقط.

ربما لهذا لم يعد سؤال «من أنا؟» سؤالًا أبحث له عن تعريف، بل صار سؤالًا أبحث من خلاله عن الطريق. فالهوية، كما أفهمها اليوم، ليست حجرًا يُلقى في أعماقنا يوم الولادة ثم يبقى على حاله، وإنما نهرٌ يتغير ماؤه كل يوم، بينما يحتفظ باسمه. شيء فينا يظل ثابتًا، وشيء آخر لا يكف عن التبدل، وما بين الثبات والتحول تُكتب الحكاية التي نسميها: الإنسان.غير أن هذا التحول لا يعني القطيعة مع الجذور. فالجذور ليست عبئًا على الشجرة، وإنما سبب بقائها. لكنها، في الوقت نفسه، لا تكفي وحدها. فما أكثر الأشجار التي امتدت جذورها في الأرض، لكنها لم تُثمر، وما أكثر الناس الذين ورثوا تاريخًا عريقًا، ثم عاشوا على هامشه دون أن يضيفوا إليه سطرًا واحدًا. لذلك لا أرى الهوية في ما ورثناه فحسب، بل في الكيفية التي تعاملنا بها مع ذلك الإرث؛ هل حملناه كما هو، أم منحناه حياة جديدة؟

كلما ازددت عمرًا، ازددت اقتناعًا بأن الإنسان لا يُولد بهوية مكتملة، بل يولد بقابلية لأن يصنعها. إننا لا نختار بداياتنا، لكننا مسؤولون عن النهايات التي نمضي إليها. ولا نملك أن نبدل الأرض التي خرجنا منها، لكننا نملك أن نقرر أي أثر سنتركه عليها.

ولعل المعرفة كانت أول ما هزّ يقيني بهذه الحقيقة. كنت، في سنوات الدراسة الأولى، أظن أن القراءة طريقٌ إلى الامتلاء، ثم اكتشفت أنها طريقٌ إلى التواضع. فكل كتاب جيد لا يمنح قارئه أجوبة نهائية، بل ينتزع منه وهم امتلاك الحقيقة كاملة. وكل فكرة جديدة لا تضيف معلومة فحسب، بل تعيد ترتيب الأسئلة القديمة في الذهن.

لهذا لم تعد القراءة عندي جمعًا للمعلومات، بل تدريبًا على مراجعة النفس. فالإنسان الذي لا يراجع أفكاره، يشبه ساعة توقفت عقاربها؛ تبدو سليمة من الخارج، لكنها لم تعد تقيس الزمن.

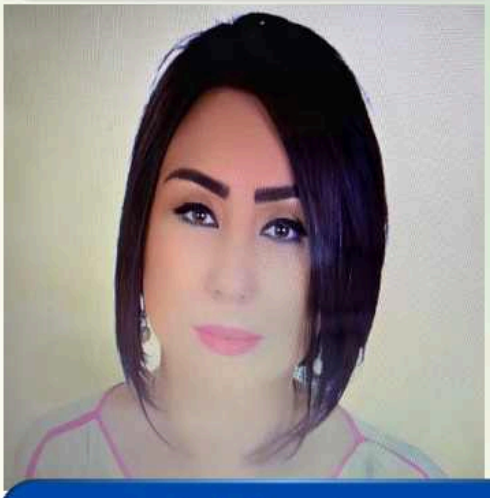
ثم جاء الطب الذي لا زلت في بداية مشواره، لا ليعلمني أسماء الأمراض فقط، بل ليعيد تعريفي بالإنسان. ففي القاعات الدراسية كنا نتعلم أن لكل مرض علاماتٍ وأعراضًا، وأن لكل حالة تشخيصًا يقود إلى علاج. لكن الوقوف أمام المرضى كشف لي أن الكتب، مهما بلغت دقتها، لا تستطيع أن تختصر حياة إنسان في بضعة أسطر.فالمريض الذي يجلس أمام الطبيب لا يحمل مرضه وحده، بل يحمل عمرًا كاملًا؛ يحمل خوفه، وانتظاره، وأحلامه المؤجلة، وأسرته التي تنتظر كلمة تطمئنها، وحكايات لا تظهر في التحاليل، ولا تلتقطها أجهزة التصوير. عندها فهمت أن التشخيص ضرورة، لكنه ليس الحقيقة كلها. فالحقيقة تبدأ من حيث تنتهي التقارير الطبية؛ عند الإنسان نفسه.فمنذ ذلك الحين، صرت أؤمن أن أخطر ما يمكن أن نفعله هو أن نختزل الإنسان في عنوان واحد. لا في مرض، ولا في مهنة، ولا في رأي، ولا في انتماء. لأن كل تعريفٍ نهائي للإنسان هو، بطريقة ما، ظلمٌ له. فالإنسان أكثر اتساعًا من كل الكلمات التي نحاول أن نحبسه داخلها.ولم تكن الكتابة بعيدة عن هذا الاكتشاف. بل لعلها كانت الوجه الآخر للسؤال نفسه.

كنت أظن في البداية أن الكاتب يكتب لأنه يمتلك شيئًا يريد أن يقوله، ثم اكتشفت مع الوقت أن الكتابة ليست دائمًا بحثًا عن إجابة، بل هي أحيانًا اعترافٌ راقٍ بأن في داخلنا أسئلة لم تجد طريقها إلى النور بعد.

فالكاتب لا يضع الكلمات على الورق فقط، بل يضع جزءًا من رحلته معها. كل نص صادق يترك أثرًا في صاحبه قبل أن يصل إلى قارئه، وكل فكرة نكتبها بصدق تعيد ترتيب شيء ما في داخلنا. ولهذا لا يعود الإنسان من الكتابة كما دخلها؛ فقد يخسر وهمًا، أو يكتسب رؤية، أو يكتشف جانبًا من نفسه لم يكن يعرفه. وربما لهذا لم أشعر يومًا أن الطب والكتابة طريقان مختلفان. فظاهرهما مختلف، لكن جوهرهما واحد؛ فكلاهما محاولة لفهم الإنسان.وفي الطب نفتش عن الألم المختبئ خلف الأعراض.وفي الكتابة نفتش عن المعنى المختبئ خلف الكلمات.

الطبيب يصغي إلى جسد أنهكه المرض، والكاتب يصغي إلى روح تبحث عن التعبير. كلاهما يحتاج إلى عين ترى ما وراء الظاهر، وقلب يدرك أن الإنسان ليس مجرد حالة عابرة.

صمت المعرفة



د.ريم كامل ياسين

لماذا نصمت؟ ..

يعرف الصمت في علم النفس بأنه آلية تواصل واستجابة انفعالية.

ربما لا يدرك الكثيرون منا معنى هذه الكلمات بمفهومها العلمي والفلسفي، لكن حتمًا كل منا يجسدها بسلوكه و يدركها بوعيه الغريزي الطبيعي. كلنا نمارس أنواع الصمت في حياتنا اليومية من صمت المعرفة والموقف والتأمل، إلى صمت الخيبة و الخوف، مرورًا بصمت الرغبة والامتناع والمواربة، إضافة إلى صمت الحب والاحترام ونقيضهما صمت البغض والغضب ...وكل هذه الأنواع وغيرها ليست حكرًا على فئة من الناس أو جنس بشري معين أو طبقة اجتماعية بعينها أو أتباع دين أو مذهب واحد أو بلد ما، لأن الصمت ببساطة هو سمة بشرية.

نحن البشر بطبيعتنا وعلى اختلاف شخصياتنا وتفكيرنا وبيئاتنا نلجأ للصمت في معظم الأحيان، إما تفاديًا لمواجهة ما أو تجنبًا لخطر أو اتقاء لشر أو كظمًا لغيظ أو درءًا لفتنة. وفي حالات كثيرة يكون الصمت احترامًا لشخص عزيز أو خجلًا منه أو محاباة لمصلحة قد تكون عامة أو خاصة ..

بين كل أنواع الصمت الإيجابي منها و السلبي، وبكل ما لها و ما عليها، يستدعي صمت المعرفة المرتبط بصمت الموقف تحديدًا " الموقف الحق "، يستدعي الوقوف عنده لأنه يشكل حالة جدلية بين رأيين: أولهما يرى فيه شكلًا من الجبن و السلبية و الانهزام، لاسيما عندما يتعلق الأمر بالقضايا الكبرى و المواقف المصيرية في حياة الأفراد والمجتمعات. يعرف أنصار هذا الرأي بأنهم لا يكترثون للنتائج و إنما يتعلقون بمقولة: " قل كلمتك و امش " حتى لو لم تطرق هذه الكلمة باب أي أذن و لم يلتقطها أي مدرك، و بالتالي تغدو الفكرة أو الكلمة صرخة خرساء في فضاء أصم .

أما بالنسبة لأصحاب الرأي الثاني فإنهم يرون الصمت المرهون بالموقف و القضايا لاسيما الكبرى منها هو قمة الحكمة والتعقل، عندما تفيض غزارة المعرفة عن حدود الكلام، و يكون الحق أوضح من عين الشمس، ومع ذلك تعجز قدرة المتلقي عن استيعابها وتقديرها. وعندها يصبح صمت هؤلاء المتبصرين لزامًا لصون كرامة المعرفة وحفظ قدر صاحبها، ومنعًا لإزهاق الحق بنكرانه أو ازدرائه .

و أصحاب هذا الرأي لا يرغبون بسفك ماء وجه المعرفة والحق أمام غوغائية الانفعاليين وغير الناضجين فكريًا، ويؤثرون أن يتزملوا بثياب الخيبة، منتظرين الظرف المناسب لتبيان رأيهم والدفاع عنه.

يرى أنصار وجهة النظر هذه أن الصمت أبلغ من الكلام في القضايا التي لا تحمل لبسًا و لا تحتمل مواربةً، فإما الحقيقة كما هي على الرغم من قسوتها و مرارتها والخطر المتوقع من تبنيها، أو يتوقف الكلام . كما أنهم لا يؤمنون بشبه الحقيقة المغشاة بثوب المحاباة أو النفاق أو المصلحة أو حتى الخوف. هذا الفريق ينطبق على سلوكهم قول الإمام علي كرم الله وجهه : إذا تم العقل نقص الكلام. وقول جبران خليل جبران: الصمت هو قمة النضج و قمة الفضيلة.

الكلماتُ تائهاتٌ



د.نعمة صالح عوض

الكلماتُ تائهاتٌ، منفرداتٌ، أَبَيْنَ أن يجتمعنَ احتجاجًا على ما صنعه بهنَّ البشر؛ إذ استخدموهنَّ كما يشاؤون، وأفرغوا كثيرًا منهنَّ من معانيهنَّ الأصيلة.

تمرَّدن، وتظاهرن في ساحات الحروف، وأعلنَّ تضامنهنَّ مع الحروف بطريقتهن الخاصة. رقصن حتى أصابهنَّ الدوار، فسقطن على الأرض فرادى، حروفًا متناثرة، كالدُّرر المبعثرة، عصيَّات المنال، لا يجمع شتاتهنَّ إلا من يُحسن نظمهنَّ بحرفيةٍ في عقدٍ فريد، يعيد للكلمة قيمتها، ويرفعها من الثرى إلى الثريا.

ثم ما تلبث الكلمات أن تُحلِّق في الفضاء الواسع، لا تعرف الحدود، ولا تعترف باللهجاتِ واللغات، ولا تخضع للتقليد الأعمى، ولا تُغرق نفسها في التجديد لأجل التجديد؛ بل تبقى وفيةً لرسالتها، صادقةً في معناها، نقيَّةً في مقصدها.

وحين تبلغ الكلمة هذه المنزلة، تُعلن انتصارها الحقيقي، لا على الناس، بل على الزيف والابتذال، وتُصدر وميضاً يبدِّد ظلام الكون، فتغدو الكلمات نورًا يهدي العقول، ويوقظ القلوب، ويزرع في الأرواح بذور السلام لتستمر الحياة.

"ليست الكلمةُ حروفًا تُكتَب، بل روحٌ تُبعث. فإذا صَدَقَ قائلُها، أشرقت في القلوب، وإذا اتبع النفاق، بقيت حبراً على ورق."

بين منطلقات الهوية ومآلاتها من أنا؟



د.صوفيا الهدار

هكذا يقف كل منا على حافة السؤال، بين إدراك الهوية، وهاوية الجهل بها. لا أحد يريد السقوط في العدم، جميعنا يبحث عن سماء.

الهوية ليست الجذور، الجذور بداية، والبداية إمكان وليست قدرًا مكتملًا.

جميعنا أبناء الجذور، لكن بين من شب عن طوق الجذور وبين من ظل أسيرها، هناك من جعلها مرسى.

والمآل ليس نهاية مطلقة أو قدرًا مكتملًا بل مرفأ لم يُبلغ بعد..

في الرحلة من هامش اللوحة الإنسانية إلى صدرها، تتزود الذات من مرافئ شتى، وخير الزاد بصيرة لا تفقد الذات بوصلتها ولا تتنكر لملامحها الأولى. فالأصل يمنحنا بدايةً، ونحن من نمنحه مكانته؛ والمآل يمنحنا أفقًا ووجهةً، ونحن من نمنحه معناه.

وما بين سؤالين: من أين أتيت؟ وإلى أين أمضي؟ مسافة اسمها الهوية.

وبين سماء المعرفة وهاوية الجهل مسافة سؤال.

"من أنا ؟" ليس سؤالًا عن الهوية الجاهزة، بل هو سؤال عن مسؤولية كل منا في صناعة هويته.والهوية ليست جوابًا عن هذا السؤال بقدر ما هي الرحلة التي نصنع فيها جواب هذا السؤال.

الهوية صناعة الوعي، الوعي بما نملك وما نضيف وما نريد الوصول إليه.

فلا تعصّب للجذور ولا ارتهان لها، ولا قطيعة بها ولا تنكّر لها؛ بل وعيٌ يعيد قراءة الموروث، وانفتاحٌ يستثمر المكتسب، وتغيّرٌ يضيف إلى الملامح دون أن يمحوها.

(متجردٌ في التيّه)

عزيز قلبي:



د.فاطمة الحوسنية

يا شقيق الروح و رفيق الدرب الطويل، تعرفني أنت بلفظ الآه في حنجرة الليل، وأعرفك أنا بالتّيه أكثر من وجه الحقيقة..

ثمّ أما بعد:

أنت لست ذلك المخدوع جهرًا، لست كما تبدو عليه في أعين الجميع ، ذلك التيّه لا يشبهك، وتلك الفوضى لا تعني أنك أنت. أكاذيبهم حولك ليست إلا هلوسات عقولهم البائسة، ترانيح خطيئاتهم المميتة، لست أنت ذلك المشوه بالأعين القبيحة حولك، لست كما تبدو في مراياك المتغطرسة، أنت وحدك من يعلم أنك مختلف تمامًا، مختلف عما يبدو عليه هذا العالم المزيف بالوهم ، مختلف عن كل شيء حولك دنيء ومخادع وكاذب، أنت برهة من زمن سحيق عابر في مخيلة التاريخ، لحظة من تفاصيل أزليّة رنانة، كسيلٍ جارف تتبعثر في جوف أيامك، قد ألبسوك وهمّ نفسك، متى تتجرد ؟؟ متى تتعرّى من هذا الزيف؟؟ متى تندثر كمعزوفةً صارخة في جوف ليلٍ عاشق، أنظر إلى تلك الحقبة الزمنية بداخلك، أنظر إليك مليًا، إليك أنت ولا شيء سواك، هل أرعبتك نفسك المتجردة في التيّه؟؟ هل خانتك الظنون تجاهك؟؟ كل تلك الخدوش الجامحة على ملامحك المعرّاة تعرفها وتعرفك، تذكر كينونتها، و كيف أدمتك عمرًا من هزالة الضعف فيك، ألا ترى أنك مفلس إلا منك؟ نقيض تحت نقيض، ركام من تفاصيل صغيرة جدًا ، بقت على هامشك عالقةً في عمقك المتواري تحت ظلام شبحك، لست أنت كما تعرف، جردها لترى أنك هزيلٌ أمام هذا الكمد الهائم به عمرًا، مقطوع الأوصال إلا من منك ، لا تأخذك سطوة الانبهار ، هذا أنت متجردًا من ملامحك المزيفة فهلاّ اشفقت رحمةً على هذه الروح ؟؟؟ اكسوها إجلالاً ولا تبتئس، كفى ضياعًا تحت قيد الوهم الكاذب، كن أنت، كن كما تحب، تجرد منهم ، لست تمثالًا يصاغ نقشه تحت بطان الحرية...

ظلك الذي لا يخلف عهده .

صناعة البصمة



د. علي منير حرب
خاص: مجلة منتدى القسم الثقافي - العدد الرابع

من أنا؟ ...

قد تبدو ضئيلة تلك المساحة المُتاحة للفرد أو للجماعة، للإجابة المُحكمة والدقيقة على هذا السؤال، وتحديد إطار ومضمون الخصوصية (الأنوية).

إن السؤال بطبيعته هو حجر الزاوية في بناء الهُوية أو الكينونة الذاتية، وهو لا يميل نحو الفلسفة بقدر ما يستند إلى الواقعية، وإلى المرتكزات البيئية والأسرية والاجتماعية والتاريخية.

وبالتأكيد، فإن هذا السؤال يرمي إلى اصطفاء ما لا تزيد نسبته عن عشرة بالمئة من العناصر الثقافية المكوّنة للذات الشخصية والاجتماعية، للأنا وللجماعة، لأن النسبة المتبقية، هي الطاغية والمهيمنة، وقد جاءت حتميّة وموروثة وجاهزة، وملتصقة بالدم واللحم والوجدان، (اللغة، الجينات، العقيدة، العادات، التاريخ...)

وقد لا نغالي إذا قرّرنا أن هذه النسبة الصغيرة من حيث الحجم، هي الملمح الأبرز الذي يتجلّى في اللوحة المتشابكة والمعقدّة لماهية الإنسان، لحظة قيامه بطرح الأسئلة، والعزم على التحليل والمناقشة، أو بمعنى من المعاني، باستحضار أدوات الثقافة، للمباشرة بإخضاع مؤونات الذاكرة، والمشاهدات، والقراءات، والتجارب الحياتية، إلى مشرط البحث والاختيار، من أجل صناعة البصمة الخاصة في الشخصية.

قد لا يتاح للأنا إلّا مجال ضيّق للاختيار أو للمساهمة بوضع بصمتها الخاصة على خوارزمية وجودها وحضورها، بعد أن ترسّخت الجذور في فرض معطياتها وعناصرها، التي قد تمتدّ أحيانًا إلى تحديد مهنة المستقبل، وأغلبها محرّك للوتر العصبي على النحو الذي شرحه «ابن خلدون» في «مقدّمته»، قائلًا: «إن العصبية هي قوام قوة القبيلة، وبدونها لا تستطيع الحياة.»

ونكاد نوقن، أن أي خرق يحدث في هذا المجال، كفيل بأن يرفع صاحبه من خانة التبعية إلى آفاق الاستقلالية، ومن حيّز البيئة الضيقة، إلى عالم الانفتاح والتعدّدية والحوار، وهو عالم الإنسانية الأرحب.

إن مراجعة بسيطة، لسيرة العظماء الكبار في التاريخ، لدى الشعوب جميعًا من دون أي استثناء أو حصر، يؤكد، إن هذه الزمرة القليلة من الخلّاقين العباقرة، التي قد لا يتجاوز عدد أفرادها بضعة مئات، قياسًا على المليارات المتنقّلة تحت شمس هذا الكوكب، تشكّل أنموذجًا ومثالًا ساطعًا، لبناء الذات الخاصة، وإغناء الهوية الفطرية، وتلقيحها بموارد الإرادة والتصميم والمثابرة، بهدف حفر بصمتها عميقًا في تاريخ الحضارات الإنسانية، وبهذا التحوّل تحديدًا، أصبح الخليفة الثاني «عمر بن الخطّاب» هو «الفاروق»، والقائد الفاتح «خالد بن الوليد» هو «سيف الله المسلول»، و«أين سينا» هو «الشيخ الرئيس»، و«أرسطو» هو «المعلم الأول»، و«فرنسوا ماري أرووية» هو «فولتير»، و «أورور أرماندين دوبان» هي «جورج ساند»...

ويقودنا هذا المسار إلى التأكيد بأن الهُوية ليست طابعًا فطريًا جامدًا، بل يمكننا - بعزمنا - تحويلها إلى فعالية ديناميكية قادرة على التعامل والتفاعل مع عوامل الثقافة والمتلقّيات المتعاقبة مع العمر.

وقد يكون صحيحًا جدًا ما ذهب إليه علماء الاجتماع بآن مفهوم الفرد عن ذاته يتأتّى من عضويته في المجموعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، ولكنهم قرّروا في الوقت عينه، بأن الهُوية التي يولد بها الإنسان بالضرورة، تملك طواعية كبرى للتغيّر تحت تأثير التفاعلات المستمرة مع المحيطين القريب والبعيد.

سؤال من أنا؟، قد لا نملك عنه إجابات نهائية، لكنه يبقى قائمًا في زوايا أزمة الهُوية، لا سيما في خضمّ ما نشهده من احتدام في خطاب وممارسات صراع الهُويات والثقافات، وما نعيشه من تحديّات وسط تصاعد موجة التقنيات والعولمة المخترقة لكل الحدود.

من أنا؟ ... ومن نحن؟ ... محاولة استجوابية، للبدء في رحلة البحث والتأمل، في كيفية صياغة عنصر مُختار من مكوّنات تشكيلنا المتشابك، ليضيف بعدًا جديدًا لخارطة وجودنا في الزمن.



بعدسة م أيمن عبدالقوى ناجي الغانري



سيدة الضالع